الأمـــراء

من أهل برقة والصحراء

بحث تحليلي

ودراسة تفصيلية وثائقية في تاريخ وأصول وحركة المجتمع البدوي في برقة والصحراء

(قبائل السعادي والمرابطين)

بحث وإعداد

مفتاح خليل السنيني

حفظه الله







الأمـــراء

من أهل برقة والصحراء



اسم الكتاب: الأمراء من أهل برقة والصحراء.

المؤلف: مفتاح خليل السنيني.

رقم الإيداع: ٢٠١٠/٨٨٢٥.

نوع الطباعة: ٢لون.

عدد الصفحات: ٣٠٠.

القياس: ١٧×٢٤.

تجهيزات فنية:

مكتب دار الإيمان للتجهيزات الفنية

أعمال فنية وتصميم الغلاف: عادل المسلماني.

٢٠١١

الإدارة

دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع

١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.

تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

المبيعات

دار القمة

١٩ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - الإسكندرية.

تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٢٢٢٠٠٢

دار الإيمان فرع النزهة

أمام كوبري النزهة القديم - النزهة - الإسكندرية.

تليفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - ٢٨١٦٠٤٢

فرع القاهرة



درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر - القاهرة.

تليفون: ٢٥١٢٠٦٢١

E-mail

dar_aleman@hotmail.com

الصحراءُ هي الرّحم الذي نشأ فيه جنين الوطنية المصرية

ثم كانت الصّوبة الزجاجية والبيت الدافئ ..

وأخيرًا كانت الدرع الكثيف الذي احتَمتْ به .

د/جمال حمدان

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

بسم الله اهدي ما وفقتُ إليه بعونه وفضله ومنّه
إلى والدي المغفور له بإذن الله تعالى العمده خليل
محمود السنيني سائلاً المولى تبارك وتعالى أن يتغمده
بواسع الرحمة والمغفرة ويرزقه المقام الأعلى من الجنّة
مع الأنبياء والصديقين والشهداء وحسُن أولئك رفيقًا .

وطني
مصر الأرض الطيبة ومنارة الدنيا

مصر أرض طيبة ، دافئة ، كريمه .. تجود بكل ما لديها لكل من يدبّ على أرضها منذ آلاف السنين ولا تنضب ولا تجف ولا تذبل ....

استطاعتْ أن تضم فئات عديدة من الأجناس المختلفة من كل الشعوب على مرّ الزمن. دخلها الغزاة فصاروا من عشاقها ، وطلاب العلم فصاروا فقهائها ، والأشقياء فأعلنوا توبتهم على أسوارها .

من استجار بها صارت ملاذه وبيته الدافئ ، ومن احتمى بها صارت منيعته وحصنه الحصين فمصر منبع العلم ومنبت الجود ومنارة الدنيا .....

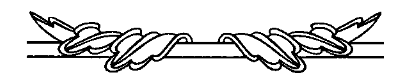
جسدها أرض خصبه ، دمها ماء النيل ، لها في الشرق والغرب جناحان ، هما البدو حماتها بهما تحلق في السماء حرة كالطيور .

وفي الجنوب هامات الصعيد وبهم تقف ثابتة شامخة شموخ الجبال ، قلبها ينبض بطيبة فلاحيها الكرام أولئك الذين لا يملون كدهم في بذلهم العطاء لها، لتنهل من سواعدهم الكريمة خيرات أرضها ونعيم نيلها .

فسلامٌ عليك يا مصر سلام عليك يا وطني ما بقيت الدنيا ....

مفتاح خليل السنيني

جوال : 0184247490





بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدّمة الكتاب

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادى له.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾.

[آل عمران : 102]

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾

[النساء : 1].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ ﴾.

[الأحزاب : 70-71]

أما بعد :

يارب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، لك الحمد حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت ولك الحمد بعد الرضا .

لقد سلكتُ في كتابي هذا منهج التتبع وتقصي الأثر لهذه القبائل العربية بالشمال الإفريقي منذ دخولها، تابعتُ فيه حركة التنقل البشري عبر القرون إلى زمني هذا .

ملقيًا الضوء على تلك الجموع التي استقرت في برقه موضوع الدراسة بحدودها الأربعة ذاكرًا لأحوالهم وأصولهم وتنقلهم وأحداثهم الحربية

وأحلافهم القبلية وأثار انعزالهم لفترة من الزمن داخل حدودهم وأثر الفتح العثماني والهجرات التي حلّت بأرضهم على تلك القبائل من أهل برقه وكيف وصل بهم الحال إلى وقتنا المعاصر بهذه الكيفية التي نحن عليها اليوم من توزيع جغرافي وبشري وانتشارهم في بقاع برقه من اجدابيه (ليبيا) إلى تخوم البحيرة من مصر إلى جنوب الدلتا حتى المنيا من صعيد مصر .

مستعينًا بالله ثم بكل ما وقع عليه بصري أو سقط في يدي من كتاب أو مرجع أو بحث أو قول موثق كان فيه ذكرًا لما يخص هذه القبائل في برقه والصحراء، محاولاً أن أصيغ لهذه الصحراء كتابًا أجمع فيه تاريخًا وثائقيًا من خلال بحث موضوعي واقعي بعيدًا عن الخيال والأسطورة ليعتبر مرجعًا قد يستفيد منه طالب العلم أوالباحثون والمتخصصون في هذا المجال من البحوث التاريخية والاجتماعية إلى حد ما، تاركًا المجال مفتوحًا لإضافه المزيد الذي لم استطع التحصل عليه أو تصحيح بدليل لما لم أوفق فيه. فكل يؤخذ منه ويرد إليه إلاّ معلم البشر وسيدهم محمد (ﷺ) .

فهذا ما بلغ فيه جهدي بإذن الله ووصل إليه حد علمي بتوفيقه، فإن كان صوابًا فمن الله وفضله وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان لعنه الله .

سائلاً المولى عز وجل أن يكون لوجهه الكريم وأن يجزني به حُسن الثواب وأجر العمل .

ولقد جعلتُ ذلك كله في كتاب أسميته الأمراء غير قاصد ولا معنيًا شكلها السياسي أو الدستوري الذي يتبع الدولة والنظم واللوائح والتاج ، وإنما عنيتُ بها سيادتهم المتفردة على تلك البقاع من فيافي برقه وصحاريها حيث لم يكن لأحد سلطة سواهم ، ولا يخضعون إلا لأوامرهم وقد ظلوا على ذلك لقرون من الزمن ، استحقوا أن يكونوا أمرائها بلا منازع لزمن طويل ..

وقد صنفت كتابي هذا في ثلاثة أبواب ولكل باب فصوله ولبعض الفصول مباحث :

فالباب الأول : خاص بالتاريخ والسياسية وفيه خمسة فصول :

الفصل الأول : يشير إلى الجزيرة العربية موقعًا ، قبائل ، نظم حكم ، دين .

الفصل الثاني : يشيرإلى دخول العرب في الفتح الإسلامي ومن ثم زحف القبائل القيسية هلال وسليم واجتيازهم النيل إلى برقه .

الفصل الثالث : وفيه ذكر القبائل المستقرة وقد قسمتها إلى فترات وجعلت زمن الفترة مائة عام ليسهل حصرها وتتبع أحداثها عن كثب ودون تداخل مراعيًا في ذلك كثرة الأحداث المتشابكة والمعقدة والأسماء المتشابه أحيانا كثيرة ، وجعلتُ للفترة المجهولة أو التي بها مغالطات تاريخية بحثًا مستفيضًا أحاول أن اضبط فيه بقدر المستطاع وألملم أحداثها من واقع التاريخ بشكل موثق ودونما تعقيد وقد صنعتُ لذلك خرائط تعكس الصورة لزمن كل فترة لتسهل على القارئ أو الباحث تتبع الأحداث النثرية بشكل أفضل ويسير .

وستجد عزيزي القارئ أن هذا الفصل (الثالث) يحتوي على خمسة مباحث هامه تدور أحداثها في الفترات من 1300 م إلى 1700 م حيث يبين :

انقسام القبائل في برقه على قسمين لبيد وشماخ، ثم حروب ونزاعات بين الأطراف .

الزحفه الأولى إلى المشرق وفيها نزوح أغلب قبائل برقه إلى مصر .

الزحفه الثانية إلى المشرق وفيها نزوح أغلب قبائل لبيد إلى مصر ومعهم أحلافهم من الكعوب من بني سليم.

بحث آخر يوضح أحلاف القبائل المتبقية في أرض برقه وما يطلق عليها حلف السعادي .

بحث يوضح ما جرت عليه الأحوال للقبائل بعد الهجرات الأندلسية ومن ثم سيطرة الأتراك العثمانيين الأولى ثم نزاع قوى الأندلسيين العرب وأحلافهم

وما يعرف (بتجريدة حبيب) .

الفصل الرابع : وفيه وصف لقبائل أولاد علي في زمن دولة المماليك في مصر ، وما ذكرته الحملة الفرنسيه ومشاهد المقاومة ويحوي (معارك ، ثورات ، سياسة فرنسا تجاه العربان) .

ثم أنتقل بعد ذلك إلى حكم محمد علي وفيه (نزاع قوى المماليك والعربان مع محمد علي ، استمالة محمد علي للعربان والقضاء على المماليك ، ذكر أحوال العرب زمن محمد علي باشا) .

ثم عهد الخديوي سعيد وإسماعيل وتوفيق وأحداث ثورة عرابي ، ثورة العرب في الصحراء الغربية ، ثورة 1919 م ودور حمد باشا الباسل .

ومن ثم الحركة السنوسية ودورها في تأسيس مملكة القبائل في برقه ذاكرا دور كلا من :

السيد محمد بن علي السنوسي المؤسس ، محمد المهدي السنوسي ، السيد أحمد الشريف السنوسي ، عمر المختار .

أما الباب الثاني : وفيه فصلان يحتويان على مباحث تبين أصول وسلالات قبائل برقه والصحراء السعادي والمرابطين وقد بينتُ ذلك من خلال شجرتين الأولى تبين أصولهم العربية العدنانية التي تمتد إلى قيس بن مضر بن عدنان ووضحتُ فيها انحدار كل القبائل التي تعيش في برقه من سعادي ومرابطين من أصولها السليميه (هيب وكعب) أوالعامرية (هلال وربيعه) .

والشجرة الثانية توضح حلف القبائل المسمى بحلف السعادي المنتمية إلى المدعو ذؤيب وفيه بحث تقصيتُ خلاله مراجع عديدة حقيقة ذؤيب وأصل نسبه ووضعتُ في ذلك مفارقه بين ذؤيب أبي الليل العوفي السليمي ، وذؤيب بني جعفر الهيبي السليمي ، وأنهيتُ بذلك شاكلة الخلط بين الذؤيبين تاريخيًا .

كما بينتُ من خلال بحث أخر مفاده ما يعنيه لفظ السعادي والمرابطين المسحوب على قبائل برقه، حقيقته وأصل المسمى للفظين وعلاقة كل من قبائل

السعادي بالمرابطين الاجتماعية والحربية والدينيه، ثم تفصيل عام للقبائل من الداخل وما يحويان من فروع وعائلات .....

والباب الثالث: وهو خاص بالمجتمع البدوي في الصحراء وفيه أربعة فصول:

الأول: ويبحث في البداوة والتكوين الاجتماعي وأنماطه وتنظيماته وما يشتمله من سلوك قبلي ، عادات وتقاليد ، نجوع ومساكن ، أثاث وكساء إلخ.

والثاني وفيه مناشط البدو المختلفة (التجارة، الصناعة، الزراعة ، الرعي).

والثالث وفيه الضبط الاجتماعي والقانون العرفي وما يسمى (الدّربه) وفيه الأحكام ، الهيئه ، القضايا ، الإدارة ونظام المجالس ....

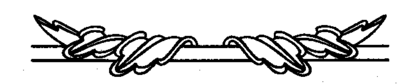
والرابع: وهو فصل خاص بالبيئة والحيوان .

وأخيرًا ... أود أن أوجه شكري وتقديري لكل من ساهم معي في إتمام هذا العمل على هذا الوجه ...

داعيًا المولى تبارك وتعالى أن يثيبهم خير الثواب ويجزهم عني خير الجزاء على ما قدموه من معلومة أو جهد أو تشجيع .

هذا وبالله التوفيق ... وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المؤلف



موضوع الدراسة :

كان الهدف الرئيسي من موضوع هذا الكتاب هو الوصول إلى التركيب الحقيقي للجماعات البشريه لسكان برقه عبر الزمن . وذلك من خلال تتبع تلك الحركات التاريخية والأحداث التي ألمت بتلك البقاع من برقه ومايليها والتي رسمت بدورها شكلاً نهائيًا لتوزيعهم الجغرافي والبشري .

وفي دراستنا هذه تأتي الإشارة إلى أصولهم التي ينتمون إليها بقدر المستطاع والتي غالبًا ما كانت تحمل طابع الاستنتاج. وذلك وفقا لدراسات وأبحاث ومعطيات غالبًا ما كانت تفتقر للدقة والحقيقة المطلقة وذلك لعوامل كثيرة تمثلت في أوضاع سياسية واجتماعيه مرت بها المنطقة موضوع البحث جعلتها في عزلة تعذر معها الوصول إلى حقائق واضحة ندرت معها الوثائق والمعطيات الوثيقة وأعطت للخيال والأسطورة مجالاً واسعًا وذلك من خلال الروايات المتوارثة والتي خالفت الحقيقة أحيانًا كثيرة .

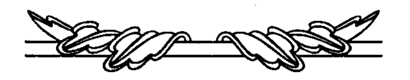
محاولين بذلك أن نربط بين النصف الحقيقي والأسطورة والنصف الغائب والمجهول والذي ظل غائبًا في بطون الكتب آملين بذلك أن تكتمل الصورة الحقيقية أو على الأقل الأقرب إلى الحقيقة منها إلى الخيال مصححين الكثير من الأخطاء التي روج لها الغرب أو تلك النظريات الخاطئة التي وقع فيها الكثير من الباحثين والمجتهدين،وأن نحاول أن نزيل تلك العثرات التي طالما استقاها الباحثون والمهتمون من مصادر أسطوريه أو خرافات متوارثة واجتهادات فردية كانت دون المستوي العلمي . وذلك من خلال بحث علمي مبني على دراسة تاريخية ومنهج موضوعي وواقع حقيقي ومعطى دقيق يوضح لنا جغرافيه المكان وما مر به من أحداث تاريخية وسياسية ويوفر لنا مادة سخية عن أصول السلالات والتكون البشري والتفاعل التاريخي لعناصره عبر المراحل والفترات الزمنية التي مرت بها المنطقة (برقه) موضوع الدراسة .

كما يجدر بنا الإشارة إلى بحث اجتماعي شامل يصور لنا الحياة الاجتماعية لسكان هذه المنطقة بمختلف أنواعها من : عادات وتقاليد وأشكال الزى والأطعمة وحياة الرعي والبداوة. ودراسة حول الأدوار المختلفة لعناصر هذا المجتمع وكافة فئاته البشرية. وتصور للبيئة من حوله وما تحويه من حيوان أو نبات كان عاملاً رئيسًا في تحريك وتنقل هذه التكتلات البشرية من مكان إلى آخر أسفرت عن تواجد أو إخفاء أو إحلال لعناصر كثيرة من مجتمعات البادية في برقه والصحراء الغربية .

المؤلف

مفتاح خليل السنيني

مرسى مطروح في 2009/12/1 م





الباب الأول

التاريخ والسياسة

الفصل الأول

الجزيرة العربية مهد العرب الفاتحين



لاريب أن العرب أهل علم وحضاره، فقد علَّموا الخلق وأفادوا الدنيا بعلمهم ومعارفهم وسماحة إسلامهم وحسُن مذهبهم وأزاحوا الجهل عن عالم لطالما قبع فيه عصورًا طويلة وبسطوا العلم ومهدوا للدنيا غدًا أفضل تسود فيه العدالة والمساواه، واسقطوا ممالك الظلم والاستعباد وقضوا فيه على رؤوس الفتن والطغيان وأذلوا الأكاسرة وأطاحوا بأعناق القياصرة المستبدين وأتوا بحضارة لم يعهد ها العالم بأسره من قبل فمن هم هؤلاء العرب ؟ ، من هم هؤلاء الفاتحين ؟.

سؤال طرحه أوغسطيني في برقه سائلاً نفسه عن صفة هذا الجنس وكان وراءه أجابه ذكرها قائلاً: [1]

لقد كان مهد هذا الجنس بلدًا في أغلبه قاحلاً مهجورًا.. حيث تم صقل هذا الجنس وانتخابه عبر العصور وقد كان الوجود البدوي الذي حتمته الضرورة والصعوبات والأخطار والمتاعب التي تفرض الصراع اليومي من أجل البقاء قد صاغ منهم شعبًا من المحاربين والغزاة ولكنهم كانوا يتوفرون على حيوية معنوية وبدنية فائقة مهيأة لمقاومة الطبيعة والطقس والمكائد والعنف .

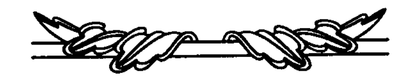
جرأة واعتزاز وطاقة لا تخمد أوارها، وألمعية وقَّاده أنتجت بدورها شعرًا رائعًا بثرائه وبروحه الغنائية وصياغته الأنيقة الرفيعة وتعبيره عن عواطف ملتهبة جياشه.

تلك كانت المواهب العالية لهذا الشعب،وكان إلى جانبها القلق والعنف والرفض لأي سلطة أو نظام وشعور بالثأر والنشوة الوحشية تجاه الدم العادي.

(1) اوغسطيني سكان ليبيا .

وتلك هي أصول هذه الخصائص التي مانزال نلاحظها في الأحفاد الأقاصي لهذا الشعب المحارب العنيف .

في حضن هذا الشعب بزغ الإسلام الذي لم يكن عقيدة دينية فحسب ولكنه يمثل الدفعة الجامعة لقوة ذلك الجيش المهيأ للتحرك والزحف نحومصائر جديدة، كما كانت اندفاعاته في شعب تزود حركته بطاقة كامنة في ذاته .



الموقع والأقسام[1]

ويقصد بالتعبير الجغرافي الجزيرة العربية تلك الجزيرة التي سكنها ذلك الجنس البشري المنحدر من أصل سامي والذي عرف عبر التاريخ باسم (العرب) والذين تقع بلادهم في جنوب غرب قارة آسيا تلفها الحدود الطبيعية من جميع الجهات . فمن الشرق الخليج العربي والغرب البحر الأحمر ومن الجنوب المحيط الهندي وبحر العرب أما الشمال بادية الشام .

فبلاد العرب على قسمين كما رآها الجغرافيون وهما :

بلاد العرب المتصلة بالبحر وتشمل:- الحجاز وعسير واليمن- حضر موت وعمّان والإحساء

بلاد العرب الداخلية وهذه تشمل:- نجد والصحاري الداخليه وهى على خمسة أقسام : تهامه - نجد - الحجاز - اليمن - العروض .

السكان : أصل العرب .

من الآراء الأكثر شيوعًا في تحديد أصل العرب وطبقاته في هذا المجال كانت على الوجه التالي :

أولاً : انقسم العرب على قسمين :

عرب بائدة : وهي الشعوب العربية المندثرة والتي لم يعد لها وجود ولا نجد ذكرها إلا في القرآن الكريم أو في الشعر العربي مثل (طسم وعاد وثمود) .

عرب باقية على قسمين : عرب جنوب وعرب شمال

ثانيًا : انقسام العرب على ثلاثة أقسام :

عرب بائدة : وهى كما ذكرنا آنفا ..

(1) التاريخ الاسلامى د/ عبد الشافي غنيم ، د/ محمد عبد الحميد

عرب عاربة : وهم العرب الراسخون في العروبة وينتسبون إلى قحطان ابن عابر الذي ينتهي إلى سام بن نوح عليه السلام ويرى المؤرخون أنهم أول أجيال العرب الباقية حتى اليوم وانه أصل الحضارة العربية خاصة في جنوب شبه الجزيرة العربية .

عرب مستعربة : وهم ولد عدنان من نسل إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام وسميت بالعرب المستعربه لحداثتها في العربيه وتعلمها اللغة من العرب العاربه.

ويرى الدكتور عبدالعزيز سالم في كتابه تاريخ العرب قبل الإسلام أن هذه التقسيمات محدثة وأن القرآن لم يشر إليها كما انه لم يظهر لها أية بوادر على عهد النبي (ﷺ) والخلفاء الراشدين وان التقسيم لم يبرز إلا في العصر الاموي. فالعرب المستعربة هم عرب الحجاز من ذرية إسماعيل عليه السلام وأما عرب اليمن هم حمير فأنهم من قحطان وقال ابن كثير أن قحطان من سلالة إسماعيل (عليه السلام) وكل قسم من هاذين القسمين يتفرع إلى عدة بطون وقبائل نذكر منها: جرهم ويعرب من عرب الجنوب من العرب العاربة ومن يعرب تشعبت القبائل والبطون فمنهم كهلان وحمير ومن حمير قضاعة ومن كهلان طئ وهمذان .. أما العرب المستعربة فهم الذين قطنوا أواسط الجزيرة وبلاد الحجاز ونذكر منهم مضر وربيعه وقيس عيلان وهوازن وسليم وثقيف وقريش .

ولطبيعة المناخ واختلافه من الجنوب إلى الشمال كان له انعكاسه على صفة أهل الجنوب الذين اشتغلوا بالزراعة لوفرة الأمطار وخصوبة الأرض كما عمل أهل الشمال في التجارة وتتبع الكلأ والعشب لذلك شهدت الجزيرة قيام بعض الدويلات والممالك في العصر الجاهلي مثل الدولة المعينيه في بلاد اليمن ثم السبأية والدولة الحميريه .

وفي الشمال قامت دولة الأنباط في سوريا وشمال الحجاز ومملكة تدمر ومملكة الحيرة في العراق ودولة الغساسنة في الشام .

وأما إقليم الوسط من الجزيرة فهى مناطق صحراوية شاسعة ظلت مرتعًا

للبدو والأعراب المتجولين والتي شهدت تنوعًا من الحضارة قبل الإسلام حتى احتوى على أهم المراكز العمرانية وطرق التجارة من الشمال إلى الجنوب مثل :

مكة والطائف ويثرب ، والذي اختاره الله (سبحانه وتعالى) هذا الإقليم ليكون مهدًا للرسالة الإسلامية والتي أصبحت منذ ذلك الحين مطمع المسلمين وهوى أفئدتهم .كما تمثل من ناحية أخرى في عدم خضوعه للقوى الخارجية المتمثلة في الفرس والروم وبرغم من ذلك فلقد أقرّ التاريخ أن هذه المنطقة لم تكن في عزلة عن بقية المجتمعات بل حاول الكثير من الروم والأحباش فرض سيطرتهم على أزمنة مختلفة باءت بالفشل .

نظام الحكم والإدارة :

ولم تشهد هذه المنطقة قبل الإسلام نظامًا ثابتاً للحكم والإدارة على غير الشمال والجنوب فلقد سادتها نظم خاصة فرضت شريعتها القبيله أو أساسها المبني على العصبية القبليه الذى ألفت فيه كل جماعة الاستقلال تماما بذاتها وقد انسحبت على كل أفراد القبيله. فكان كل فرد يرى في زعامة شيخ القبيله أنه رمز الفكرة العامة شاءت الظروف أن يأخذ هومنها نصيب بل كان له مطلق الحرية في أن يرفض ما اجتمع علية رأي الأغلبية من أبناء قبيلته بل واعتبر من هذا أنه لم يكن هناك نظام لنقل سلطة رئيس القبيله فكان يختارها غالبًا أكبر الأفراد سنًا وأكثرهم مالاً وأعظمهم نفوذاً وأجدرهم بكسب الاحترام الشخصي.

وإذا ما تشعبت فروعًا كثيرة يتمتع كل منهم بحياة منفصله ووجود مستقل لا تتحد إلا في ظروف غير عادية اشتراكًا في الدفاع عن القبيله أو قيامًا بغارات بالغة الخطوره .

وبالرغم من هذا الإحساس الكبير بالحرية إلا أنه مما لا شك فيه أن شيخ القبيله قد تمتع بسلطات سياسية واسعه فكان يحق له إعلان الحرب والدعوة إلى السلام كما أن طاعته من أبناء قبيلته تعتبر دينًا واجب الوفاء به يستمعون إلى نصيحته ويدافعون عن سمعته .

ركن أخر من أركان القبيلة الرئيسيه يتمثل في شاعرها فالشاعر هوصوت القبيلة المعبر عن أرائها المادح لأفعالها والذاكر لنسبها والمهاجم لأعدائها ولأسباب كثيرة وظروف مناخية ونظم قبليه وتركيبة العربي كان الصراع والخلاف بين تلك القبائل العربية حيث وقعت مجموعة كبيرة من الحروب عرفت باسم (أيام العرب) .

الأحوال الدينية :

عبد العرب في الجاهلية الأصنام جلبها لهم رجل يُدعي [عمروبن لُحي] من أرض الشام والذي رآهم يعبدونها في أرض البلقاء فقال ما هذه الأصنام التي أراكم تعبدونها ؟ ، قالوا هذه الأصنام نعبدها نستمطرها فتمطرنا ونستنصرها فتنصرنا.

قال لهم: ألا تعطوني منها صنماً فأسير به إلى أرض العرب فيعبدونه.. فأعطوه صنماً يقال له هُبل فقدم به مكة فنصبه وأمر الناس بعبادته [1] .

ويعطي ابن إسحاق تفسيرًا آخر لعبادة الأصنام :

فيقول ويزعمون أن أول ما كانت عبادة الحجارة في بني إسماعيل انه كان لا يظعن من مكة ظاعن منهم حين ضاقت عليهم والتمسوا الفسح في البلاد إلا حمل لهم حجرًا من حجارة الحرم تعظيماً للحرم فحيثما نزل وضعوه فطافوا به طوافهم بالكعبة حتى سلخ ذلك بهم إلى ما كانوا يعبدون ما استحسنوا أية من الحجارة وأعجبهم حتى خلف الخلوف ونسوا ما كانوا علية واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام غيره فعبدوا الأوثان وصاروا إلى ما كانت عليه الأمم مثلهم من الضلالات [2] كما عبدوا مظاهر الطبيعة واعتقدوا في السحر والكهانة .

---

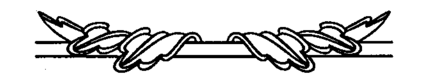
(1) ابن كثير : البداية والنهاية.

(2) ابن هشام : الجزء الأول ص 72 .

أما الديانتين اليهودية والمسيحية فقد وجدنا مراكزها في جنوب وشمال الجزيرة وتسرب إلى الداخل دون أن ينتشرا بين العرب. وكان أثرها في غرب الجزيرة يتمثل في إثارة الجدل حول عبادتها ودفع العرب إلى الشك في عبادتها والعودة إلى دين إبراهيم الخليل عليه السلام وعرف هؤلاء بالحنفاء .

كانت هذه الظروف التي وجدت في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام هي الفترة التي اختارها الله سبحانه وتعالى لكي يمنح الأرض سلامه وإسلامه ودينه الجديد.

وبدأت الدعوة ودخل الناس في دين الله أفواجًا وانتشرت في شتي بقاع الأرض تملأ الدنيا نورًا وعدلاً خرجوا بها أبناء تلك القبائل العربية كفاتحين ودعاه لدين الله الحنيف مسقطين لكل رموز الكفر والشرك داعين بدعوة الله ورسوله ينشرون العلم والنور في كل ربوع الأرض فنصروا الله فنصرهم وذلل لهم الصعاب وجعل لهم الأرض يتبوءون منها حيث شاءوا .



برقة عبر التاريخ

برقة هي: تلك البلاد الواقعة بين مصر وخليج سرت غربًا وحتى الواحات جنوبًا [1].

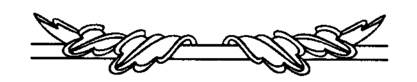
كانت برقة تحت حكم السيادة البيزنطية في العشرة الأولى من الهجرة القرن السابع الميلادي حين أنطلق الفتح العربي من أرض فلسطين نحومصر ثم برقة وما بعدها في غزوات متتالية سادت فيها الخلافة الإسلامية علي الشمال الإفريقي في القرن الثامن الميلادي وبذلك أصبحت برقة تابعة للسيادة الإسلامية في ظل خلافة بني أميّة بدمشق. ومن ثم انتقلت إلى الخلافة العباسية ببغداد بعد زوال الأولى في المشرق، وفي نحوعام 935 م إلى سيادة الاخشيدين بمصر ثم قام الفاطميون بانتزاعها منهم وتمكنوا من السيطرة على مصر وذلك في 969 ميلادية ومن ثم تأسست مدينة القاهرة عاصمة لحكمهم 972 م .

وفي تلك الفترة ساهم خروج بن باديس على الدولة الفاطمية من أرض برقة وطرابلس ودعوته لبني العباس في وصول طلائع القبائل القيسية والتي شكلت العنصر العربي والأغلب من سكان المنطقة في برقة. وبسقوط الفاطميين 1118م انتقلت برقة لتكون جزءً من مملكة صلاح الدين الأيوبي والذين خلفهم على حكم مصر المماليك البحرية الذين احتلوا برقة 1262 م تقريبًا ومن بعدهم المماليك الشراكسة 1382م والذين دام حكمهم حتى 1517م بدخول العثمانيين والأتراك الذين جعلوا من مصر ولاية تابعه لحكمهم وفي ظل تلك الممالك المختلفة لم تكن برقة في الواقع إلا مسرحًا للأحداث المتضاربة وظلت بلدًا مهملاً لفترات طويلة ومركزًا لصراعات المغامرين وملاذاً للعبث تبعه دمار وخراب شمل المنطقة. وبانهيار الحكم الحفصي سيطر العثمانيون في النصف الأول من القرن السادس عشر على المنطقة ومارس سيادته عليها إلا

(1) سكان ليبيا هنريكواوغسطيني ج2 .

أن هذه السيطرة لم تكن إلاّ على المدن الساحلية وظلت المدن الداخلية تابعه لها أسميا تمثلت في جباية الضرائب من القبائل المهادنة أو في القيام بحملات تأديبه ضد القبائل المعادية وذلك حتى سيادة القرمانليين في 1711م كولاة للباب العالي بتركيا ، والذين لم يكن حكمهم سوى سلسله من الصراعات المحزنة انتهت بالانهيار الكامل للبلاد .

ولقد عبّر الرحالة الايطالي باولوديتلا شيلا عن ذلك قائلاً : أن كل مهام هؤلاء الحكام تؤول إلى مجرد جبايات متواصلة مستمرة وأخرى معتادة أو محدده وأخرى استثنائية أو شخصية وأن عبقريتهم في إبداع أسماء لهذه الضرائب لعبقرية قوية خصبة وحين تسير هذه المصالح وتتم جباية الضرائب فيمكن القول بنهاية أي علاقة بين الحاكم والمحكوم ويضاف إلى تلك الممارسات التي جرت بشكل واسع من قبل قراصنة الشمال الإفريقي والذين يمثلون موردًا هامًّا لهذه الحكومات من القرمانليين التي أدت إلى أعمال انتقاميه من جانب الدول الأوربية تمثلت في قذف بحري وعمليات إنزال طلبًا للتعويضات كل ذلك كان أدعى لأن تثقل كاهل تلك القبائل والسكان الذين وقع عليهم العبء الأكبر ، والذين استنزفهم من جانب آخر صراعات وفوضى داخلية واقتتال بينهم ، الأمر الذي أدى إلى المطالبة بعودة السيادة التركية وإزاحة هؤلاء الحكام من القرمانليين وقد تم ذلك في 1835م بعودة الحكم العثماني الثاني والذي استمر حتى عام 1911م بدخول ايطاليا وسقوط تركيا.





الفصل الثاني

دخول العرب الفاتحين عبر القرون الثلاث الأولى وزحف قبائل بني هلال وسليم القرن الخامس الهجري

انـــــظر الشكل رقم 3 .

وإن كانت البداية هى مصر التي فتحها المسلمون عام 21هـ 641م بقيادة عمروبن العاص واستكمل فتحها بسقوط الإسكندرية عام 22 هـ فحرص على تأمين السيطرة العربية على مصر فاتجه إلى فتح برقه.

ولم تستقر تلك القبائل المشار إليها بهذه المناطق وإنما واصلت الزحف غربًا مع جيوش المسلمين ولم يتبق منها إلا القليل من القبائل القيسيّه .

ففي الفسطاط نزلت جماعة من قريش وغفار وثقيف ودوس وظلت هكذا بداية العقد الأول من القرن الثاني الهجري حتى أرسل عبد العزيز بن مروان الأموي والذي ولي مصر يخاطب أباه مروان بن الحكم (يا أمير المؤمنين كيف المقام ببلد ليس فيه أحد من بني أبي) ولم يكن في مصر حينذاك من العدنانية أو القيسية إلا جماعات قليله ، وتوالت القبائل القيسية بعدها إلى مصر .

كان بنوسليم يسكنون عالية نجد في أماكن تسمى الحرة وقيل أيضًا بأن لسليم وهلال مواطن بالعراق وقد اتخذوا لهم محلة بوادي الكوفة في 120 هـ على التقريب.

كما استوطن بنوهلال نواحي حلب والموصل ونزلوا المنازل التي كانت قبلهم لربيعه وكهلان .

أما في مصر فيذكر المقريزي أن عبيد الله بن الحبحاب لما ولاّه هشام الأموي مصر قال :

ما أرى لقيس حظاً إلا لناس من جديلة وفهم وعدنان فكتب إلى هشام (إن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه قد شرف هذا الحي من قيس وتغشهم برفع ذكرهم

واني قدمت مصر فلم أر لهم فيها حظاً إلاّ أبياتاً من فهم ، وفيها كور ليس فيها أحد وليس يضر بأهلها نزولهم معهم ولا يكسر خراجًا وهوبلبيس فإن رأى أمير المؤمنين أن ينزلها هذا الحي من قيس فليفعل فكتب إلى هشام أنت وذلك).

فبعث إلى البادية فقدم عليه مائه أهل بيت من بني نصر ومائه أهل بيت من بني سليم فأنزلهم بلبيس وكان ذلك في بداية القرن الثاني للهجرة .

وبعد استيطان هذه المجموعة واستقرارها دفع ذلك بقيتهم من القبائل إلى مغادرة بواديهم واللحاق بإخوانهم من القبائل الأخرى في مصر .

وأدى ذلك إلى ازدياد أعدادهم حيث ذكر المقريزي أنهم قد وصل تعدادهم إلى ألف وخمسمائة من أهل قيس حتى إذا كان زمن مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية وولاية بن سهيل الباهلي مصر مالت إليه قيس ، فمات مروان وبها ثلاثة آلاف أهل بيت ثم توالدوا وقدم عليهم من البادية من قدم .

ويطرح الباحث هنا سؤالاً عن الأهداف الكامنة وراء هذه الهجرة التي اعتبرها البعض أنها هجرة قسريّه لا اختياريّه فهل كان قرار الخليفة هشام الأموي في نقل هذه القبائل القيسيه من الجزيرة العربية إلى مصر يعود إلى رغبة الأمويين في اعمار تلك المناطق من مصر وإسكانها بالعناصر العربية التي لم تكن تنعم بالعيش الرغد في الجزيرة العربية ؟.

أم أراد التخلص منهم وابعادهم لأسباب آخرى ؟ أو على حد قول المقريزي في ذلك بأنهم لم يكن لهم دورًا كبيرًا في المنطقه ؟.

ويرى آخرون كصاحب مقال (مراحل تاريخ الهلالية في المشرق) بأن هذا القرار ما كان إلا رغبة في تدعيم الحكم الأموي في كل الجهات التابعة لها بما فيها مصر ويرجع ذلك إلى أسباب اقتصادية منها البحث عن المراعي ، إضافة إلى طبيعة القبائل نفسها في الانتجاع والتنقل وبذلك لا يستقر لهم قرار في مكان واحد .

زحف القبائل القيسيّة هلال وسليم إلى برقه ..

كانت قبائل بني هلال وبني سليم تسكن الجزيرة العربية ، وكانت مضاربها متوزعه حول المدينة النبوية ومكة والطائف ونجد ، واستطاع القرامطة أن يستغلوهم في حروبهم ضد الخلافة العباسية والدولة العبيدية الفاطمية وتأثر بعض زعماء هذه القبائل بأفكار وعقائد القرامطة ولم يكن تأثيرهم عميقا وإنما كانت لها أسباب اقتصادية ونزعة تمردية على الانقياد للدولة العباسية .

وفي قتال القرامطة مع العبيديين لعبت هذه القبائل دورًا بارزًا في الشام وكان لها شوكه ومنعه وعدة وعتاد .

استطاع الخليفة المستنصر العبيدي في مصر أن يجلبهم ويقربهم له بالعطايا والهدايا والأموال واستجاب لطرح الخليفة العبيدي الذي كان حريصًا على وجود العنصر العربي في دولته حيث أعطتهم الدولة العبيدية أراض خصبه على ضفاف النيل وأعطت القبائل ولائها للدولة العبيدية وأخلصت للخليفة العبيدي الذي قرر الانتقام من المعز بن باديس البربري الصنهاجي والذي خرج على طاعة الخليفة المستنصر بالله الفاطمي ودخل في طاعة الخليفة العباسي القائم أبي جعفر القادر وتقويض سلطانه. فاستشار وزيره أبا محمد الحسن بن علي اليازوري فأشار عليه اليازوري أن يغري قبائل بني سليم وبني هلال بفروعها باجتياح إفريقيه بهذه القبائل ذات الشوكة والشكيمة والمنعة والدراية بالحروب وخصوصًا أن الدولة العبيدية كانت لا تستطيع إرسال جيوشها بسبب انشغالها بالقرامطة ومشروعاتها بالشام والمشرق عمومًا ولأن طوائف من جيشها من نفس جنس المغاربة بل من قادتهم من هومن نفس قبيلة المعز بن باديس.

وكانت القبائل العربية التي في صعيد مصر بعضها يرجع للفتح الإسلامي والتي ذكرنا أنفا قد زادت بعد تركها للجزيرة العربية ومجيئهم إلى مصر في زمن

العزيز العبيدي واشتهرت تلك القبائل في صعيد مصر بفعل القلاقل وإشاعة الإضراب والفوضى في البلاد فكانت هذه المرة فرصه ذهبية للتخلص منها والانتقام من عدوالدولة بن باديس وقهره والتشفي منه.

فأرسلهم إلى المغرب وأباح لهم برقة إلى ما بعدها وكان يرمي بذلك إلى هدفين وهما :

1 - الانتقام من المعز بن باديس وتقويض سلطانه .

2 - التخلص من هذه القبائل الشرسة والتي أصبحت تمثل خطرًا على الفاطميين في مصر .

وقد لخص بن خلدون هذه النصيحة قائلاً :

فإن صدقت المخيلة في ظفرهم بالمعز وصنهاجه كانوا أولياءً للدعوة وعمالاً بتلك القاصية وارتفع عدوانهم عن مساحة الخلافة وإن كانت الأخرى فلها ما بعدها .

وينسب للمُستنصر قوله : والله لأرمينّه بجيوش لا أتحمل فيها مشقة .

فدعى العرب وأباح لهم مجاز النيل إلى المغرب وكانت ممنوعة عنها من قبل ذلك فعبر منهم خلق عظيم .

واجتمع الأمير المستنصر العبيدي مع زعماء القبائل العربية ومناهم بالمساعدة المالية والمعنويه وأعطاهم خيولاً وسلاحًا وعتادًا وكل ما يساعدهم في تحقيق أهدافه الشريرة وأباح لهم إفريقيا يفعلون فيها ما يشاءون وقال لهم : لقد أعطيناكم أفريقيه وملك بن باديس فلا تفتقرون بعدها.

وعندما تحركت جموع العرب في 442هـ 1050م أرسل الوزير العبيدي إلى المعز بن باديس رسالة قائلاً فيها له : أما بعد فقد أرسلنا إليكم خيولاً فحولاً وحملنا عليها رجالاً كهولاً ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا .

اجتازت بنو سليم وبنو هلال نهر النيل واجتاحت برقة وطرابلس واستباحتها وتقارعت على البلاد فكان لسليم برقه ولهلال طرابلس وما والاها واستقرت

في برقه من سليم هيب وأحلافها من رواحه وناصره وعميره وصارت قبائل دباب وعوف وزغب مع بطون بني هلال إلى افريقية وكانوا كالجراد المنتشر لا يمرون بشيء إلا وأتوا عليه حتى وصلوا إلى افريقية 443 هـ وواصلت القبائل العربية زحفها إلى طرابلس ونواحي تونس وكان تعداد هذه القبائل المهاجمة على الشمال الإفريقي أربعمائة ألف ولحقتها أفواجٌ أخرى ويذكر بعض المؤرخين ان العدد الكلي وصل الى مليون نسمة على مراحل متعددة .

وعندما استقرت هذه القبائل في برقة أرسلت احد شيوخها وهومؤنس بن يحي بن مرداس من بني رياح أحد بطون بني هلال لينزل ضيفًا على المعز بن باديس وأحسن في ضيافته وعرض عليه المعز أن يتخذ من بني عمه رياح جندًا له فأشار عليه مؤنس بألَّا يفعل معللاً ذلك بعدم انقيادهم واختلاف كلمتهم فلم يقتنع المعز بذلك .

وقال مؤنس للمعز : أنهم قوم لا طاقة لك بهم فقال المعز هم دون ذلك : فاعتبرها مؤنس إهانه للعرب وظن المعز مؤنسًا لا يريد أن يكون لغيره سلطان على قومه وصارحه بذلك .

فلما رجع مؤنس إلى قومه رغبهم ووصف لهم من خيرات إفريقيه وأبهة المعز مارغبهم في الإسراع في الرحيل فانسابوا في أرض إفريقية في جموع لا يدرك أولها ولا ينتهي آخرها، ومن أشهر القبائل العربية التي زحفت على ملك المعز بن باديس بنوسليم بن منصور وبنوهلال بن عامر وهم من مضر من قيس عيلان [1].

وكانت زغبه والاثبج وعدي ورياح من الهلالين من بني عامر بن صعصعه وهذه القبائل مضريه عدنانية وقبيلة كهلان وهي قحطانية وقبائل أخرى غير مشهورة .

وعندما رحلت بنوهلال والاثبج وعدي إلى إفريقية يريدون اللحاق

(1) صفحات من تاريخ الإسلامي د/ علي الصلابي.

بالقيروإن قال لهم مؤنس أليس هذا برأي يحتاج إلى تدبير ؟، فقالوا ماذا نصنع؟ فقال: أئتوني ببساط فأتوا به فبسطه وقال لهم من يدخل إلى وسط البساط دون أن يمشي عليه ؟.

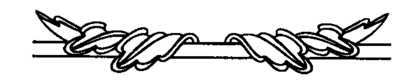
فقالوا : من يقدر على ذلك ؟ .

فقال : أنا ..

فطوى البساط واتى طرفه وفتح مقدار ذراع ووقف عليه ثم فتح شيء آخر ودخل إليه وقال هكذا فاصنعوا ببلاد المغرب فاملكوها شيء فشيء حتى لا يبقي عليكم إلا القيروان فأتوها فأنكم تملكونها .

فقال له رافع بن حماد وهوأحد رؤساء العرب : صدقتَ يا مؤنس والله إنك لشيخ العرب وأميرها فقد قدمناك على أنفسنا فلسنا نقطع أمرًا دونك .

فالتقى الجمعان بين قابس والقيروان في مكان يقال له (حيد ران) وانضم عرب الفتح الأوائل إلى هلال وذلك للعصبية القديمه وخارت قوة زناته وصنهاجة تحت الزحف العظيم لتلك القبائل وهزم المعز بن باديس ولاذ بالفرار وتصرم الملك من يديه. وعلى رغم مما لحق برقه وطرابلس من خراب من جراء تلك الحروب الطاحنة إلا أنها كانت عاملاً مهما في إحياء اللغة وترسيخها والحفاظ على العادات والتقاليد العربية في تلك البيئة البربرية وقد أشار ابن خلدون الى أن قبائل بني يفرن وهواره من البربر قد تبدوا مع بني سليم ونسوا رطانة الأعاجم وتكلموا لغة العرب وتحلوا بشعارهم في جميع أحوالهم حيث صاروا في عداد الناجعة من عرب سليم، وارتدوا زيهم وسكنوا الخيام وتحلوا بركوب الخيل وكسب الإبل وممارسة الحروب حتى أنهم هجروا رطانة البربر واستبدلوا منها فصاحة العرب فلا يكاد يفرق بينهم .



القبائل القيسيّة بنو هلال وسليم في برقة والمغرب الأقصى شكل رقم (4)

تعتبر بنوهلال وسليم من أكبر وأعظم القبائل التي هاجرت ودخلت شمال إفريقيا في عصر ما بعد الفتوحات الإسلامية واستوطنت تلك المناطق من الشمال الإفريقي والتي حازت عليها بعد صراعات طويلة وحروب شائكة يصعب ملاحقتها وسلسلة من الصراعات المحلية أحيانًا وتكتلات وأحلاف ضد عدوان خارجي أحيانًا أخرى نجد فيها أن هذه القبائل كانت تمثل عاملاً رئيسيًا في تلك الأحداث المتشابكة والمتداخله .

عبرت هذه القبائل والمجموعات الكبيرة نحوالغرب في شكل رحلات متعاقبة قد ذكرنا أسبابها

حيث دخل بنوهلال أولاً ثم لحق بهم أخوانهم من بني سليم بعد ذلك بأعوام قليله ، يأتي ذكرهم على النحوالتالي:

أولاً: بنو هلال :

وهم هلال بن عامر بن صعصعه بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفه بن قيس عيلان بن مضر بن عدنان .

ذكر ابن خلدون أن دخولهم كان في العام 1051م ، حيث جاء في العبر أن العرب دخلوا البلد واستباحوا واكتسحوا المكاسب واستصفوا ما كان لآل بلكين البربر في قصورها وشملوا بالعبث والنهب سائر من فيها وتفرق أهلها في الأقطار فعظمت الرزية وأعضل الخطب .

ثم ارتحلوا إلى المهدية (تونس) فنزلوها وضيقوا عليها ثم حاربوا زناته وصنهاجة وغلبوهم على الضواحي.. وغزاهم صاحب تلمسان بجيوشه مع وزيره أبي سعده خليفة اليفرني الزناتي فهزموه وقتلوه بعد حروب طويلة

وأضطرب أمر إفريقية . وكانت رياسة الضواحي من زناته والبربر لبني يفرن ونفراوه وبني يمانوولم يزل هذا دأب العرب حتى غلبوا على زناتة وصنهاجة وقهروا من بها من البربر وصيروهم عبيدًا وخدمًا بباجه، وكان لهؤلاء العرب لعهد دخولهم إفريقية رجالات مذكورون وكان من أشرافهم حسن بن سرحان وأخوه بدر فضل بن ناهض وينسبون هؤلاء في دُريد من الاثبج، وسلامه بن رزق في بني كثير في بطون كرفه بن الاثبج وشبان بن الاحيمر وأخوه وذياب بن غانم وينسبون في بني ثور وموسى بن يحى في مرداس وغيرهم وكان زياد بن عامر رائدهم في دخول إفريقيه .

وشعوبهم في ذلك الوقت هى (زغبه ورياح والاثبج وقرة) ، وكلهم من هلال بن عامر ومعهم أحلافهم جشم ومعقل .

وقد دخلت هذه القبائل القيسيّة في حروب كثيرة وصراعات طويلة لا يتسع المجال لسردها حتى تم لهم الاستقرار بصفة نهائيه في بلاد تونس حتى المغرب الأقصى، وذلك لأنها كانت مسرحًا لأحداثهم ومغامراتهم ولأن برقه وطرابلس لم تكن إلاّ مجرد معبرًا لهم ظل بها عدد قليل منهم مثل بني قرة بن مناف وآخرين بمناطق متفرقة انتمت إلى بطون أخرى مع مرور الزمن ودخلت في أحلاف تحت مسميات جديدة أخرى سيأتي ذكرها لاحقًا .

وكان استقرار فروع بني هلال [1] في بلاد المغرب من شمال إفريقيا على النحو التالي (شكل رقم 4).

الاثبج : استقر اغلبها في وسط الجزائر ومنها من هم في أقصى المغرب ابعدوا إلى هناك في 1187م بعد جلائهم على يد الموحدين.

رياح : يوجد منهم بالساحل التونسي ومنهم من يقيم بالجزائر الشرقية مثل الدواوده وبقيتهم إندمجا مع البربر نتيجة للقمع الذي تعرضوا له فيما بعد وتبقى منهم جزء في برقه من قرة مناف.

---

(1) لاحظ أن من بطون بني هلال وإخوانهم المذكورة سيكون لها عقب كبير في برقه لاحقًا.

زغبه : صاروا من قابس (تونس) إلى المنطقة الشرقية من الجزائر وذلك تحت ضغط بني سليم ثم اضطرهم الزيانيون إلى النزوح حتى بجايه وتلمسان في الغرب.

معقل وجشم : استقرت معقل بالجزائر وجنوب المغرب أما جشم فكان جميعهم بالمغرب الأقصى .

ثانياً : بنو سُليم 1066م طلائع بني سليم بافريقيّه :

انظر الشكل رقم(5) .

وهم سليم بن بهته بن منصور بن عكرمة بن خصِفة بن قيس عيلان بن مضر بن عدنان .

بعد نجاح بني هلال في الهجرة الأولى ترامت الأنباء إلى بني سليم الذين انتقلوا بدورهم من مناطق استقرارهم شرقي النيل إلى برقه وبلاد المغرب العربي .

وكان بنو سليم في تاريخ انتقالهم يتشكلون من أربعه بطون وهى :

(عوف ، دباب ، زغب ، هيب).

انتقل بنوعوف ودباب وزغب إلى طرابلس بينما استقر بنوهيب في برقه مع حلفائهم من رواحه وناصره وعميره .

ظل العدد الأكبر من بني سليم في المناطق الشرقية من طرابلس، ولم يندفع نحوالغرب إلا بعد منتصف القرن الثاني عشر حيث أخذ في الملاحقة والتضييق على بني زغبه من الهلاليين والدفع بهم نحوتونس .

كما اتفق دخول بني سليم مع ثورة قراقوش وبن غانية وخروجهم على الحفصيين فقدم لهم بنوسليم العون خاصة دباب وزغب الذين كانا من مؤيديهم بينما كان بنوعوف من الذين شكلوا الدعم الأساسي في تثبيت دعائم الحفصيين . وبنو عوف هم الذين قاموا بابعاد بني رياح من الهلاليين والذين

كانوا أعداء للحفصيين فقام حلفاؤهم بنوعوف بأبعاد بني رياح ودفعهم نحوالغرب الأقصى وكان على رأس من أنضم للحفصيين من بني عوف الكعوب والذين تحصلوا على الإقطاعيات والأراضي في مناطق الجريد والتل وصفاقس نظير حلفهم .

وقد استقرت بطون بني سليم في الشمال الإفريقي على النحوالتالي :

1 - **بنوعوف : ذكر بن خلدون بني عوف قائلاً :**

ومن بني سليم بنوعوف بن بهته ما بين قابس (تونس) وبلد العُنّاب (الجزائر) من أفريقيه وهم مرداس وعلاق . فبني مرداس رياستهم في بني جامع كما كانت رياسة بني علاق في رافع بن حماد ومن أعقابه الكعوب رؤساء سليم لهذا العهد بإفريقيه (تونس) .

وقال بن فضل الله شهاب الدين في مسالك الأبصار :

ومن الكعوب أولاد أبي الليل وهم أكابر العرب هناك وفيهم الامره ولهم الصوله .

قال الحمداني: منهم الكعوب جمع كعب ومساكنهم أفريقية من بلاد المغرب ومنهم في الصعيد والفيوم والبحيره ناس كثيرة وفي برقه إلى الغرب ما لا يحصى.

وذكر بن خلدون : أن رياسة بني عوف كانت في الكعوب لذئاب أبي الليل وذلك عهد بن خلدون حيث قال : وقد نازع أحمد بني شيخه رياستهم الكعوب وتابعه في ذلك أبنه أبوالفضل ثم من بعده أخوه أبوالليل إلى أن أستبد أبوالليل بالرياسة في الكعوب فرياستهم لهذا العهد في ذئاب أبي الليل بن أحمد بن كعب بن عوف.

2 - **بنودباب :**

انظر الشكل رقم (3) .

وهم بنودباب بن بهته بن سليم.

ذكرهم ابن خلدون في العبر وقال : أن مساكنهم بين قابس وبرقه مجاورين لبني هيب .

وقال صاحب مسالك الأبصار: وأرضهم بين قابس وطرابلس من بلاد المغرب.

وكان بنودباب أصحاب قراقوش وبن غانية وقتل قراقوش منهم شيوخ الجواري ثم صاروا بعد هلاك بن غانية الى خدمة أبي زكريا أمير الحفصيين .

ومن بطون دباب وهب ومنهم آل سليمان وأخوتهم آل سالم وموطنهم مصراته ومسلاته ولبده ومنهم شعوب وهم العلاونه ومنهم مرزق والاحاميد والعمايم وهي بطنان أولاد غيث والبراهمه .

وقال التجاني : هم بطون أربعه الصهب ، الحماديه ، الخرجه ، الأصابعه وهم أبناء جابر بن رافع بن دباب ومنه الصهب والحمادية والعوامر ومن العوامر سنان ونائل (النوايل) ووشاح ومن وشاح الجوارى والمحاميد وأولاد سباع والتمايم والرئاسة في أولاد وشاح وهم بين قابس وسوسة ونفوسه .

3- **بنو زغب :**

وهم مع أخوتهم بني دباب بين قابس وبرقه يلي بني هيب البطن الرابع لسليم ومنهم المقارحه اليوم .

4 - **بنوهيب :**

وهم هيب بن بهته بن سليم انظر الشكل رقم (3) .

وقال بن خلدون : ويلي دباب هيب منهم بني أحمد باجدابيه وشماخ.

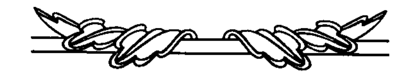
وقال :ومن هيب محارب وسمال ورئاستهم في بني عزّاز ومعهم بنوجعفر وشيخهم لهذا العهد أبوذئب من بني جعفر .

وقال السويدي : ومنهم لبيد وذكر لهم أربعة وعشرين بطنا وقال منازلهم برقه

ومن لبيد: مقدم وأولاد سلام ومنازلهم بين العقبة الكبري[1] إلى الإسكندرية.

وسنأتي على ذكر[بني هيب] هؤلاء من أهل برقه بالتفصيل حيث يبدولنا أنه البطن الجامع لمعظم القبائل ببرقه في القرون المتأخرة إلى هذا العهد. لنصل به إلى النتيجة التي وصل إليها بحثنا هذا بعد تتبع وتقصي للأحداث والظروف التي مرت بها هذه المنطقة (برقه) موضوع الدراسة من اختلاط بشري وتغير لجغرافية السكان تبعًا لعوامل كثيرة أحدثتها حروب وصراعات ومجاعات ضربت تلك المنطقة فأحدثت بها تغيرات كثيرة .

حيث بدأت لنا هجرات عكسية بين الغرب والشرق والشمال والجنوب وانتقال قبائل بأكملها من تلك البقاع ونزوحها إلى أماكن أخرى وقيام أحلاف قد تنضم إليها عناصر أو تنفصل عنها أخري. وهذا ما يتطلب الدراسة والبحث والتتبع حتى نفصل هذه الأحداث المتشابكة والمتشعبة والمعقدة أحيانًا كثيرة ونعمل على تهذيبها والوصول بها إلى حقيقة من واقع التاريخ ليستوعبها العقل ويزال بها ذلك العبث والأسطورة في سرد التاريخ والتي غالبًا ما كانت من نسيج الأطراف المنتصرة عبر الزمن .



(1) عقبة السلوم حاليًا وهي مدينة على الحدود الغربية من مصر.

الفصل الثالث

ذكر القبائل المستقرة ببرقه منذ الفتح الإسلامي

ذكر اليعقوبي في معجم البلدان أن برقة شكلت بعد الفتح الإسلامي محطة للجيوش الإسلامية في الطريق إلى المغرب والأندلس .

وأن برقه في القرن العاشر الميلادي قد استقر فيها بعض أبناء القبائل العربية ولكن هذا التواجد لم يكن ذا أهمية على الصعيد الاجتماعي والسياسي وبقي النفوذ في برقه لقبائل البربر حتى دخول قبائل بني سليم وهلال بداية القرن الحادي عشر 1054م 443هـ.

1 - **قبائل برقه المستقرة في الفترة من 1100 م : 1200م :**

ذكرها الإدريسي بعد مائه عام من الهجرة الهلالية والسليمة قائلاً : أن مواطن هيب بن سليم كانت من طلميثة إلى لك .

ومواطن أحلافهم من ناصرة وعميرة من قصر العطش إلى قافز أما رواحه من طلميثة إلى أرض برنيق ..

2 - **قبائل برقه المستقرة في الفترة 1200م : 1300 م شكل رقم (7) :**

وذلك كان آواخر عهد الدولة الأيوبية وأبان عهد دولة المماليك في مصر حيث كانت برقه تابعه لها في تلك الزمن .

ومن أحداث تلك الزمن ذكر أنه في عام 1264م 662هـ خرج السلطان الظاهر بيبرس وسار إلى وادي هيب ونزل الأديرة هناك وسلك إلى العقبة وأدركه عيد النحر هناك وجرد جماعة لأخذ عربان قد بلغه كثرة فسادهم وأحضر عرب هواره وعرب سليم وألزمهم بأشهاد وكتب عليهم بعمارة البلاد وألا يؤوا أحدًا من أهل الفساد [1] .

(1) المقريزي : السلوك.

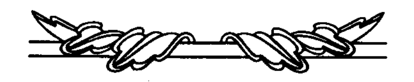
ثم عاد إلى القاهرة ورسم بتقديم سيف الدين عطاء الله بن عزاز بن مقدم علي عرب برقه وألزمه بجباية زكاة المواشي وأخذ عشر الزروع والثمار بفريضة الله والتزم بذلك وانعم عليه بسنجق ونقارات [1] وتوجه لحفظ البلاد واستخرج الزكاة والعشور من عربان برقه .

وكما يبدولك من الشكل رقم (7) عرب لبيد من حدود الإسكندرية حتى العقبة الكبرى وما يليها ومنهم مقدم ورئاستهم في بني عزاز [2] في سيف الدين عطاء الله بن عزاز المذكور آنفا.

وجيرانهم إلى الغرب بنوهيب بن سليم ومساكنهم من سوسه إلى بئر السدرة (اجدابية) وسنأتي على ذكرهم فيما بعد .

وقال ابن خلدون نقلاً عن ابن سعيد : وفيما بين الإسكندرية ومصر قبائل رحاله ينتقلون في نواحي البحيرة هناك يعمرون أرضها بالسكنى والفلح يخرجون في المشاتي إلى نواحي العقبة وبرقه وهم من مزاته وزناره وهواره احدى بطون لواته من البربر وعليهم مغارم الفلح ويندرج فيهم أخلاط العرب والبربر لا يحصون كثرة.

وبنواحي أخرى قبائل من العرب من بني هلال وبني كلاب بن ربيعه أحياء يركبون الخيل ويحملون السلاح يعمرون الأرض بالفلاحة ويقومون بالخراج للسلطان وبينهم من الحروب والفتن ما ليس يكون بين أحياء القفر.



(1) رايات : المقريزي السلوك .

(2) توجد منطقة قديمة بأرض البطنان من برقه تسمي رأس عزاز نعتقد أنها سميت نسبة لهم.

المبحث الأول

قبائل برقه في الفترة من 1300 م : 1400م



وكانت فيها على قسمين عرب لبيد وهيب (بني جعفر وشماخ) وهم على النحو التالي:

أولاً : عرب لبيد : وكان تحتهم من البربر مثل زناره ومزاته وهواره وغيرهم شكل رقم (8) ، (9) .

منازلهم : كانت تمتد من حدود الإسكندرية إلى العقبة الكبرى غربًا إلى ما بعدها حتى حدودهم مع جيرانهم بني جعفر بن هيب من أرض سوسه.

أنسابهم : وفيها خلاف وسأبدأ بالراجح عندي وهوما ذكره المقريزي قائلاً: وفيما بين برقه والعقبة أولاد سلام وما بين العقبة الكبيرة والإسكندرية أولاد مقدم وهم بطنان التركية وأولاد فايد [1]وهم ينسبون إلى لبيد بن علي بن هبة ابن جعفر بن كلاب بن ربيعه بن عامر أخوة بني هلال بن عامر وهم ثلاثة أخوة [لبيد وزبيد وحديد] قال ومن حديد محارب . انتهى..

وأكد ذلك بن خلدون بقوله أن محارب من جعفر بن كلاب بن ربيعه بن عامر أخوة بني هلال كما ذكر أنه يقال أن مقدم من ربيعه بن نزار وقيل لبيد بن سليم . قلت والراجح عندي ربيعه بن عامر أخوه بني هلال كما قال المقريزي وأكده ابن خلدون . (والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب).

قال القلقشندى صاحب قلائد الجمان وأبو الفضل في مسالك الأبصار وذكرا لبيد من سليم وقالا : ومن سليم لبيد وهى بطن عظيم مساكنهم أرض برقه ولهم أفخاذ متسعة وهى أولاد سلام ومقدم والبركات والحدادة والموالك والحوتة والعواكله [2] والجواشنه وأولاد حرام والبلابيش والدروع والنوافله

(1) المقريزي : البيان والإعراب .
(2) القبائل المشار إليها لا تزال موجودة للآن موزعه على القبائل في حين أنها كما يبدوذات أصل واحد وهولبيد.

وبنو قطاب والشراعبة والصريرات والنبلة والسوالم والسبوت والبواجنه والقصايص والعلاونه والزرازير كما ذكرهم النسابة أبو الفوز البغدادي جاعلاً لبيد في سليم [1] ومساكنهم من العقبة الكبرى إلى سوسه .

وذكرهم بن خلدون في العبر وكذلك المقريزي في البيان والإعراب أيضًا وقال : وكانت زعامتهم في بني عزّاز بن مقدم لزمن طويل . كما قال أبو الفضل شهاب الدين في المسالك : والإمرة في بني عزاز بن مقدم قال : وكلهم كرام سراة أماجد وكان منهم عطاء الله بن عزاز للقرى والقراع [2] مُطاعًا في قومه وهو أبو خالد ..

وهم أهل بيت فيهم عدد جم من ذوي القدر وأبناه معز وعمر من مشاهيرهم وعلوي بن إبراهيم بن عزاز وعمر بن مشعل بن عزاز ومن أكابر جماعتهم جماعة بن مليح المنصوري أصحاب غازي بن نجم ، وعليان بن عريف وبلبوش وكان قد هرب من السلطان الملك الظاهر بيبرس فأرسل جيشًا وراءه فقاتله وانتصر عليه واعتقله ثم أفرج عنه وهو والد زيد بن بلبوش، وجماعة سعيد بن العريب بن الأحمر ومن ذوي محالفتهم جماعة محمد الهواري . انتهى .

أوضاعهم السياسية :

انظر الشكل رقم (10) .

1 - كانوا على خلاف مع إخوانهم بني شماخ بن هيب بن سليم جيرتهم ببرقه وذكر بن خلدون أنه كانت بينهم حروب وفتن .

2 - كانوا تحت الدولة الأيوبية أيام الحكم الأيوبي لمصر وبرقه ثم صاروا إلى المماليك والذين كما يبدولنا من واقع الأحداث أنهم رفضوا سيادتهم على برقه أيامًا طويلة في بادئ الأمر وذلك من خلال الحملات والتجريدات من قبل المماليك تجاه برقه إلى أن تمكن منهم المماليك وفرضوا سيطرتهم على أرض برقه

(1) السويدي البغدادي : سبائك الذهب .

(2) ذكرناه آنفا وهو الذي قلده الظاهر بيبرس أميرا على برقه .

واستطاعوا أن يضموا عرب لبيد الذين أنصاعوا إليهم ودخلوا في طاعتهم وقد تبين لك ذلك عندما عاد السلطان الظاهر بيبرس إلى القاهرة من برقه ورسم بتقديم سيف الدين عطاء الله بن عزاز بن مقدم من لبيد على عرب برقه وأخذ عليه العهود والمواثيق .

وسيتبين لك بعد ذلك أن أبناء عزاز بن مقدم بن لبيد كانوا يخرجون على رأس الحملات التي كان يرسلها سلاطين المماليك من مصر إلى برقه عند حدوث أي تمرد أو ثورة أو تأخير في خراج الدولة من تلك البقاع والأراضي من برقه.

وكانت الامره علي عربان البحيرة في الأيام الناصرية (محمد بن قلاوون) نحو719 هـ 1319 م فيهم لفايد بن مقدم وخالد بن سليمان وكانا أميرين سيدين ذوي كر وأمن وشجاعه [1].

ثانيًا : بنوهيب بن سليم وهم على قسمين (بني جعفر وشماخ)

شكل رقم (8) ، (9) .

1 - **بنوجعفر:** منازلهم : ذكرهم المقريزي وغيره وقالوا منازلهم من سوسه إلى بئر السدره يحدهم عرب لبيد من الشرق ويحدهم من الغرب شماخ .

وقال جماعة جعفر بن عمر وهم المعزه (الجعافره) ، أولاد أحمد وتحتهم المثانيه ، الياسه ، عرعره ، العظمة ، العكمة ، المزايل ،والسهاونة ، ومنازلهم كما ذكرنا من سوسه إلى بئر السدره (أجدابيه) وهي أخر حدود مصر ومسافتها من الإسكندرية نحوشهر بسير القوافل .

أنسابهم :

وفيها خلاف وسأبدأ بالراجح عندي ولي فيه أدلة وهي كالتالي :

بنوجعفر من المعزه يرجعون إلى شماخ بن هيب بن سليم جيرتهم من الغرب حتى بئر السدرة كما هوواضح بشكل 8 و 9 والرئاسة كانت فيهم لجعفر بن عمر

(1) القلقشندى : صبح الاعشى .

نحو 719 هـ [1] ،والقبائل التي كانت تحت أيديهم من اليهود والبربر المنتسبة إليهم. مثل المثانية والتي ذكر بن خلدون أنها من هواره ومثل الياسة وعرعره والعظمة وغيرهم من القبائل التي ذكرناها آنفاً سوى أولاد أحمد والذين صارت لهم الرئاسة بعد ذلك نحوعام 740 هـ في (ذؤيب بني جعفر).

حيث عبر عن ذلك بن خلدون قائلاً :

ومن سليم هيب بن بهته أخوة بني عوف بن بهته [2] ومساكنهم ما بين السدرة (اجدابية) من برقه فأول ما يلي الغرب منهم بنوأحمد لهم أجدابية وجهاتها وهم عدد يرهبهم الحاج ويرجعون إلى شماخ بن هيب وقبائل شماخ لها عدد وأسماء متمايزة ولها العز في هيب لكونها حازت الخصيب من بلاد برقه مثل المرج وطلميثة ودرنه [3] ثم استأنف قائلاً : وفي المشرق عنهم إلى العقبة الكبيرة والصغيرة فسمال ومحارب والرئاسة في هاتين القبيلتين لبني عزاز بن مقدم وقد ذكرناهم آنفا .لاحظ بذكر حدود بني هيب تجاوز بن خلدون أرض بني جعفر ولم يقل وفي المشرق عنهم أي (هيب) بنوجعفر وإنما تخطى ذلك بقوله وفي المشرق سمال ومحارب اللتين تحت بني عزاز بن مِقدم أبناء لبيد وكأنه لا يريد فصل قوم بني جعفر عن هيب وذلك بجعل حدودهم أي بني جعفر في حدود بني هيب .

ثم استأنف قائلاً : وهيب بخلاف سائر سليم استولت على إقليم خرُبت مدنه ولم يبق فيه مملكة ولا ولاية إلّا لأشياخها وتحت أيديهم خلق من البرابرة واليهود زراعًا وتجارًا وأرض برقه استولى الخراب على أمصارها وقراها من دولة صنهاجة وتمرست بعمرانها بادية العرب وصار معاشهم بها لهذا العهد (عهد بن خلدون) من الفلح يثيرون الأرض بالعوامل من الجمال والحمير والنساء اذا ضاق كسبهم وينتجعون إلى بلاد النخل في جهة القبلة منهم من

(1) المقريزي : السلوك.

(2) بنوعوف تم ذكرهم وأرضهم من قابس إلى بلد العناب.

(3) لاحظ بقوله ودرنه أنه ضم أرض بني جعفر لهيب وفي ذلك دليل أن بني جعفر لهم ومنهم.

أوجله وشنتريه (سيوه) والواحات وما وراء ذلك من بلاد القفر والرمال وتسمي بلادهم برنيق [1] وشيخ هؤلاء العرب ببرقه يعرف لهذا العهد بأبي ذئب من بني جعفر [2].

وركاب الحج من المغرب يحمدون مسالمتهم في ممرهم [3] وحسن نيتهم في التجافي عن حجاج بيت الله وارفادهم بجلب الأقوات لسربهم وحسن الظن بهم . قلتُ وفية دليل على سماحه قومهم واستحقاقهم أن يكونوا أمراء عرب برقه ذلك الزمان ...

رئاستهم:

كانت في المُعزّة (الجعافره) كما ذكرهم المقريزي ونعتهم بذلك وقال المُعزّة الجعافرةوكانت لجعفر بن عمر وذلك نحو719هـ 1319م زمن الملك الناصر محمد بن قلاوون في مصر حيث ذكر القلقشندى [4] قائلاً : ولم يبق من أمراء العرب ببرقه زمن الناصر محمد بن قلاوون إلا جعفر بن عمر وكان بين طاعة وعصيان ومخاشنة وليان والجيوش في كل وقت تُمد إليه وقل أن تظفر منه بطائل أو رجعت منه بمغنم وإن أصابته نوبة من الدهر . وسيبدولك فيما بعد أن الإمارة خرجت من المعزة وآلت إلى أولاد أحمد في شيخهم ذؤيب من بني جعفر وذلك في الفترة ما بين 740هـ : 760هـ إلى ما بعد ذلك من القرن الثامن الهجري .

2 - **شماخ :شكل رقم 8 و9 :**

منازلهم : تم ذكرها مع إخوانهم بني جعفر بن هيب من اجدابيه غربًا إلى الخصيب الأخضر من المرج وطلميثة حتى درنة وأول ما يلي الغرب منهم بنوأحمد ولهم اجدابية وهم عدد ويرجعون إلى شماخ ولهم العز في هيب .

رئاستهم : لم يذكر لهم بن خلدون شيخًا أو رئيسًا إلا أنه استأنف القول بعد

(1)الاسم القديم لبنغازي وضواحيها .

(2) لأحظ أنه لم يذكر شيخا لهيب إلا في هذا الموضع فجعل بذلك شياختهم في بني جعفر.

(3) بعكس بني أحمد من هيب يرهبهم الحاج .

(4) صبح الأعشى ج 4 ص71 .

ذكر منازلهم وعوائلهم بذكر بني جعفر جيرتهم وقال والرئاسة لهؤلاء العرب ببرقه قاصدًا هيب بمجموعها وحدودها المذكورة أنها في أولاد أحمد وشيخهم أبو ذئب من بني جعفر ذلك يعطيك دليلاً كما ذكرنا آنفاً أن بني جعفر جزء من شماخ يجمعهم بطن هيب من سليم. وقد ذكرنا لهم شيخا في 719هـ هو جعفر ابن عمر من المعزه الجعافرة ثم بدا لنا أنها آلت لأولاد أحمد بني جعفر[1] وهذا على حد قول بن خلدون حيث قال وكانت الرئاسة لأولاد أحمد وكان شيخهم أبو ذئب أواسط هذه المائة الثامنة[2] أي 740هـ :770 هـ 1340م:1370م.

الوضع السياسي لبني هيب (جعفر وشماخ) :

انظر الشكل رقم (10) .

كانت بنوهيب على خلاف مع جيرتهم بني لبيد أحلاف المماليك وأمراء العرب ببرقه وهذا يبدولك من خلال ما ورد آنفاً [3] .

كانوا بين طاعة وعصيان ومخاشنة وليان تُمد إليهم الجيوش في كل وقت من قبل المماليك ولم يقبلوا بالخضوع والدخول في طاعة الدولة حتى زمن طويل يصل في فترة ما بعد 750هـ وفي ذلك ذكر المقريزي أحداثاً منها أنه في العام 719هـ جهز الأمير آيتمش المحمدي عسكر إلى برقه ومعه فايد وسليمان أمراء العربان لجباية زكاة الأغنام على العادة فسار في ثلاثمائة فارس من الأجناد ومعه من الأمراء المماليك وكان أخر يوم من المحرم يريد بلاد جعفر بن عمر من برقه ومسافتها من الإسكندرية على الجادة نحوشهرين .

فلما وصل وأشرف على منازل جعفر بن عمر وعربانه فدهشوا لرؤية العسكر وأرسل إليهم آيتمش بسليمان وفايد يدعوهم إلى الطاعة فأجابوا مع رسلهم : إنّا على الطاعة ولكن ما سبب قدوم العسكر على غفلة من غير أن يتقدم لنا به علم .

---

(1) انظر الشكل رقم 8 موقع أولاد أحمد من بني جعفر .

(2) انظر باب الأنساب من هذا الكتاب في صحة نسب ذؤيب بني جعفر .

(3) ذكر الخلاف بن خلدون وقال: بين شماخ ولبيد فتن وحروب .

فقال لهم آيتمش حتى يحضر الأمير جعفر ويسمع مرسوم السلطان وأعادهم وتقدم آيتمش إلى جميع من معه آلا ينزل أحد عن فرسه طول ليله فباتوا على ظهور الخيل .

فلما كان الصباح حضر أخو جعفر ليسمع المرسوم فنهره آيتمش وقال له ولمن معه أرجعوا إلى جعفر فان كان طائعًا فليحضر.. فامتنع جعفر عن الحضور فتجهز العسكر من ناحية وأستعد جعفر وجمع قومه وحمل بهم على العسكر فرموهم بالنشّاب فلم يبالوا ودقوا العسكر برماحهم وصرعوا الأمير شجاع الدين ثم حمل العسكر على العرب فكانت بين الفريقين تسع عشرة وقعة انهزم في آخرها العرب إلى بيوتهم فكف العسكر عنهم ومنعهم آيتمش عن التعرض إلى البيوت وحماها وأباح لهم ما عداها .

ومن الأحداث أنه في عام 726هـ ذكر المقريزي [1] أنه خرجت تجريده إلى برقه عليها من الأمراء وأجنادهم وسببها حضور فايد وسليمان أميري العربان ببرقه وشكواهم من العرب أنهم منعوا أداء الزكاة عن الغنم .

ولم تكف حملات المماليك على برقه تماما .كما يبدولك برغم من مصالحة جعفر للسلطان في مصر حيث ذكر القلقشندى في قلائد الجمان أن جعفر بن عمر عندما ضاق عليه الخناق من المماليك وأحلافهم وأصابته نوبة من الدهر أنه ركب طريق الواح (الجنوب) حتى خرج من الفيوم وطرق باب السلطان لائذاً بالعفو ووصل ولم يسبق به خبر ولم يعلم السلطان به حتى أستأذن المستأذن له عليه وهو في جُملة الوقوف بالباب فأكرم حتى أتم الكرامة وشرُف بأجل التشاريف وأقام مدة وأهله لا يعلمون ما جرى ولا يعلمون أين يمّم ولا لأي جهة نحا حتى أتتهم البشائر فقال له السلطان لما لم تعلم أهلك بقصدك إلينا؟ قال خفتُ أن يقولوا : يفتك بك السلطان فاتثبط فأستحسن قولَه وأفاض عليه طولَه (كرمه) ثم رجع إلى أهله فانقلب بنعمة من الله وفضل لم يمسه

(1) السلوك .

سوء ولا رثى له صاحب ولا شمت به عدو[1].

ومع ذلك فإن أهل برقه كانوا قد منعوا زكاة الغنم والخراج للدولة في سنين متفاوته قد ترجع إلى سبب جفاف وقحط حيث أشار التاريخ بأن تلك الفترة من الزمن قد تعرضت فيها أرض برقه للجفاف والأوبئه وازداد ضغط المماليك وأحلافهم من مِقدم على أهل برقه حتى ضاق بهم الحال فخالفوا على الأمير فايد وقاموا عليه وقتلوا من كان معه من جند المماليك وفرّ قائدهم عائدًا إلى مصر.

حيث ذكر المقريزي في ذلك أنه من عام 747هـ 1346م مات الأمير فايد بن عزاز بن مقدم في الأيام الكامليه[2] بعد أن خالف عليه أهله وأقاربه في برقه.

وفي العام 1362م زمن الأشرف زين الدين شعبان بن قلاوون تبدلت أوضاع بني مقدم السياسية تجاه دولة المماليك وانقلب حالهم وذلك عندما خرج عرب البحيرة ومن تحتهم وتغيروا على السلطان فصارت الفرقة بينهم وبين المماليك ودخلوا في صراع طويل معهم وكان على رأس عرب البحيرة آنذاك أمراءهم بنومقدم بن لبيد الذين سبق ذكرهم وتحت أيديهم خلق من العرب مثل خفاجة ومن البربر مثل زناره ومزاته وهواره وهم الذين قربهم المماليك إليهم بادئ الأمر وصيروهم أمراء لبرقه فألفوا المقادمةُ حياة الترف والإمارة وكانت إقامتهم بالبحيرة والتي اتخذوا منها مكانًا لإقامتهم،وتمتد سلطتهم على أهل برقه من مشارف الإسكندرية حتى آخر حدود بني لبيد من سوسه لا يخرجون إليها إلا لجلب الخراج والعشور وبقوا أحلافاً للمماليك حتى تغيروا عليهم ذلك العام 1362م على وجه التقريب فدبَّ الصراع بينهما ظل لسنوات وبدخول عام 1372م خرجت الإمارة من يد بني مقدم وآلت إلى أولاد عريف وفيه قال القلقشندى :وقد آلت الإمرة عليهم في زمننا إلى أولاد عريف وقد رأيتُ عريفاً هذا في الإسكندرية بعد السبعين والسبعمائة [3]

(1) القلقشندى : صبح الاعشى جـ 4 .

(2) الكامل شعبان بن قلاوون .

(3) القلقشندى : صبح الأعشى وقلائد الجمان .

يحمل إبريقاً وعكازًا وهي مستقره بيد أولاده إلى الآن في عمر بن عريف وقال واجتمعتُ بعريف هذا فوجدت أثار الخير ظاهرة عليه .

فما كان من أمراء المماليك وسلاطينهم بعد خروج عرب البحيرة عليهم وأمراءهم من بني مقدم إلا أن أرسلوا في طلب عرب لبيد من برقه وصالحوهم على أن يخرجوا المقادمة ومن تحتهم من خفاجة وزناره ومزاته عربًا وبربر من أراضيهم التي تمتد من مشارف الإسكندرية حتى العقبة الصغرى إلى العقبة الكبرى وما تحتهم من أرض قد استولوا عليها في البحيرة أيام عهدهم لدولة المماليك فهبَّ إليهم الليبيديون إخوانهم من أرض برقه الذين تذمروا منهم وانقلبوا عليهم في وقت سابق ذكرناه آنفا فزحفوا من أرض برقه (الزحفة الأولى) ودخلوا معهم في صراعات وحروب وبدأوا يستولون واضعين أيديهم على الأراضي الممتدة من العقبة الكبرى حتى الصغرى والتي كان يملكها المقادمة ومن تحتهم .

ومن الآثار والأخبار في ذلك الزمن عن صراعات المماليك والمقادمة أنه ذكر المقريزي في السلوك في 783هـ قبض على ثلاثة وعشرين رجلاً من عرب البحيرة وقدم الخبر بأن خمسة من أعيان البحيرة قدموا على الأمير آيتمش المملوكي راغبين في الطاعة ومعهم نحوستمائة فارس وغيرهم .

وبدخول عام 796هـ ذكر المقريزي قائلاً : مات الأمير سلام بن محمد بن سليمان ابن فايد بن مقدم المعروف ب (سلام بن التركية) أمير خفاجة في سابع ربيع الآخر بالصعيد. وخفاجة هذه كما مر ذكرها أنها من مقدم بن لبيد [1] ويبدولك من مكان وفاته بالصعيد أنهم تركوا أرض البحيرة وقد بدأوا في النزوح إلى الجنوب من صعيد مصر تحت ضغط بني لبيد الذين بدأ استيلائهم على أرض البحيرة وما يليها وكان ذلك آخر هذه الفترة 1395م 796 هـ تقريبًا .

(1) راجع الشكل رقم 9 وأنظر لموقع سلام المدعو.

المبحث الثاني

قبائل برقه في الفترة من 1400 م : 1500م



شكل رقم(11) .

ذكرنا أنّه في الفترة السابقة ما بين 1300م : 1400م القبائل المستقرة ببرقه وما جرت عليه الأحداث والصراعات بين قوى القبائل الموجودة ببرقه يبدولنا من جراء ذلك كله تغير واضح في الشكل الجغرافي للتوزيع البشرى وذلك من خلال شكل رقم(11) والذي يوضح ازاحة عناصر وإحلال أخرى مكانها فبخروج المقادمة ومن تحتهم على المماليك زحف إليهم جزء كبير من عرب لبيد سكان برقه تاركين خلفهم جزء آخر من العقبة الكبري إلى غربها وكان معظمهم من بني سلام بن مقدم بن لبيد بن على وقبائل أخرى ومعهم بنوهيب بن سليم (بني جعفر وشماخ) مطلع القرن الخامس عشر الميلادي وكما يبدولك من خلال الشكل هجرات أندلسية بدأت على سواحل برقه وكان ذلك أواخر القرن الخامس عشر للميلاد على وجه التقريب مع انهيار دولة المسلمين بالأندلس الشهيده .

أحداث الفترة : مع مطلع القرن سيطر عرب لبيد على معظم أراضي المقادمة ومن تحتهم ذكر القلقشندى في العام 818هـ 1415م قد أجلى السلطان المؤيد عز نصره – عرب البحيرة من زناره وغيرها عن بلادهم لتغير أدركه عليهم سنة ثمان عشر وثمانمائة وأسكنها عرب لبيد استدعاهم من بلادهم برقه فأقاموا بها وعمروها وهم مقيمون بها حتى الآن [1].

كما ذكر المقريزي مؤكدًا ذلك أنه في عام 819هـ 1416م عهد الملك المؤيد المذكور أبوالنصر شيخ المحمودي الظاهري قال وفيه قدم الأمير فخر الدين ابن أبي الفرج كاشف الكشاف بطائفة من أهل البحيرة واستاق لهم من الأغنام

(1) القلقشندى : قلائد الجمان .

الشعاري أربعة آلاف وستمائة رأس وثلاثمائة من الضأن وغيرها وفيه كتب السلطان إلى عرب لبيد أهل برقه بنزولهم على البحيرة واستيطانها وقتال أهلها وأخذهم فنزل عرب لبيد في الخامس والعشرين من شهره في خمسمائة خيال سوى المشاة على ريف البحيرة .

وهكذا أذن السلطان بكتابه إلى عرب لبيد بنزولهم البحيرة ومقاتلة المقادمه ومن تحتهم فزحفت لبيد [1] (الزحفه الثانية) من تلك العام فيها نزل إلى العقبة الكبرى أعقابهم من برقه بجُل قبائلهم وكانت معهم أحلافهم من الكعوب من بني عوف والذين سنأتي على ذكرهم لاحقًا وانضموا إلى ذويهم الذين سبقوهم إليها في الزحفة الأولى. وهناك دخلوا في صراعات وحروب ضد المقادمة ومن تحتهم طامحين في الاستيلاء على أراضيهم من العقبة إلى الخصيب من أرض البحيرة والدلتا استمرت لسنوات عديدة ذكرها المؤرخون حتى عام 1440م على التقريب حيث ذكر في [السلوك] أنه في العام 838هـ 1434م من شهر رجب في الجمعة الأولى من ثالثه قدم الأمير بدر الدين حسن بن محب الدين الأستادار من البحيرة بغير طائل وقد بلغ قُبيصه [2] من العقبة الصغرى وقد التقى مع عرب لبيد أهل برقه واقتتلوا فانكسر أهل البحيرة وأخذ منهم لبيد نحو ثلاثة آلاف بعير وعشرات آلاف من الأغنام ومضي أهل البحيرة نحو الفيوم فاستولى العسكر (المماليك) على أغنام كثيرة جدا وهلك لهم أكثر مما أخذ منهم فكان عدة ما ذهب لأهل البحيرة في هذه الحركة من الأغنام زيادة على مائة ألف رأس يخاف بسببها أن تعز الأغنام بأرض مصر .

وبالتقريب منذ النصف الأول من هذه الفترة بدأ لنا استقرار اللبيدين بأرض البحيرة وضواحيها وحلفائهم على أراضي تمتد من البحيرة حتى العقبة الكبرى شرقاً من برقه .

فعاشت معظم لبيد في أرض البحيرة وخصيبها تاركة لأحلافها من الكعوب

---

(1) المقريزي : السلوك .

(2) أرض أو قبيلة عند العقبة الصغرى بالصحراء الغربية من مصر .

على وجه التحديد[1] أرضًا تمتد من العقبة الكبرى حتى نواحي البحيرة، شكل رقم (12).

أما عن خبر المقادمة وأحلافهم فقد تمت إزاحتهم بدفع اللبيدين جنوب الدلتا حتى وصلوا لأقصي الصعيد فبدا لهم مكان جديد ألفوا فيه الحياة بعد ذلك ومارسوا حياتهم وسيطروا عليه بل وأصبحوا سادة على صعيده بعد أن تمكنوا من إزاحة بني كنز إلى أرض السودان منذ 815هـ [2] وكونوا فيه مقاطعة خاصة بهم فكان منهم [هوارة] أباطرة الصعيد في مصر ولهم فيه تاريخ وحكايات.

ولم يتبق منهم في الدلتا وضواحيها من أرض برقه سوى القليل انضموا بعد ذلك إلى قبائل لبيد وخالطوهم واندمجوا فيهم وأصبحوا جزء لا يتجزأ منهم.

وقد ذكر بن خلدون في ذلك أن هوارة خالطوا بني سليم في البحيرة والفيوم ومصر العُليا حتى أصبح من الصعب التمييز بينهم. كما ذكر المقريزي أنهم تركوا أرض البحيرة حيث أنزلهم الظاهر برقوق أرض الصعيد بعد واقعة بدر ابن سلام في سنة 782هـ تخمينًا واقطع إسماعيل بن مازن منهم جرجا [3].

أما عن برقه من العقبة الكبرى إلى اجدابية فلم يتبق فيها من أمراء العرب إلا بنوسلام بن لبيد بن علي ومعه من بطون لبيد قبائل نذكر منها محارب والحوتة والموالك والعواكلة والحدادة وغيرهم الذين أشرنا إليهم سابقًا ولا يمنع أن يكون قد نزل منهم جزء مع لبيد في زحفهم وتبق منهم آخرون مع إخوانهم من بني سلام في برقه.

كما مكث أيضاً معهم أخوانهم من بني هلال من قرة مناف والذين لهم عقب إلى اليوم في برقه.

---

(1) لا نجد من الكعوب إلا قبائل القطعان والجمعيات.

(2) أحمد لطفي السيد: قبائل العرب في مصر.

(3) البيان والإعراب ورسائل المقريزي صـ١٤٨.

كما كان إلى جيرتهم بنوهيب وهم كما ذكرنا بنو جعفر وشماخ كانوا لا يزالون ببرقه أبان تلك الفترة 1400م : 1500م وهذا ما يوضحه شكل رقم(12) .

إفادة : ذكرنا أن لبيد في زحفها الثاني 1418م زحفت بأحلافها وسكنت البحيرة وما يليها ولا نجد لأحلافها من العرب سوى تلك القبائل التي تقطن الآن المنطقة القابعة بين البحيرة إلى العقبة الكبرى ألا وهي قبائل (القطعان والجمعيات) وهي قبائل أجمع البحاث والمؤرخون على أنها من الكعوب من بني عوف بن سليم والذين كانت مملكتهم من قابس إلى بلد العناب وبسقوطها خرجت هذه البطون من عوف إلى برقه ولم تجد لها من بد لحصولها على مكان خاص بها إلا بتحالفها مع لبيد ودخولها في حروب لتحوز أراضي وتأخذ بدورها حصة المحاربين[1] فكان للبيد الخصيب من الدلتا وتركت لأحلافها تلك البقاع من أرض برقه حيث نجد القبيلة الأولى [القطعان] قاطنين من العقبة حتى المثاني [2]وجيرانهم الثانية [الجميعات] حتى مشارف الإسكندرية وأمتد نفوذها بعد ذلك إلى البحيرة ولهم فيها شأن وتاريخ يأتي ذكره بعد ذلك.

كما يؤكد تواجد هذه القبائل القديمة من [قطعان وجميعات] أهلها الذين يذكرون أنهم يتواجدون في هذا المكان منذ خمسمائة عام على التقريب من إصدارنا هذا وهوما يؤكد أن نزوحهم إلى تلك المناطق أنما كان مع زحف لبيد.

كما يؤكد قرابة هاتين القبيلتين هومؤاخاتهم بعضهم لبعض وجيرتهم وفصلهم عن القبائل الموجودة حاليًا بالمنطقة - حلف سعادى والتي سيأتي ذكرها لاحقا ..

هذا والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب .

---

(1)في المثل البدوي : الأرض حوز نبوت .

(2) منطقة تقع غرب مرسى مطروح من مصر .

المبحث الثالث

أحوال برقه بعد الجلاء (الحلف الكبير)

حلف القبائل المحاربة (السعادي)

شكل رقم (13) .

هذا عن أحوال القبائل وما آلت إليه ما تحت العقبة الكبرى إلى أرض البحيرة من مصر .

أما عن القبائل التي بقيت بالنصف الغربي من أرض برقه فقد أضعف نزوح تلك الجموع الكبيرة من القبائل إلى أرض مصر من شوكتها وأصبحت برقه خاوية إلا من القليل من العرب فيها .

فبعد صراع لبيد وشماخ والخسائر البشرية في تلك الحروب والفتن التي كانت بينهما ومن ثم جلاء لبيد من أحلاف المماليك في مصر ودخولهم في صراع مع أهل البحيرة من المقادمه في نزوحين متعاقبين ذكرناهما آنفاً .

لم يبق في برقه سوى بنوجعفر من شماخ بن هيب بن سليم ، وأعقاب لبيد وأولاد سلام ومحارب بالإضافة إلى قبائل عربية أخرى مواطنة ذكرناهم آنفاً مثل قُرة من بني مناف من هلال ورواحه وغيرهم من تلك القبائل الأندلسية النازحة إلى برقه آبان ذلك الزمن.

ومع ظهور صراعات في طرابلس الغرب ومناوشات قراصنة البحر المتوسط وسقوط الأندلس 1492م بدأ ظهور أجناس جديدة في المجتمع البرقاوي وتبدا ذلك من خلال تلك الهجرات المتعاقبة إلى سواحل برقه وغيرها من الأحداث والعوامل. كل ذلك كان أدعى لهذه القبائل البرقاويه المتواجدة منذ زمن على تلك الأراضي أن تتشكل من جديد في كيانٍ قوي وحلف كبير يستطيع أن يجابه تلك المطامع الآتية إليه برًا وبحرًا حفاظاً على أراضيهم وأرواحهم

وعوائلهم فكان هذا حلف القبائل البرقاوية المحاربة والقوية والتي حملت على عاتقها مسئولية الدفاع عن الأرض وحماية من تحتها والتي رأت أن لها حق ملكية الأرض في برقه الممتدة من بئر السدرة (إجدابيه) غربًا حتى العقبة الكبرى شرقًا فكان حلف شماخ وما تبقي من بني علي (بقية لبيد وأولاد سلام ومحارب وغيرهم) والذين اتخذوا من [ذؤيب بني جعفر السليمي] والذي كانت له الشياخة على تلك المناطق بعهد قريب قبيل زمن هذا الحلف والذي في تصوري أنه عقد في الفترة ما بين 1400م 1500م قائدًا لهذا الحلف القبلي الجديد وصارت فيه مؤاخاة بين أهل برقه لبيد وشماخ وبعض القبائل القوية التي بسطت يدها معهم على أرض واسعة من برقه .

تفصيل لشكل رقم 13 حلف قبائل المحاربين (السعادي) ويتكون من :

1 – بنو جعفر بن هيب بن سليم ، وتمثل في : (زعامتهم ذؤيب) .

2 –أعقاب لبيد بن علي وأخوهم محارب وعرب الأندلس،وتمثل في:(عقّار).

3 – بنوسلام بن لبيد ، وتمثل في : (سلاّم).

4 – بنوشماخ ، وتمثل في : (برغوث).

تحليل النقاط :

1 - **بنو جعفر :** فكان ذؤيب المشار إليه قائدًا وزعيماً حيث كان أميرًا لبرقه آبان ذلك منضمة إليه القبائل من لبيد وشماخ ومن حالفهم .

أولاً : كانت القبائل من أعقاب لبيد بن علي بن هبه بن جعفر بن كلاب بن ربيعه بن عامر أخوة بني هلال على قسمين :

1 – أولاد سلام بن لبيد بن علي بنٍ هبة بن جعفر وتحته عوائله وهم (هند وبهيج وعون) نزل سلام بإسمه ملتئما لأنه كان من البطون اللبيديه المستقرة والمحافظة على كيانها ببرقه .

2 – أعقاب لبيد وأخوهم محارب منضمين إليهم أحلاف عرب وأندلسيين

في (عقّار) الذي يضم أولاد علي والسننه والحرابي اليوم .

وأولاد علي اسم جامع لعدد من القبائل المنتشرة ما بين برقه البيضاء والحمراء اشترك المقاتلون منهم وكانوا على فريقين علي أبيض وعلي أحمر فاسم علي نسبة للجد الأعلى علي الأكبر وصفة الأبيض والأحمر تبعا لطبيعة التربه التي كانت تقطنها قبائلهم ويبدولك هذا من الشكل رقم (15) .

أما (مُحارب) فهومحارب بن حديد كما ذكره المقريزي فكان هذا البطن ملتئمًا يقطن مكان واحد نزل مع أخوته من بني علي متمثلين جميعًا في (عقّار) منضمة إليهم باقي بطون المحاربين من لبيد [1] وأحلافهم من برقه في شخص (أبوسنينه).

وكما كان من أولاد سلام هند وبهيج وعون كذلك كان للمنضمين تحت شياخة عقّار من بني لبيد عوائلهم أولاد علي فمن الأبيض: أبناء سُنقر [2] وأولاد خروف ومن الأحمر: قناش وعُشيبه وكُميل ومن عوائل أخيهم محارب: عبيد، حواس، إدريس ، فايد ، أولاد حمد ، برعوص [3] ومن عوائل بوسنينة : محفوظ، وزين العروة .

ثانيا :بنوشماخ بن هيب بن بهته بن سليم :

وهوالحليف الثالث من المقاتلين ومن تحتهم من العوائل والقبائل المحاربة المنتمية إليهم نزلوا في حلف ذؤيب تمثلت شياختهم في (برغوث) [4]وكان من عوائلهم جبرين وعريف .

(1)هناك ارجوزه قديمة عند البدومن أهل برقه تقول : خيل لبيدي أنجيها بيدي .

(2) حليف أندلسي دخل بعوائله كمحارب تحت راية البيض من بني علي .

(3) حليف مغربي دخل بعوائله كمحارب تحت رايه محارب (الحرابي) .

(4) أسماء قبائل أولاد على الأبيض والأحمر أنما أطلقت عليهم تبعا للأرض القائمين عليها تماما كما أطلقت على البراغيث البيض والبراغيث الحمر والمرابطين البيض والحمر كما سميت بها مناطق الظهر الأبيض والأحمر وغيرها من الأسماء التابعة لطبيعة لون التربه في برقه .

وستجد اسم شماخ المذكور عاليه يتكرر في قبائل تجتمع في جبرين وهذا ما سنذكره بعون الله في باب الأنساب بالتفصيل .

وهوضمن ما يؤكد افتراضنا لوجود هذا الحلف بشكله وهذه القبائل المحاربة من سلام وعقّارٍ وبرغوث، انضم إلى كل منها قبائل أخري عرفوا بالمرابطين تشتت أغلبها وأخضعت لمختلف القبائل المحاربه[1] ووزِّعت عليها سنأتي على ذكرها في باب الأنساب .

والمتأمل إلى هذا التركيب والتكتل القبلي لعرب برقه والذي هومن عادة العرب وقت الملمّات والمخاطرٍ والمحن على مر التاريخ ولنا في ذلك أمثلة كثيرة لأحلاف أقامها العرب قديماً وفي تلك الفترة مثل طئ والعركة وبني هلال وغيرها .

يُلاحظ أنّه : يطابق نفس تلك الشجرة المفترضة والتي تتناولها قبائل برقه إلى يومنا هذا تجد أنه لا فرق بينها وبين ما ذكر في نتيجة هذا البحث على الإطلاق.

وهذا ما وصل إليه بحثي واجتهادي وغلب عليه ظنّي واعتقادي .

هذا والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب ...

(1) لاحظ أعقاب لبيد بن علي منضمة إليهم أحلاف عرب وأندلسيين في (ثلثي عقار) والذي يضم أولاد علي بفرعيها والسننه.

أما محارب فهومحارب بن حديد بن علي كما ذكره المقريزي نزل حليفًا مع إخوته من بني علي متمثلين جميعًا في عقار الذي ضم بطون المحاربين من لبيد وحديد وأحلافهم أولاد علي والسننه والحرابي ..

ومن هذا تجد أن أخوة قبائل أولاد علي والسننه أكثر قرابة لبعضهم من قرابتهم للحرابي وهذا ما تبرره حروبهم وتوزيعهم الجغرافي اليوم وذلك لأن أولاد علي والسننه هم من لبيد بن علي ، أما محارب فهومحارب بن حديد بن علي ويتبين من ذلك أنهم في الأصل أبناء عمومه يلتقيا في علي بن هبه بن ربيعه بن عامر وهذا ما كشف عنه بحثنا.

المبحث الرابع

برقه في الفترة من 1500 م : 1600 م



شكل رقم (15) .

برقه واستقرار القبائل بحلفها الجديد وظهور هجرات متعددة من الغرب والمتمثلة في استقرار عرب الأندلس على السواحل البرقاويه بداية القرن السادس عشر

أن ما يؤكد سردنا للأحداث التي ذكرناها عبر القرون الثلاثة بعد الهجرة الهلالية والسُليميه إلى برقه والتي بدأت من القرن الثالث عشر الميلادي إلى أواسط القرن السادس عشر الميلادي هوالنظر إلى هذه الفترة بالتحديد والتي نرى فيها تغير شامل للمنطقة برقه موضوع الدراسة للجغرافية البشرية حيث يبدولنا للوهلة الأولى تغير واضح في أسماء القبائل التي كانت تقطن برقه في الفترات السابقة .

فلا تجد موضعًا لهيب أو ذكرًا للبيد أو سليم وغيرهم وإنما تأتي أسماء لأعقابهم الذين شكلوا من أسلافهم حلفاً قويًا ظل فيه كل عقب منهم متحفظا على ما تحته من أراضي لأسلافه وصنعوا لأنفسهم قانونًا وأعرافاً يمتثلون لها وامتدت سيطرتهم على برقه من بئر السدرة حتى العقبة شرقاً ومن الساحل شمالاً حتى الواحات جنوبًا وحصروا أنفسهم داخل برقه لفترة من الزمن تجاوزت القرن على التقريب ثبت ذلك عن الرحاله والمتجولين والمؤرخين أن وجود تلك القبائل بحرصهم الشديد على منع أي دخيل أن يتجاوز حدودهم أو يخترق أراضيهم قد ندر معه التوثيق والتأريخ لأحداث تلك الفترة اللّهم إلا مناطق السواحل من برقه والتي كانت تتوافد إليها هجرات أندلسية متعاقبة قطنت السواحل من برقه وبالأخصّ درنه من الساحل وما يليها غربًا والتي نزل بها التاغريون وهم عرب وافدين من الأندلس وكان على رأسهم زعيمهم أبوالقاسم التاغري ثم وفدوا من بعدهم الأندلسيون الذين استقروا

بجوارهم إلى غرب درنه. ومع بداية العصر العثماني الأول 1551م بدأت تتكشف لنا تلك المناطق من جديد وما فيها من القبائل وذلك عندما بدأت تركيا بالسيطرة على تلك المناطق بتسيير الحملات العسكرية ضد القبائل في برقه والتي كانت تهيمن على المكان رافضة لأى سلطة أو نظام أو أداء خراج لقوى أخرى وكانت تسمي حينها بقبائل الدواخل من برقه.

أو عندما كانت ترسل تركيا بجنودها خلف المتمردين على دولتها والذين كانوا يجدون في برقه ملاذاً لها وذلك مثلما خرج منصور بن خليفة الترهوني على محمد الإمام حاكم طرابلس التركي فجردت عليه قبائل برقه في أول ظهور لها من براغيث وأولاد برعوص وأولاد علي وذلك في 1108هـ 1697-م .

ولم يقع بصري على من أتي بذكر تلك القبائل في هذه الفترة إلا أبي عبد الله ابن غلبون صاحب (التذكار في تاريخ طرابلس) أودي فيروصاحب الحوليات أو المستشرق روسّي والذين أرخوا لتلك الفترة فيبدولي من استقراء مراجع كثيرة وأبحاث لا يتسع المجال لسردها أن القبائل المنتشرة في برقه تلك الفترة كانت على النحوالتالي شكل رقم (15) .

قبائل [حرابي وأولاد علي وأولاد برعوص هكذا ذكروا لا برعاص وبراغيث وجبا رنه] وكما يبدولنا أن هذه القبائل التي ذكرت هي تلك التي شكل منها ذلك الحلف في الفترة السابقة .

وكانت حدودها من درنه إلى بئر السدره في اجدابيه وجيرتهم من الشرق أحلافهم أولاد سلام منهم الهنادي [1] على الأخص والذين شاهدهم الرحالة العياشي وذكرهم في رحلته بعد ذلك في عام 1661م إذ يبدولنا من واقع التاريخ أن البهجة والعونة إخوانهم قد هاجروا إلى الشرق أبان القرن السادس عشر. ومع سلام قبائل أخرى متواجدة أعقابها حتى اليوم من أشهرها الحوته وموالك ومناف وغيرها ، تنتشر من العقبة حتى الشرق من سفوح درنة.

---

(1) انظر الشكل رقم (16).

أمّا في الشرق من مشارف العقبة الكبري فكانت جموع من تبقي من لبيد وأحلافهم منتشرين في المنطقة الممتدة حتى البحيرة وقد ظهر فيها خلال هذه الفترة 1500م : 1600م سيادة قبائل الجميعات من المنطقة الممتدة من البحيرة إلى العقبة الصغرى إلى الغرب منها وإلى جانبهم من أحلاف لبيد الذين سبق ذكرهم والذين ظهرت لهم السيادة أيضًا القطعان من العقبة الكبرى حتى حدودهم مع جيرانهم الجميعات والذين لم يتسنّ لهم الدخول ضمن حلف برقه (السعادي) وإنما صُنفوا بعد ذلك من القبائل المرابطة [1] .

ويرجع ذلك من واقع التاريخ لعدم تواجدهم بمناطق برقة الغربية .

ومن أحداث هذه الفترة والعوامل التي كان لها تأثير على وجود قبائل برقه :

* استقرار القبائل الأندلسية في برقه واندماج مُعظمها في أولاد علي والحرابي.

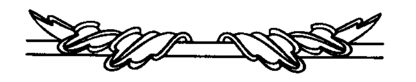
* استيلاء جنود القديس يوحنا على طرابلس 1516م .

* دخول العثمانيين الأتراك وسحق جنود يوحنا 1551م بقيادة ترغوت والسيطرة على طرابلس الغرب .

* بداية العصر العثماني الأول .

* سيطرت تركيا على المنطقة وتسيير الحملات ضد القبائل في برقه المتمردة بداية عهد محمد الساقزلي 1639 م .

* لجوء بعض المتمردين على الدولة من طرابلس إلى نواحي برقة .



(1) انظر المرابطين باب الأنساب .

المبحث الخامس

الفترة من 1600م : 1700م .



انظر الشكل رقم (16 ، 17 ، 18) .

السيطرة العثمانية الأولى على إقليم برقه عهد محمد الساقزلي 1639م نزاع قوى الاندلسيين العرب بالساحل البرقاوي (وتجريدة حبيب) من واقع التاريخ (بحث مقارن) ..

تعتبر هذه الفترة التي نحن في صددها من أهم الفترات التي مر بها المجتمع في برقه لما فيها من أحداث هامه قد تبين لنا من خلال استقرائنا وتناولنا لما كُتب وسُجل عنها أنها قد حوت تلك الحكايا والقصص التي توارثتها الأجيال من القبائل البرقاوية والتي تواترت إلينا في أشكال مختلفة شعرًا ونثرًا عبّرت عن أحداث وحروب وتجاريد وتوافد قبائل من الغرب مصراتة وزليتن وتواجير وغيرهم من تُرك وأندلسيين ويأتي على رأس هذه الموروثات (تجريدة حبيب)

والتي عبّرت عن أحداث تلك الفترة حيث ورد فيها حروب أولاد علي والحرابي وسيطرة الأول على إقليم برقه وتغلبهم على أخوانهم الحرابي وفرضهم السيطرة الكاملة على إقليم برقه لعقود من الزمن كان على أثرها خروج حبيب العبيدي ممثلاً لقبائل الحرابي والذي توجه بدوره إلى حاكم طرابلس طارحًا شكواه أمامه طالبًا عونًا منه على التخلص من أولاد علي في برقه ...

ومن ثم عين له الوالي في طرابلس حملة كبيره صارت برًا وبحرًا وزحفت إلى الشرق والتي كان على أثرها هزيمة قبائل أولاد علي حيث تم دفعهم إلى الشرق من العقبة الكبرى بعد حروب وصراعات دامية ظلت لسنوات عديدة بين الطرفين.

ولكن يبقي السؤال متى ؟، وكيف ؟، وماذا حدث أبان ذلك الزمن ؟ وهل

واقع أحداث تلك التجريده الذي وصلنا متواترا وما تتناوله ألسنة أبناء تلك القبائل اليومِ عن التجريدة وحرب أولاد علي والحرابي وقصه النزوح من برقه هل فعلاً يطابق حقيقة التاريخ الذي ورد عن مؤلفيه من المؤرخين لتلك الحقبة؟ أم يخالفه تمامًا ؟ .

ذلك ما أصبوا إليه من خلال دراستى لهذه الفترة ولذلك كان لزامًا عليّ أن أكون محيطاً بقدر المستطاع بكل ما ورد عن تجريدة حبيب من أحداث وشخصيات وأسباب قصصًا وشعرًا ونثرًا ثم أنتقل بدوري الى معظم إن لم أقل كل المراجع والمؤلفات التي تناولت أحداث تلك الفترة من الزمن بدءً من 1550م : 1700م ومن ثم أصنع بحثاً مقارنًا بين ما هومتواتر ومنقول وما هومكتوب ومُسجل بالفعل أستطيع من خلاله أن أعيد صياغة وضع ما نُزع وفُصل من تلك الأحداث المؤرخة والمدونة وإعادة ترتيبها من جديد في مواضعها لتأخذ مكانها الحقيقي والصحيح من واقع التاريخ لتكتمل صوره هامه بل من أهم الصور والتي طالما ساورت أذهان الكثيرين من المهتمين لبيان معرفة حقيقتها من واقع التاريخ .

وإذ يبدولي أن القبائل في برقه من خلال سردهم لقصة تجريدة حبيب أنهم يكتفون بذكر أشخاصهم فقط دون شخصيات أخرى ذكرها التاريخ كان لها دورًا هامًا فيها كشخص ابن الفاضل الأندلسي والذي في تصوري أنه كان حليفاً للحرابي حيث ذكره التاريخ صراحة بأنه صاحب تلك التجريده وأنه كان سببًا رئيسًا فيها كما سنعرف لاحقاً .

وكذلك شخصية المدعوحسن التاغري الأندلسي والذي ذكره التاريخ بأنه هومن سيطر على إقليم برقه من أرض البطنان حتي بنغازي وقام بطرد ابن الفاضل المذكور سابقاً حليف الحرابي من أرض برقه بعد أن تمثل فيه خصمًا لا يستهان به.

بينما ذكرت التجريده أن السيطرة كانت لأولاد علي دون ذكر لشخص حسن التاغري هذا إلا أن الواقع جعل التاغري حليفاً لأولاد علي الذين سيطروا بدورهم معه وتحت زعامته على برقه أبان تلك الفترة مقابل حلف الحرابي مع ابن الفاضل .

والمتأمل إلى قبائل أولاد علي تحديدًا سيجد أن الجزء الغالب فيهم ليس منهم حقيقةً وأن زعامتهم فيه إلى اليوم وهو(سنقر) زعيم علي الأبيض الأندلسي حليفهم القديم فمن أين له الزعامة إلا منذ ذلك التاريخ الذي ساد فيه حسن التاغري الأندلسي على زعامة برقه حيث صار منهم مع الزمن فقاتلوا بقتاله ونزلوا بنزوله.

كما سنجد ذكرًا لشخصية أخرى وهي (محمود) والذي افترضت التجريده أنه الحاكم التركي لطرابلس الذي لجأ إليه حبيب العبيدي بطل التجريده مستنجدًا به طالبًا دعمه لقوات تمكنه من السيطرة على الجبل ودحر قبائل أولاد علي الذين قوضوا ملكهم وقتلوا أباه عبد المولى الأبح وهنا يأتي بيتٌ من الشعر أنشده حبيب أمام المدعومحمود حيث قال :

نا بُوي يا بي محمود مقتول ظلم ماله جنايه

مِير وطـن لكم محسـود دلّـوه ناسًا رعايـا

فرق له محمود المذكور والذي قام بإعانته ومدّه بما يلزم من عتاد ورجال في تلك التجريده .

ولكن بمقارنة هذه الأحداث المتواترة وما ورد من واقع التاريخ المدون لا نجد ذكرًا لحاكم أو والي من ولاة التُرك في طرابلس بهذا الاسم (محمود) اللّهم إلَّا محمود الكيخيا والذي كان يدير السجون في طرابلس وليس حاكماً كما ذكرت الرواية والذي استنجد به ابن الفاضل الأندلسي وهو من أفترض بحثي هذا بأنه حليف الحرابي كما ذكرت آنفا، حيث وافق زمنه زمن التجريده بل وأحداث رحلته وطرده من برقه ولجوءه إلى محمود الكيخيا وعودته كل ذلك يعطيك الدليل في أن ابن الفاضل الأندلسي أنما كان شريكًا لحبيب العبيدي في رحلته تلك، حيث طرحا شكواهما أمام محمود المدعووالذي كان صديقاً لإبن الفاضل بنص التاريخ فما كان من محمود هذا إلا أن قدمهما إلى الداي عثمان الحاكم الفعلي لطرابلس أبان تلك الفترة والذي قام بمساندتهما بتجريد تلك الحملة على برقه .

أردتُ من خلال هذا التوضيح المختصر أن ألقي الضوء على أهمية تلك الفترة وما تضمنت من أحداث وشخصيات وطرح دور كل منهم بشكل مقتضب وسريع وذلك قبل أن أخوض في سرد أحداث هذه الفترة من واقع التاريخ وذلك حتي أسهل على القارئ استيعاب ما ورد تاريخيًا وربطه مع أحداث ما وصلنا من تجريدة حبيب على ألسنة العامة وما تناولته أطراف النزاع من الحرابي وأولاد علي ، والتي انتهت بتغلب الأول وهزيمة الثاني ونزوحه إلى الشرق ليبدأ عهد جديد لتلك القبائل النازحة نأتي على ذكرها لاحقاً .

أحداث الفترة والتجريده من واقع التاريخ ..

ذكر [شارل فيرو] في كتابه الحوليات والذي اتفق مع[روسّي] الايطالي في كتابه تاريخ ليبيا أنّه :

في زمن ولاية (محمد الساقزلي) في العقد الثالث بعد الألف والستمائة كان إقليما قورينا (شحات)وبرقه (المرج)مستقلين وتسيطر عليهما جاليات عربيه أندلسية قدمت إلى برقه بعد أن طردها (فيليب الثالث) من اسبانيا وكانت خصوبة أراضي درنة وبنغازي التي يشهد إكتظاضها بالآثار القديمة بازدهار حضاري غابر قد استقطبت المهاجرين الأندلسيين إليها فأنشأوا فيها مراكز زراعيه وتجارية سرعان ما ازدهرت بفضل ما كان لهم من ذكاء وحب للعمل.

وكانت أول سيطرة من قِبَل الأتراك على تلك المناطق تُنسب إلى محمد الساقزلي حيث كان له اثنان من المعاونين الأقوياء هما عثمان بك ويوسف بك وكلاهما من الأعلاج مثله فكان يعتمد عليهما كثيرًا حيث توجه عثمان بك برًا إلى بنغازي على رأس خمسمائة من فرسان الطليعة، أما الثاني فقد توجه بحرًا يحمل معه من السبايا النصارى والرقيق والذين استخدمهم في تشييد قلعه في بنغازي، وبينما كان هؤلاء منهمكين في البناء كان الفرسان يجوبون الأرياف والدواخل من برقه يرغمون الأهالي القاطنين على دفع الجزية وعلى تزويد المعسكر التركي بما يحتاجه من مؤن وأموال وعُمّال وتطلب بناء تلك

القلعة نحو عام وزودت بعشره من قطع المدفعية وترك بها يوسف بك كحاكم للإقليم ومعه حاميه تعدادها مائه من الجند الانكشاريه .

وقد كان احتلال بنغازي أدعي لقلق صاحب أوجله الواحه والذي يُدعى سالم والذي قام بإرسال أخاه عثمان في الخفاء لاستطلاع نوايا الأتراك والذي ما لبث أن أكتشف أمره وقُبض عليه ولم يُطلق سراحه إلا في1640م مقابل فدية.

وبعد أن دعّم محمد الساقزلي سلطته حول بنغازي بما فيه الكفاية استطاع بعد ذلك تنفيذ الخطط التي وضعها باتفاق مع معاونه عثمان بك الذي وصل في حملة إلى بنغازي مع سلاح الفرسان التركي وحتى يحتاط الساقزلي من مغبة قيام قلاقل أوحدوث تمرد من طرف عرب طرابلس قام بجمع كل عرب غريان وترهونه وبني وليد ومسلاته ومصراتة يتبعهم خيرة فرسانهم وأنضم إليهم كثير من الرجال من مختلف القبائل وأرسلهم في تلك الحملة إلى برقه في عام 1639م 1050 هـ .

وتوجه في قوة قاصدًا واحة أوجله والتي استولى عليها بطريق المكر والخداع [1].

سيطرة أولاد عليّ الأولى شكل رقم (16) :

ومع دخول عام 1646م ضاق أهالي ضواحي بنغازي ذرعًا بسوء المعاملة التي كان يأخذهم بها الأتراك فحاصروا تلك القلعة التي كانوا قد بنوها عند الشاطي. ومن الجدير بالذكر أن التاغريين والأندلسيين المقيمين في درنة كانوا يحبذون في الخفاء هذا التمرد فكانوا يحرضون حلفائهم العرب البرقاويين على طرد الأتراك من بلادهم .

حيث تلقي يوسف بك حاكم بنغازي الذي ظلَّ محاصرًا بها عدة أشهر أثر التمرد أمرًا بالتخلي عن القلعة إذ قام حسن التاغري (حليف أولاد علي) بإعداد بعض القوات في درنة أقامته وجاب الأرياف والدواخل إلى أن بلغ بنغازي

(1) ذكر عبد الله ابن غلبون في كتابه التذكار تلك الحملة الصحراوية مع اختلاف اسم صاحب أوجله حيث سماه أحمد بن عبد الهادي لا سالم كما سلف .

ونجح في الاستيلاء عليها وكان الطاعون في تلك الفترة قد ضرب أطنابه في المنطقة وقد بدا أن هذا كان من الأسباب التي أدت إلى انسحاب الأتراك من بنغازي أمام زحف البدووالتاغريين كما أدى إقلاع الأسطول البحري الذي توجه لمهاجمته إلى جزيرة كريت إلى إضعاف القوة العثمانية في برقة.

غير أن الشقاق ما لبث أن أنفجر بين طائفتي عرب برقه الأندلسيين (حلفاء الحرابي) والتاغريين (حلفاء أولاد علي) وتوسم حسن بك التاغري المستولي على المنطقة في ابن الفاضل زعيم الأندلسيين الطائفة الأخرى خصماً لا يطمئن إليه فنشب بين الطائفتين نضال وصراع أسري عنيف [1] .

وهُزم بن الفاضل الأندلسي فانسحب إلى طرابلس حيث أصبح صديقاً حميماً لمحمود الكيخيا آمر السجون الذي قدمه إلى الداي عثمان فبسط شكواه أمامه (لاحظ :وكأنه يحكي عن حبيب العبيدي الذي ربما رافق ابن الفاضل في رحلته) وكان عثمان داي قد طفح به كيل الحنق ضد أهالي درنة (برقه) الكثيري الشغب فعزم علي تصفيه حسابه معهم .

(1) من خلال بحثي في هذا الصراع لهذه الفترة بالتحديد أحاول أن اربط ما بين القاطنين علي الساحل من الأندلسيين والتاغريين وعرب الدواخل من بدوبرقه والذين اشتركوا معهم في تمردهم ضد يوسف بك في بنغازي كما ذكر حيث كانت تحرضهم القبائل الأندلسيه على اثارة الشغب والثورة الأمر الذي جعل منهم أحلاف للتاغريين والأندلسيين إلا أنني أقول والراجح عندي أن التاغريين والأندلسيين هم بالفعل جزء لا يتجزأ من القبائل البرقاوية التي كانت تقطن برقه أبان تلك الفترة والذين صاروا منهم بمرور الزمن وأحلاف لهم منذ نزولهم برقه بعد تهاوي ممالك الأندلس في القرن الخامس عشر وقد ذكرنا ذلك الحلف وقيامه وأسبابه سابقا لاحظ / أن كبار علي الأبيض هم قبائل سنقر (الأندلسيون الأصل) وهم يحتلون الجانب الأكبر من قبائل أولاد علي ولك أن تلاحظ العناصر الدخيلة على الحرابي من المغاربة مثل البراعصة على سبيل المثال لا الحصر وهذا فيه دلاله على تحالف قوى القبائل من بقية اللبيديين الأوائل مع عرب الأندلس والغرب والذين صنفوا بعد ذلك من قبائل السعادي . إلا أنه يبدولي أن هذه النزاعات الاخيره أحدثت نوعا من المؤاخاة والموالاه الجديدة بين تلك القبائل الأندلسية وقبائل برقه البدوالسعادي فتجد أن هناك قبائل من أصل أندلسي مثل العوامة نصفها في أبناء سنقر الأندلسيين حلفاء أولاد علي ونصفها مع الحرابي وتجد من المغاربة الوافدين البراعصة في أبناء الحرابي وغيرهم كثير .
وفي اعتقادي أن ما سأرويه من التاريخ أنما يطابق واقع ما وصل الينا عن الاباء والأجداد فيما عرف بتجريدة حبيب .

فتم تعيين بن الفاضل هووصديقه محمود الكيخيا على رأس خمسمائة فارس وتلقى (سيد روحه الجبالي) كبير مشايخ سرت أمرًا بمساندتهم بقواته وإذ أخطرت درنه وبنغازي باقتراب العدواستعدتا للدفاع ووقع الاشتباك بين فرسان الجانبيين عند مشارف بنغازي وواصل محمود الكيخيا تقدمه حيث أمر المدافعين عن قلعة بنغازي بتسليم أنفسهم ولكن هؤلاء ردوا عليه بوابل من قذائف المدفعية فاكتفي الكيخيا بمحاصرتهم وما لبث المحاصرون أن تقدموا بعرض بالاستسلام شريطة أن تُصان أرواحهم وقبل العرض وفتحت القلعة يوم 30 ابريل عام 1656 م وقوى هذا النجاح السريع من شوكة محمود الكيخيا فأرسل على الفور إلى عثمان داي حاكم طرابلس يطلب منه أن يبعث إليه مائه انكشاري لاحتلال بنغازي ثم واصل مسيرته نحودرنة وساند الأهالي البدوالقاطنون في ضواحي درنة [1] الأتراك إما لأنهم رغبوا في تملقهم أو ربما أن الأتراك أنفسهم قد دفعوهم في الخفاء إلى الخيانة والغدر وأوحوا إليهم بالانخراط في صفوف التاغريين ثم هجموا عليهم بغتة وقتلوا منهم أكثر من خمسمائة رجل قبل أن يتمكن هؤلاء من الدفاع عن أنفسهم [2] وهكذا فإن محمود الكيخيا لم يلق أيه مقاومة وتمكن من دخول درنة يوم 14 أغسطس 1656م وبادر باعتقال زعيم التاغريين حموده التاغري الذي خلف حسن التاغري فشنقه ونصب محلة صديقة ابن الفاضل الأندلسي كحاكم تابع للداي عثمان .

وكانت بعض الأعمال الوحشية والاضطهادات من النتائج التي لم يكن أمام هذه الحملة مفرًا منها وارتعب بدوبرقه والبطنان لهذه الأخطار التي قد تمتد إليهم فتجمع منهم خمسه وعشرون الف مقاتل استعداد للمقاومة وتوقفت تظاهرتهم العدائية عند هذا الحد إذ لم يمنعهم من مناصبة الأتراك العداء إلا تسلح هؤلاء بالبنادق بينما كانوا لا يعرفون من الأسلحة سوى الرماح فأحجموا عن التقدم نحوهم بيد أن عثمان داي حاكم طرابلس لم يكن يثق

(1) يبدوأنهم الحرابي قبيلة حبيب العبيدي.

(2) حسب التجريده أن هجوم الحرابي على أولاد علي كان ليلا وبغته.

كثيرا في إخلاص بن الفاضل الأندلسي الذي فرض نفسه على ذلك النحو على مواطنيه فرأى أنه من الأفضل استدعاؤه إلى طرابلس ومن ثم عهد إلى محمود الكيخيا باستلام القيادة في بنغازي ودرنه وأدرك أبن الفاضل أن الأتراك لا يطمئنون إليهم فغادر طرابلس والتجأ إلى تونس [1] .

غير أن الهدوء لم يستتب في الإقليم الشرقي برقه في الحال فيبدوان الصراع لايزال مستمرا بين قوى القبائل والأتراك ومواليهم من البدوهناك واستلزم الأمر إيفاد تعزيزات إلى محمود الكيخيا لتمكينه من فرض سيطرته على برقه وحيث مرّت طرابلس بفتن وقلاقل لا يتسع المجال لذكرها إلا أن هذه الاضطرابات قد وصلت أصداؤها إلى درنة والجبل ونظرًا لعدم وجود اتصالات سريعة بين برقه وطرابلس فقد ظن أهل برقه أنه أطيح بحكومة عثمان داي بالفعل وهكذا اندلع التمرد مرة أخرى ضد عامله محمود الكيخيا ولم ترجع الأمور إلى نصابها إلا بعد تجريد تلك الحملة إلى برقه حيث نُفذ حكم الإعدام في رؤوس التآمر والفتنة حسبما جرت العادة .

رواية العيّاشي :

وقد ذكر العياشي هذه الأحداث في رحلته المشهورة أبان تلك الفترة حيث مرّ على برقه نحوالعام 1661م 1662م مؤكدا لتلك الأحداث قائلا :

ودرنة مدينة على ساحل البحر بها مرسي وبينها وبين التميمي مسافة يوم ونصف من غربية وكانت خالية منذ أزمان إلى أن عمرها الأندلس قرب الأربعين والألف. ولم يزالوا بها إلى أن بطروا فأنشبوا الحرب بينهم وبين أمير طرابلس فأخرجهم منها صاغرين بعد وقعه قُتل فيها مئون من أشرافهم وهي الآن في طاعته وفيها عامله المستولي عليها وعلى عرب الجبل الحاج محمود [2].

وقال في موضع آخر ذاكرا أحداث يومه في برقه : ولم يقدم أحد من درنة للسوق

(1) ربما بعد عزل بن الفاضل عين حبيب بن عبد المولى على درنة كما جاء بالخبر.

(2) محمود الكيخيا .

كالعادة لأجل الفتنة الواقعة بين أهلها وأميرها الحاج محمود عامل عصمان باشا (يقصد عثمان داي) صاحب طرابلس ، وذلك أن أكثر سكان البلد مغاربة (زلتين ، مصراتة ، مسلاته ، ......) ولأنها حديثة العهد بالعمارة ولم يبق من أهلها بالأصالة [1] البدوالذين هجروها أثر الحروب أحد فلما عظمت شوكة الوالي آنف سكان البلد واضمروا له العداوة وثاروا على المدينة مرة أخرى فأخرجوه وصار في مركب إلى كنديّة [2] وبعث إلى طرابلس يعلم الباشا الخبر فبعث الباشا مركبًا مشحونًا بالمقاتلة ورجع الحاج محمود من كندية في مركب آخر فتوافدوا على البلد وأخرجوا كل من كان فيها من المغاربة (الأندلسيين والبدو) بعد قتل ذريع ونهب وصاروا لا يتركون أحدًا يدخل البلد ممن ليس من أهلها المستولين عليها حتى الصعاليك من الحجاج والمتسوقة فيبيعون ويشترون خارج البلد . انتهى كلام العياشي .

ومع منتصف عام 1667 م ألحق تمرد وعصيان قبائل الغرب في جهة طرابلس هزيمة نكراء للأتراك حيث هُزم رجب بك وقواته أمام قبائل الدواخل مما أضطره للهرب بعدما فقد سبعمائة لانكشاري من جيشه وعدد من الجرحى الأمر الذي هدد الحاكم في طرابلس والتي وجدت نفسها محاصرة من الأعراب هناك.

أدت هذه الاحداث في الغرب إلى اندلاع حركة تمرد ضد الأتراك في برقه فقد ثارت القبائل هناك من جديد وأصبح من شبه المتعذر على مراد المالطي والذي كان حينئذ حاكما لبنغازي خلفاً لمحمود الكيخيا المذكور آنفاً أن يكبح جماح هذا التمرد الذي امتد حتى شمل واحة أوجله وظلّ الصراع قائما بين القبائل البرقاويه والأتراك وحلفائهم ومواليهم من العرب والبدوفي تلك المنطقة من برقه سجالاً....

ومات عثمان داي أثناء تلك الأحداث وبتولي البالي داي الحكم في طرابلس

---

(1) التاغريون وأحلافهم أولاد علي.

(2) جزيرة كريت تبعد عن درنه مسافة يوم في البحر .

من عام 1672 م تمكّن من عقد صلح مع قبائل الغرب المتمردين والذين أعلنوا عصيانهم ضد الأتراك وحشدوا لهم سرايا من الأعراب يقدر عددها بثلاثين ألف مقاتل يقودهم الشيخ منصور زعيم قبيلة المحاميد المحاربة والشيخ سالم زعيم بن وليد واستطاع بذلك أن يحصل على الاستقرار لأوضاع طرابلس ودواخلها إلى حد ما .

غير أن تمرد برقه هوالذي أقلق خاطر (بالي داي) الذي وجد نفسه على وشك فقدان بنغازي ودرنه وأن سكان باديتها العرب منقسمين إلى حزبين متعاديين يقومان من وقت لأخر بحسم حزازتها القديمة بقوة السلاح [1].

كما أدّى ما تناهى الى أسمعاهم من أن مراد بك قد سيطر بجيشه التونسي على طرابلس الى رغبتهم هم أيضًا في الاستيلاء على برقه والتخلص من الأتراك في بنغازي ودرنه فقد هوجمت الحملة التي جُردت ضدهم وهُزمت ثم أسر أفرادها وسُلبوا وطالب محمود بك حاكم بنغازي من طرابلس أن ترسل إليه النجدات فوجهت سفينة تحمل ثلاثمائة لانكشاري في حين توجهت إليه بالبر قوة مؤلفة من مائتي وخمسين فارسا على رأسهم عبازه أغا وتمكن الأفراد بفضل مساندة بعض البدو[2] لهم من محق هذا التمرد نهائيا وهوالذي على أثره هجرت قبائل أولاد علي وحلفائهم ومرابطيهم برقه ونزحت الى الشرق من العقبة الكبري 1672 م.

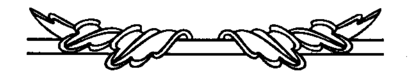
ولكن بدا لنا من واقع التاريخ أن قبائل أولاد علي بفروعها لم تنزح كاملة في تلك الهجرة فمما لا شك فيه أنه بقيت منهم جماعات أخري يبدوأنها والت الترك حفاظاً علي أراضيها أو ما شابه .

وفي ذلك ذكر روسّي نقلاً عن ابن غلبون أنه في العام 1697 م عهد محمد الإمام أنه قامت في الدواخل ناحية الغرب ثورة خطيرة ضد الترك بقيادة

(1) أولاد علي، والحرابي كل بحلفه .

(2) المفترض أنهم الحرابي وذلك من خلال ما ورد في خبر التجريده .

منصور بن خليفة الترهوني [1] الذي كان مكروها من الأتراك وقد أستاء منصور من التركي ونظامه ورفض دعوة المثول بين يدي محمد الإمام باشا فبعث إليه جيشا بقيادة يوسف بك والذي صار تحت لوائه كثير من العرب من أعداء منصور فلما بلغ منصور نبأ الحملة فرّ الى الشرق ودعى قبائل سرت لمساعدته وتصدى للأتراك وحلفائهم في موقع يُقال له أم اللجن بين تاورغا والهيشه وكبدوهم خسائر فادحة أوائل شعبان 1108هـ فبراير أو مارس 1697م وازدهى منصور بن خليفة بهذا النصر فطغى وتجبر وأساء معاملة الناس وتوجه الى برقه فأمر الوالي عامله على الجبل الأخضر محمد بن محمود بملاحقته ومقاومته فجمع لهذا الغرض جنودًا وأقوامًا من درنة وبنغازي ممن أصلهم من مصراته وزليتن والقولوغليه والعرب والموالين من [2] الجبارنة والبراغيث وأولاد برعوص (البراعصة) وأولاد علي فاجتمع لديه منهم ألفان ومائتان من الفرسان وقد هاجمه عرب برقه فهزمهم بادئ الأمر ثم هزموه وطاردوه حتي أفاتوه أهله واستولوا حتي على حريمه ومات بعد ذلك بموقع يعرف باسم (قرارة جدي) بين زليتن ومصراتة 1698 م في معركة مع خصمه عبد الله عبد النبي الصنهاجي وأولاد عبد الرحمن الجبالي وغيرهم [3].



(1) ترهونه نزحت هذه القبيلة الي مصر 1125هـ بعد هزيمتها علي يد الشيخ عبد المولى الجد الأعلى لعائلة المريض واستوطنت أسيوط.

(2) لاحظ بقوله من (للتبعيض).

(3) التذكار لابن غلبون صـ 145، 146 تاريخ ليبيا روسي صـ 332، 333.

* ذكر المؤرخ فيروأن زعيم إقليم طبراقه في 1659م كان يسمى بن علي.

الخلاصة

وصف مختصر لقاطني برقه وأحوالهم السياسية من واقع البحث

كان إقليم برقه مستقلاً تسيطر عليه جاليات عربية وأندلسية لا يخضعون لسلطان إلا سلطانهم ..

نزل التاغريون ساحل برقه آواخر القرن الخامس عشر الميلادي بزعامة أبوالقاسم التاغري وسكنوا درنة وصاروا حلفاء علي الأبيض جيرتهم وسكان برقه البيضاء من أرض البطنان إلى سفوح درنة . شكل رقم (15) .

وجاء من بعدهم الأندلسيون الذين قطنوا ما بعد درنة إلى تخوم بنغازي حيث صاروا حلفاء الحرابي جيرتهم في تلك الأراضي من برقه وما لبثت حتى دبَّ الخلاف والصراع بين الطرفين .

وفي أواخر القرن السادس عشر إلى بداية القرن السابع عشر سيطر التاغريون ضمن حلف أولاد علي على أرض البطنان ودرنة بزعامة حسن بك التاغري وامتد نفوذه إلى احتلالها ومن ثم سيطر على أراضي الحرابي وحلفائهم الأندلسيين حتى وصل إلى بنغازي وصاروا يملكون الجبل بل أصبحوا سادة عليه لا ينازعهم فيه أحد وتحت تعسف حكم أولاد علي واستبدادهم ضاقت أحوال الحرابي وحلفائهم الأندلسيين والمغاربة بعد حروب تغلب فيها جانب التاغريين وأولاد علي فرّ ابن الفاضل الأندلسي زعيم الأندلسيين إلى طرابلس يرافقه حليفه من البدوحبيب العبيدي ولجأ إلى صديقة محمود الكيخيا حيث قام بمساعدتهما وتقديمهما للداي عثمان حاكم طرابلس .

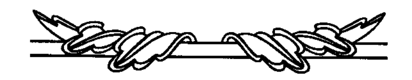
ووصلت تجريدة ابن الفاضل ومحمود بك إلى بنغازي وقاموا برد التاغريين وأولاد علي إلى درنة ثم اقتحموا درنة وهناك تجمعت القبائل في خمسه وعشرين

ألف مقاتل استعداد للدفاع عن أنفسهم .

وظلت الحروب دائرة بين الطرفين سيطر فيها التاغريون مره أخرى وأولاد علي على درنة وأجبروا محمود الكيخيا حاكم درنة على الفرار إلى جزيرة كنديّة حيث جعل بينه وبينهم البحر ومن هناك أستنجد بعثمان داي حاكم طرابلس فأوفد بدوره تعزيزات وأمر بتجريده أخرى على برقة والتي نالت من تلك القبائل منالاً عظيماً قتلت منهم المئات وتم تشتيتهم لنواحي الجبل .

كانت المعارك بينهم سجالاً لا تنقطع حتى عهد مراد المالطي حاكم بنغازي ودرنه والذي أصبح من شبه المتعذر عليه مواجهة تلك القبائل والسيطرة عليها.

وأخيرًا قام (البالي داي) حاكم طرابلس في عام 1672م ، والذي أقلقه تمرد عرب برقه بإرسال حملة بقيادة (عبازه أغا) حيث تمت السيطرة ودحر تلك القبائل الثائرة والتي نزحت على أثر تلك الحروب إلى الشرق .



الفصل الرابع

قبائل أولاد علي آخر زمن دولة المماليك

انتشرت قبائل العرب على أرض مصر من لبيد منذ عام 1400م ومن قبلهم المقادمة إخوانهم قد انتشروا في الدلتا والبحيرة وأخيرا ظهرت قبائل أولاد علي 1672م وامتدّ تواجدها بالمنطقة مع دخول عام 1700م حتى البحيرة والفيوم وبني سويف والشرقية والوجه البحري من مصر. استوطنوا مصر واقتنوا الأملاك ولما كان فيهم من قوة وبأس أستمالهم المماليك وهادنوهم واقطعوا لهم من الأراضي والأموال فصاروا تبعًا لهم بحكم تلك الروابط المادية والعسكرية فقوي بهم المماليك وعظُم نفوذهم واستطاعوا أن يسترجعوا بهم زمن سلطتهم وسيادتهم على مصر .

أنتهز المماليك واتباعهم دخول تركيا في حروب مع النمسا وروسيا القرن الثامن عشر فطمحت نفوسهم إلى التخلص منها والاستقلال بمصر فظهر ذلك في تصرف علي بك الكبير1763م فامتنع عن دفع الخراج للباب العالي وطرد الوالي التركي وأعلن استقلاله بمصر وجاهر بخلع يده من طاعة الدولة 1768م 1182هـ .

أنضم محمد بك أبوالدهب للباب العالي وانقلب على علي بك الكبير الذي قتل في عام1773م فكافأته تركيا وولِّي حُكم مصر ورجعت مصر إلى الحظيرة التركية .

وبدأت سلسلة من الصراعات والنزاعات بين البكوات المماليك على ولاية مصر وفي ظل تلك الأحداث السيئة التي شهدتها البلاد من إهمال اقتصادي وصحي وأمني حيث لم يكن هناك حفظًا للأمن وجفت الترع وتلفت الأراضي وتعطلت الزراعة وتفشي الوباء والأمراض التي قضت على أعداد كبيرة من المجتمع المصري وجدت فرنسا الفرصة سانحة للسيطرة على مصر .

الحملة الفرنسية على مصر 1798م :

نزلت الحملة غرب الإسكندرية ليلة 22 يوليه 1798م 18محرم 1213هـ بجزيرة المرابط (العجمي) [1].

ذكر المسيو فيفيان دينون أن الأهالي قد أصابهم الهياج لشعورهم باقترابنا وقد استعدوا للمقاومة فأخذوا يحصنون القلاع ويزيدون عدد الجنود بالمتطوعين للقتال ويجمعون جيشًا من العرب [2] المجاورين والذين أستنجد بهم محمد كريم حاكم الإسكندرية .

كما جاء في مذكرات الكولونيل سلكوسكى أحد ضباط الحملة مفاده أن الأمراء المماليك يستعدون ولا نعلم إلى أي حد بلغ استعدادهم وقد أنضم إليهم المغاربة من ضواحي الثغر وتحصنوا بالأسوار .

جاء في مذكرات كليبر : نزلنا إلى البر على شاطيء المرابط العجمي الساعة الحادية عشر ليلاً فبدأنا نرتوي من ماء بئر قريبة ثم استرحنا واستغرقتُ في النوم إلى أن أيقظني البرد وسرنا بعد منتصف الليل صوب الإسكندرية وبدأنا نهاجمها نحوالساعة العاشرة صباحًا وكان أهالي الإسكندرية قد وقع منهم الرعب وتوهم الفزع حين نظروا إلى وجه البحر الذي غطته المراكب فبادر السيد محمد كريم حاكم المدينة إلى طلب النجدة وأرسل إلى مراد بك الذي عهد إلى العرب مناوشة القوات الفرنسية فحدثت المناوشات ارتد على أثرها العرب جنوبًا وتابع الفرنسيون زحفهم على المدينة .

وفي رواية الجبرتي حيث قال : فلما دخل الليل تحولت منهم مراكب إلى جهة العجمي وطلعوا إلى البر فعندها خرج أهل الثغر ومن أنضم إليهم من العربان المجتمعة وكاشف بك حاكم البحيرة فلم يستطيعوا مدافعتهم فانهزم الكاشف ومن معه من العربان ودخل الإفرنج البلد .....

---

(1) المرابط : مقام ولي صالح بالمنطقه .

(2) القبائل التي كانت تسكن ضواحي الإسكندرية ومريوط.

مشاهد من مقاومة العربان للحملة الفرنسية :

هزيمة الجنرال ديموى : أمر الجنرال كليبر كتيبة من الجنود الفرنساوية لتجوب بعض جهات البحيرة فتعرج على دمنهور ثم رشيد فأبي قير فالإسكندرية للإطمئنان على سلامة الجيش الفرنسي وكان ذلك بأمر من نابليون الذي أختار الجنرال ديموي لقيادة الكتيبة قامت الكتيبة يوم 17 يوليه 1798م ولم تستطع أن تتزود بما يكفيها من الماء والزاد لأن الأهالي علموا بعزم القيادة الفرنسية على تجريد هذه الكتيبة فهرَّبوا الجمال لكي لا يستعين بها الفرنسيون ولقيت الفرقة عنتًا ومشقة بعملهم هذا .

وقال الجنرال ديموي في تقريره على بعد نصف فرسخ من بلد من مركز كفر الدوار هاجم الكتيبة عدد من العربان وكان هذا العدد يزداد كلما تقدمنا في السير وقد شتتنا هذه الجموع بالرصاص ولم نفقد سوى قتيل واحد وجريح وقد داخلني الشك من الاتفاق من هجوم هذا الجمع من العرب علينا ومغادرتنا للإسكندرية وخيل إلى أن هناك اتصالاً بينهم وبين أهالي الإسكندرية ...

تابعت الكتيبة سيرها واشتد بهم الظمأ وكنا في خلال هذه المسافة محرومين من الماء وكان من المستحيل أن نجد جملاً واحدًا أو قربة واحده لحمل الماء وبلغت بنا الحال أنه في يوم تحرك الفرقة اختفت الجمال من الإسكندرية ثم عادت إلى الظهور في شوارع المدينة غداة مسيرنا مما يدل على أن هناك تواطؤ بين الأهالي وأصحاب الإبل من العرب .

لقيت الكتيبة عنتًا ومشقة في طريقها إلى دمنهور فقد كان الأهالي لا يزالون يذكرون اعتداء الجنود على القرى إثناء زحفهم إلى القاهرة فكانوا يقابلون الفرقة بما استطاعوا من أنواع المقاومة ولما دخلتُ دمنهور لقيتُ بها تمردًا شديدًا حيث أجتمع منهم نحوستة ألاف مقاتل وقد غصت بهم الطرق والشوارع وتغطت أسطح المنازل فرأى قائد الكتيبة أنه من الخطر الاصطدام بهذه الجموع فأخلا دمنهور بعد أن قتل بعض جنوده وصدت المدافع الفرنسية الجموع الثائرة وانسحبت إلى بركة غطاس وهناك أستقى الجنود من الماء وهاجمهم العرب

ثانيةً فاعتزمت الكتيبة على الرجوع إلى الإسكندرية وذلك لما عانته من المتاعب والغارات من العرب في طريقها رجعت إلى الإسكندرية مضعضعة منهوكة القوى بعد أن خسرت ثلاثين ما بين قتيل وجريح وأخفقت شر إخفاق فيما قصدت إليه وتعقبها الأهالي حتى وصلت الإسكندرية 20 يوليه وكانت جموع العرب لا تفتأ تنتشر حول أسوار الإسكندرية متشجعة بها حل بفرقة ديموي من الخسائر وقتلت بعض الجنود المالطيين بجهة عمود السواري وجرحت جنديًا آخر .

أضطر الجنرال كليبر إلى إنشاء المخافر على مشارف المدينة لمنع توالي الهجمات من قبل العرب وحماية السرايا (الدوريات) المسلحة التي كانت ترود الضواحي وقد التحمت هذه السرايا بقوة منٍ العرب يوم 23 يولية على مقربة من رشيد وقتلت منهم ثلاث وأربعين رجلا .

لا شك أن هذه الهزائم والخسائر التي لحقت بالجيش الفرنسي من قبل العرب والأهالي الثائرين قد نالت من هيبتهم فأراد كليبر أن يستعيد هذه الهيبة فأمر بالقبض على الزعيم محمد كريم .

معركة شبراخيت 13 يوليه 1798م..

وكانت بين الجيش الفرنسي بقيادة نابليون والمماليك والذين وصل عددهم إلى أربعة آلاف فارسٍ انضم إليهم ألفان فارس من العرب (قبائل الجمعيات والهنادي وأولاد عليّ) وذلك طبقا لاحصاءات مأخوذة عن يوميات الكابتن ديبونتون ضابط بفرقة ديزيه [1].

كما ذكر نابليون في مذكراته أن جيش مراد بك كان مؤلفاً من ثلاثة آلاف من المماليك معهم عدة ألاف من الرجال لخدمتهم وقد أنضم إليهم ألفان من العرب [2].

---

(1) ذكر ذلك في تقريره لوزارة الحربية بتاريخ 24 يوليه 1798م .

(2) الرافعي (تاريخ الحركة الوطنية) صـ 190 جـ الأول .

وكان قد تغلب فيها الجيش الفرنسي بعد معركة كبيرة أشاد فيها الفرنساوية ببسالة القوة حيث ذكروا أنه لوكان جيش مراد بك متدربًا على ضروب القتال الحديثة لمكنهم أن يهزموا الجيش الفرنسي أو لأجبروه على التراجع إلى الإسكندرية وكان فيها الأهالي والعرب يتعقبون فرق الجيش الزاحفة فيقتلون كل من يدركونه وممن يتخلفون عن قوة الجيش .

واقعة إمبابه أو معركة الأهرام 21 يوليه 1798م ..

أنسحب مراد بك ومن معه من المماليك والعرب من شبراخيت وتراجع إلى القاهرة واخذ يستعد لمواجهة الفرنسيين في إمبابة بالبر الغربي للنيل وكان عددهم نحو عشرين ألفا تحميهم المدافع والمتاريس وتتألف الميمنة حيث مراد بك والقلب والميسرة فرسان المماليك ومتطوعي القاهرة وعددهم سبعة آلاف مرابطون في خط يمين من النيل والأهرام وفي أقصي الميسرة فرسان العرب من القبائل في عدة آلاف يشدون أزرهم .

ويقول نابليون في مذكراته عن قوة جيش مراد بك :

وكانت الميمنة ترابط شمال إمبابة ويتألف من 20000 من الانكشارية والعرب ومقاتلة القاهرة وتتألف الميسرة والقلب من 12 ألف فارس من المماليك والمشايخ والأعيان المصريين ومع كل منهم ثلاثة أو أربعة من المشاة لخدمتهم فكان مجموع هذه القوة نحو خمسين ألف رجل يضاف إليهم ثمانية ألاف فارس عربي تتألف منهم ميسرة هذا الجيش فكان يحتل خطًا طوله ثلاث فراسخ.

ويذكر الجبرتي في الجزء الثالث من تاريخه ما يدلك على اشتراك الفرسان العرب من القبائل في هذه المعركة حيث قال : أرسل إبراهيم بك إلى العربان المجاورة لمصر ورسم لهم أن يكونوا في المقدمة بنواحي شبرا وما والها وكذلك أجتمع لمراد بك الكثير من عرب البحيرة كأولاد علي والهنادي وغيرهم .

اشتركوا كل هؤلاء في معركة من أكبر المعارك التي خاضها الشعب في مقاومة الاستعمار حيث قال الجبرتي يصف مدى تلك المأساة : وكانت ليلة

وصباحها في غاية الشناعة جري فيها مالم يتفق مثله في مصر ولا سمعنا بما شابهه في تواريخ المتقدمين .

الثورة في طنطا (الغربية) ..

عندما ثار الأهالي على الفرنساوية وكتيبة لوفيفر والذي كان قد أقتاد أربعه من الثوار ليبعث بهم إلى القاهرة فما كاد ينزل الرهائن إلى المراكب حتى هرعت عليهم الجماهير بالبنادق والحراب يصيحون صيحات الغضب رافعين الرايات والبيارق فلما رآها أهالي البلاد المجاورة أقبلوا عليهم من كل حدب وانضموا إلى الثائرين وكان بينهم 150 من فرسان العرب فقابلهم الفرنساوية بوابل من النيران فانسحبوا إلى الداخل فرأى القائد لوفيفر أنه لا سبيل إلى تعقب الثائرين لافتقاره إلى المدفعية والجند كما أنهم أنهوا القتال بناء على تعليمات نابليون الذي آثر أن يأخذ الثائرين بالحكمة لأنه يخشى عاقبة انفجار الهياج في المدينة وكان الجنرال فوجير قد نبه نابليون إلى أن الثوار استعانوا بالعرب فكلفه نابليون أن يأخذ منهم الرهائن لإخضاعهم وإن لم يذعنوا فلينكل بهم .

كما عزم نابليون على تجريد حملة إليهم بقيادة جنرال لانوس وأمره أن يسير إلى العرب في سنباط حيث يرابطون بها ويحاربهم وينتزع منهم الرهائن والأسلحة.

وكان منوطاً به كذلك تجريد الأهالي من السلاح على أنه لم يستطع إنفاذ هذه المهمة وكتب إلى نابليون في 4 سبتمبر يسأله العدول عن هذه المهمة الشاقة ويقول في خطابة : إني أعتقد أن سياسة تجريد الأهالي من السلاح طريقة ضارة وغير حكيمة إذ رأى أن العرب المزارعين مسلحون وتسليحهم مفيد لأنهم يحمون البلاد من سطوة البدوالرحل [1] والذي يرى فيهم الخطر الأكبر على الفرنساوية وقد أشرنا في مقدمة هذا البحث عن تقسيم البدوالعرب في مصر وأنهم بهذا يحفظون الأمن في هذه الجهات ويصعب إلى وقت لا يزال بعيدًا أن نسلبهم السلاح دون أن نوقع في صدورهم وندفعهم إلى الثورة كما حدث في مديريات أخرى.

(1) هي قبائل أولاد علي والمشار إليها في تصنيف فرنسا للقبائل

هاجم الجنرال مورو في شهر سبتمبر قوة من العرب في دنديط بالقرب من ميت غمر فهزمهم وشتت جموعهم واستولى على ألفين رأس من الغنم .

وفي سنباط فقط أنفذ الجنرال دوجا الجنرال فردية لمعاقبة العرب النازلين بها فالتقى بقوة من العرب فهزمهم واستولى على خيامهم وماشيتهم .وسجل في جريدة (كورييه ولجت) العدد الثامن بأن معركة سنباط انتهت بإحراق القرية وخسر العرب فيها خمسمائة قتيل عدا من غرق منهم واستولى الفرنسيون على ستة ألاف رأس من الغنم .

المقاومة في الوجه القبلي ..

معركة البهنسا بالقرب من الفيوم وكانت بقيادة مراد بك في 13 أكتوبر ومعه مائه وخمسون من فرسان العرب .

وفي لاهون بنواحي الفيوم معركة بقيادة محمد بك الألفي ومن معه من العربان.

واقعة سدمنت 7 أكتوبر 1798م غربي بحر يوسف من جهة بني سويف التقي فيها الفرنسيون وقوة مراد بك ومن معه من العرب ودارت معركة من أشد المعارك كادت تسحق فيها قوات ديزيه لولا قوة المدفعية الفرنسية وكان مراد بك قد جمع قوة كبيرة من أهالي الفيوم فرسان ومشاة وعندما اقترب الفرنسيون هجم عليهم المماليك والعربان منحدرين من المرتفعات التي كانوا يعتصمون بها وكان عدد الفرسان من أربعه إلى خمسة آلاف فارس هجموا على قرع الطبول بحماسة عظيمة وأحاطوا بجيش الجنرال ديزيه من كل صوب وكانوا أكثر عدد وأشد حماسة من الأعداء ولكن المدافع الفرنسية فتكت بهم فتكًا ذريعًا وكسرت هجمتهم فأعادوا الكرة ثانية وثالثة بنفس الحمية وأخذ مراد بك الذي كان قد نصب ثمانية مدافع أخذت تطلق النار على الجنود الفرنساوية فأوقعت بهم خسائر فادحة وكادت تدور الدائرة على الفرنسيين لولا نفاذ الذخيرة الذي أداء إلى تقهقرهم وقد خسر الفرنساوية 340 قتيل 150 جريح وقدر الجنرال ديزيه خسائر المصريين بأربعمائة قتيل.

كانت هذه المعركة من أهم المعارك في تاريخ الحملة الفرنسية والتي كان لها أثر كبير في سير القتال وتطور الأحوال لأنها قضت على آمال مراد بك وأعوانة في أن ينتصر في معركة منظمة وفتحت أمام الفرنسيين إقليم الفيوم الغني بثرواته الزراعية .

تغير وجه القتال من المعارك النظامية فسارت الحرب مقاومات محلية تتجدد تبعًا للأحوال والمفاجأة وكان هذا النوع من المقاومة أشد خطرًا على الجيش الفرنسي من المعارك المنظمة .

قال (ريبو) يصف هذا التطور : أن مراد بك قد أخذ عن العرب حرب المناوشات والمعارك المتفرقة فلم يهدأ للفرنسيين بال ولم يستقر لهم قرار خلال الحملة على البلاد بل كانوا هدفًا للمفاجأة والمعارك غير المنتظرة .

ثورة ومحاولة الاستيلاء على مدينة الفيوم [1]

أنه في الثامن من نوفمبر 1799م الساعة الثامنة صباحًا ظهرت طلائع الثوار من المماليك والأهالي والعرب وفي نحوالحادية عشر أقبلت جموعهم وهجموا على معسكر الجنود فتأهبت القوة الفرنسية للقتال وعلى رأسها جنرال روبان الذي كان مصابًا بالرمد فأناب عنه كولونيل هبلر وعند الساعة الثانية عشر هجم الثوار تتقدمهم طبول الحرب وعلى رأسهم قواد من المماليك فدافع الفرنسيون دفاعًا شديدًا لكن ارتدت على أعقابها إلى الداخل واقتحم الثوار الشوارع وكان عددهم كثير جاء في تقرير ديزيه أنهم ثلاثة ألاف مقاتل ويقول ريبوكانوا خمسمائة من المماليك ومعهم فصيلة من العرب وألفان من الفلاحين.

ثورة البحيرة ..

في أواخر أبريل 1799م شبت في البحيرة ثورة أوسع مدى وأعظم خطرًا

(1) الرافعي تاريخ الحركة الوطنية جـ 1.

حيث ظهر فيها رجل جاء من (درنة)[1] أدعى المهدية ودعى الناس لقتال الفرنسيين فأقبلوا عليه أفواجًا وضم إليه رجال القبائل من أولاد علي والهنادي وغيرهم وانحاز إليه سكان القرى التي مر بها .

فسار بهذه الجموع المسلحة حتى وصل إلى دمنهور ليلة 24 أو25 أبريل وكان بها حامية من الجنود الفرنسيين تحت قيادة الضابط مارتان فأمر المهدي المزعوم رجالة بالهجوم على هذه الحامية فهجموا عليها وقتلوا رجالها جميعًا .أشار الجبرتي إلي هذه الحادثة بقولة : ومن حوادث شهر ذي القعدة سنة 1213هـ أبريل 1799م أن طائفة من عرب البحيرة جاروا وخرَّبوا دمنهور وقتلوا عده من الفرنسيين وعاثوا في نواحي تلك البلاد حتى وصلوا إلى الرحمانيه ورشيد وهم يقتلون من يجدونه من الفرنسيين وغيره .

كان لانتصار المهدي المدعي تأثير كبير في مديرية البحيرة فهرع إليه الناس من كل صوب وزاد عدد أتباعه وقوي اعتقاد الناس في قوته الخارقة وسار برجاله قاصدًا إلى النيل ليعبره إلى مديرية الغربية وكان بالبحيرة كتيبة طوافة بقيادة كولونيل لفيفر أنتظر وصول المدد لتهاجم المهدي وسارت القوة من الإسكندرية يوم 27 أبريل والتقت برجال المهدي غير بعيد عن دمنهور ودار بينهم قتال شديد استمر لخمس ساعات انسحبت بعده القوة الفرنسية إلى الإسكندرية .

معركة سنهور 3مايو1799م ..

سارت القوات الفرنسية مجتمعه بعد وصول المدد إليها فالتقت برجال المهدي يوم 3 مايوبسنهور البحيرة على مقربة من دمنهور ودارت معركة من أشد المعارك هولاً قال ريبويصفها : أن عدد رجال المهدي كانوا خمسة عشر ألف مقاتل من المشاة وأربعه آلاف من الفرسان واستمر القتال لساعات كان فيها أشبه بمجزرة فظيعة ومن أشد الوقائع التي واجهها الفرنسيون في القطر

---

(1) منطقة بالجبل الأخضر ببرقه .

المصري أظهر فيها أتباع المهدي من العرب أولاد عليّ والهنادي والجمعيات وغيرهم والفلاحين شجاعة كبيره واستخفاف بالموت لا نظير له كانت فيها الخسائر فادحة .

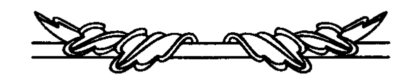
وقد قُتل عدد من جيش المهدي من بينهم عبد الله باشي من مشايخ دمنهور ومراد عبد الله شيخ الهنادى .

انتهت المعركة التي انتصر فيها جيش المهدي وارتدَّ الفرنساوية إلى أتباعهم في الرحمانية ولم يلبثوا حتى استعادوا قواهم وانقضوا على دمنهور بقصد القضاء على ثورة المهدي وأعوانه فدخلوها فاتحين فأعمل السيف والنار ودمروها بوحشية وأبادوا من وجدوه فيها من السكان الآمنين وأحرقوا مساكنهم وقتلوا من الشيوخ والنساء والأطفال بحد السيف وفي اليوم التالي كانت دمنهور ركامًا من الأحجار السوداء اختلطت بها أشلاء الجثث ودماء القتلى .

ومن مشاهد المقاومة الكثيرة اشتراكهم أيضًا في ثورة القاهرة 20 مارس 1800 م ضد الفرنسيين وبعد صراعات محلية كثيرة تدخلت بريطانيا وتركيا واشتركوا في القضاء على فرنسا بالضغط عليها وإجلائها عن مصر وبجلائها ظهر صراع ثلاث قوى في مصر انجلترا وتركيا والمماليك .

فكان هدف انجلترا هوالسيطرة على مصر وإحلالها مكان فرنسا أمَّا الأتراك فكان سعيهم لاستعادة ولاية مصر إلى دار الخلافة العثمانية أما القوى الثالثة تمثلت في المماليك والذين يبحثون عن الاستقلال طامحين في السلطة المطلقة على مصر .

ومن هنا تبدأ سلسلة من الصراعات الجديدة تغيرت على أثرها الأحوال السياسية في مصر وذلك بظهور محمد علي باشا على الساحة السياسية في مصر.



الفصل الخامس

إستراتيجية فرنسا وسياسة الترويض لعربان الصحراء والقبائل وتجريدهم من بداوتهم..



(صفحات من كتاب وصف مصر 1799 م)

يقول جرايتان لوبير نقلاً عن المسيوشابرول من كتاب وصف مصر .أما بخصوص مختلف القبائل العربية التي يبدوأنها وضعت سيطرتها (يدها) على المنطقة فإنه ينبغي علي حكام مصر أن يتركوا لها حرية استقلالها شريطة أن يصبحوا مزارعين مسالمين ، وإلاَّ فعلى هؤلاء الحكام أن يجلوهم عنها بقوه السلاح .أما القبائل العربية التي تجوب صحراوات مريوط . والتي تقوم بغاراتها حتى وسط إقليم البحيرة . فهي قبائل الجومات (الجمعيات) والطروات ، بني عون ، الجوابيص الهنادي ، أولاد علي ويزرع عربان القبائل الثلاثة الأولي بعض أجزاء من إقليم البحيرة ، وهي الأجزاء المتاخمة للصحراء وقد استقر عرب بني عونه في قريتي جوامي والحوش حيث يزرعون الشعير ولكي نعمل علي توطين هؤلاء نهائيًا هناك فلا ينبغي أن نسلك معهم العنف والقسر بقدر ما ينبغي أن نخلع عليهم حمايتنا ضد القبائل التي تقف منهم موقف العداء فلقد أصبح هؤلاء يصطنعون شيئًا فشيئًا عادات الفلاحين وتقاليدهم ويبدوا أنهم مؤهلون لكي يصبحوا مزارعين .

وفي الوقت نفسه، فمن الميسور أن يترك عربان الهنادي حياة الترحال وينبغي علي حكام مصر ،حتى يبلغوا بهم هذا الحال أن ينتزعوا منهم عن طريق هجمات خاطفة ماشيتهم وبخاصة خيولهم ، ذلك أنهم سيصبحون مضطرين للاستقرار وممارسة الزراعة ، إذا ما حرموا من وسائل الهرب السريعة وهوالأمر الذي سيحد من غاراتهم وانتهاباتهم .

وينبغي حتى نرغمهم علي ذلك أن نستولي على الحبوب التي يحصدونها من بعض المناطق التي تساعد مياه الأمطار على زراعتها وذلك قبل أن يقوموا بحصادها وفي النهاية فإن وطأة العوز عندما يصبح هؤلاء محرومين من كل مصدر دخل – ستضطرهم إلى اللجوء إلى طلب عون الحكومة وحمايتها .

إن هذه الوسائل التي اعددناها باعتبارها أساليب ممكن اللجوء إليها ضد بعض قبائل العربان ، هذه لتتناسب عموما مع نوع الحرب التي ينبغي دعمها ضد كل القبائل التي تخرب وتروع حدود مصر – (وذلك علي حد اعتبار رأي الفرنسيين إنما الحقيقة إن هذه القبائل والتي أنها تخرب وتروع الأمن الفرنسي المستعمر على حدود مصر وداخلها) .

والتي يمكن أن يبلغ تعداد محاربيها مجتمعين كما يقول الجنرال رينيه Reynier في كتاب (الأوضاع في مصر).هذا إن لم تفرق المصالح فيما بينهم، وتجرهم إلى حالة من الحرب المستمرة بينهم وبين بعضهم البعض .ويشكل عربان (أولاد علي) بشكل دائم ، حين يراد حماية مصر غاراتهم عقبات أكبر من تلك التي تشكلها القبائل العربية الأخرى ، فهؤلاء العربان يأتون كل عام لقضاء عدة شهور على الحدود الغربية لمصر ويعيشون في حالة حرب دائمة مع بقية القبائل .

ولقد جعلت منهم الإتاوات التي يحصلونها والمصادر التي يحصلون عليها إثناء رحلتهم الطويلة في الصحراء الممتدة ، بحذاء سواحل البحر في غرب مصر، بفعل القوة ، كل هذا جعل منهم أعداء أشداء يخشى بأسهم بالنسبة لولايات مصر الغربية، حيث يقتربون دائما في موسم الحصاد السنوي كي يقوموا بالانتهاب والسلب ولكي يبثوا الرعب والأحزان في هذا الوقت من العام لذلك ينبغي أن تخصص قوه متحركة ، كتلك التي يمتلكونها هم لكي يمكن اتقاء شرهم ، ويمكن أن يقوم سلاح الهجانه الذي أنشأه قائد الجيش الفرنسي في مصر بهذه المهمة المرجوة، والتي لابد أن تصبح الشغل الشاغل لاهتمام الحكومة الأم بخصوص هذه المنطقة القديمة والبائسة .

دراسة فرنسية للنظام الداخلي للقبائل العربية في مصر

(أ / جومار)

قدمت الحملة الفرنسية على مصر وقدم معها علماؤها المتخصصون في شتى مجالات العلوم والمعارف يدونون ملاحظاتهم ويسجلون كل ما تقع أعينهم عليه بدقه وكان من بينهم مجموعه من المؤرخين والاجتماعيين الذين دونوا كثيرًا عن تلك القبائل المنتشرة في صحراء ودلتا مصر أبان الحملة الفرنسية 1799م واستطاعوا خلالها أن يقسموا العربان في مصر إلى طبقتين كبيرتين كالأتي :

1 - **الطبقة الأولى : وهي على قسمين :**

(أ) القبائل التي استقرت في مصر منذ زمن بعيد (المزارعون)

(ب) القبائل التي قدمت من شمال أفريقيا حديثاً (مستقرون)

2 - **الطبقة الثانية :**

قبائل بدوالصحراء الرحل (محاربون)

التفصيل :

القبائل التي استقرت في مصر منذ زمن بعيد (المزارعون) وهي تلك القبائل العربية التي بدأت تمارس الزراعه في مصر منذ دخول الإسلام وهناك من أحترف ذلك فقط منذ دخول الأتراك وقد زاد تعداد هذه العائلات وقاموا بتطوير الزراعة والصناعات الزراعية أكثر مما صنعوا الفلاحون حيث تدار أرضهم بعناية وتجلب لهم أفضل ريع وبشكل عام يكاد يعود إلى هؤلاء العرب فضل زراعة وصناعة السكر في مصر الوسطى .

وحيث إنهم يتواجدون جميعًا على شاطئ النيل الأيمن الشرقي والذي هوضيق الاتساع حيث يحدق به الجبل فأنهم لم يدعوا نقطة واحده لم يزرعوها

بدءً من مجرى النيل ونهاية بسفح الصخور ولهذا نجد لهذه القرى ملمحًا خاص يميزها عن البقية الأخرى حيث يمتلك سكانها الخيل والجمال بأعداد وفيرة كما كان يفعل أبائهم قبل أن يقبلوا القيام بأعمال الزراعة وقبل امتلاكهم لمراع وفيرة ومع ذلك فعند أول إشارة للحرب يرى المرء هؤلاء المزارعين وقد تحولوا على الفور إلى فرسان يتسلحون بالحراب شأن البدوويعسكرون في السهول .

ومن السهل أن نُمّيز هؤلاء عن الفلاحين وذلك عن طريق تقاطيع وجههم وطباعهم وكل خصالهم ، فلقد استمر الدم العربي يتدفق في عروقهم دون اى اختلاط حتى أنك لا تستطيع أن تميز ملامحهم عن ملامح العربان المحاربين ، فما أن يمتطوا الخيول ويتلفعوا بالبرنس حتى تعدم كل وسيلة للتعرف عليهم فلقد احتفظوا بخطوط الوجه وبخاصة العينين الصغيرتين اللامعتين اللتين تميزان هذا الجنس وإن كانوا قد احتفظوا فوق كل شئ بروح الجشع والضراوة والشجار والمماحكة .

وجيرة كهذه لا يمكن أن تكون بالنسبة للفلاحين سوى كارثة فهم يجورون باستمرار على أراضيهم وذلك مرة تحت الادعاء بأن النيل قد أكل جزء من أراضيهم وأن عليهم أن يستعيضوا عنها من أراضي الشط الآخر من النهر ومرة أخرى بادعاء حقوق قديمة مزعومة وأخيرًا فإنهم عندما لا يجدون ذريعة فإنهم يركبون خيولهم ويستولون بقوة السلاح على ما يناسبهم من الأراضي. وإذا حدث واستنفرت بعض القرى أبنائها لمقاومتهم فأنها تدفع ثمن ذلك باهظاً .ويجد العربان أفضل دعم لادعاءاتهم في قوة سلاحهم وكثرة تعدادهم عن الآخرين .... ولا يُرى في قرى العربان بيوتًا للمماليك فهؤلاء لا يذهبون مطلقًا للإقامة بين العرب وهم لم يحصلوا الضرائب من هناك إلا بمشقة بالغة مع ترك تقديرها على الدوام لإدعاءات المشايخ لذلك يمكن القول بثقة بأن المماليك لم يكونوا يحصلون على ضريبة من كل مصر .

ولنفس هذه الأسباب لاقى الفرنسيون كبير عناء في تحصل الضريبة من

كثير من هذه القرى التي لم تكن تدفع ضرائب على الإطلاق.

وهكذا رأينا مصر عامًا بعد عام تغص بهذه القرى الصغرى التي ليست سوى أكداس من الأكواخ ليست بها نخلة واحدة ، وتحمل كل منها اسم الشيخ العربي الذي أسسها. ومن اللافت للنظر أنها تسمي نزله أو نُزل وهي كلمة تعني النزول . ويشير الكاتب الفرنسي أنها نوع من المستوطنات تدين بنشأتها كغيرها إلى الغزو واستخدام العنف ويمكن ان نذكر من ذلك أسماء نزل أبوجانوب في ولاية اشمون والمنيا ونزل المظاهرة في أطفيح . ومعظم الجزر ذات الأهمية مملوكة للعرب ولكن إذا ما عُدنا إلى أصل هذه الملكية فسنجدها قد قامت على نفس الشاكلة السابق ذكرها اى تحت تلك الادعاءات متذرعين بذلك المثل المصري(النهر يرد من جهة ما أخذه من جهة أخرى) .

ويعيش العرب فيها اليوم ملاكًا آمنين ويضعون أيديهم على الأراضي التي تتاخم الشاطئ الأيسر للنهر وتمتد هذه الملكيات إلى ربع الفرسخ داخل الأرض وهناك فوق هذه الأراضي الرملية التي يغرقها النيل يزرع العرب التبغ والبطيخ وصبغة النيلة وقصب السكر بقصد تدعيم حقوقهم في هذه الأرض على أكبر مساحة من الأرض إذا لم تضع الحكومة حدا لغزواتهم وإذا لم تسن قوانين محددة بالنسبة لحدود الأراضي وفي الواقع فإننا نرى أن هذا السلوك الاستبدادي للعرب المزارعين سيؤدي بهم أن يصبحوا سادة لمجرى النيل ولتلك القطعة الأكثر أهمية في مصر بالنسبة للتجارة وشئون الدفاع عن البلاد.

كما أن هؤلاء العرب المزارعين هم الأحسن تسلحًا وفي الواقع فإن قُراهم بها وفره كبيرة من البنادق والطبنجات والمسدسات والسيوف ولهم مهارة كبيرة في إخفائها .

وستجد أول رجُل تقابله هذه العيون اليقظة التي ليست إلا للعرب وعندما يبرز في قراهم رجل لا يعرفونه فإن تماسكهم يضطرب وتبلغ حيطتهم درجة لا يمكن تصديقها وعندما يبلغهم نبأ اعتزام بعض الفرق العسكرية المرور بقراهم فأنهم يخبئون دوابهم وخيولهم ويرسلون بها إلى الصحراء وما أن تصل

الفرق بينهم يحتفظون بهدوئهم ويظلون بلا حراك .

هكذا يرى المرء اطراد زيادة ممتلكاتهم في مصر ولست أشك في أنهم سوف يستولون بطريقة غير محسوسة والتجارة لديهم هناك في السكر والبلح ويذهبون لبيعها في مصر كما أنهم يحتفظون بالقمح والشعير لاستهلاكهم الشخصي أو لدوابهم والتي يبيعونها في الأسواق كما يبيعون الصوف وكميات من فحم السنط .

ولدى الشيوخ معلومات دقيقة عن أعماق الوديان في الصحراء ويدينون بمعرفتهم تلك للبدوالذين يتصلون بهم على الدوام فعن طريقهم يعرفون مخارج الوديان واتجاهات الأخوار ومياه الأمطار وبذلك يعرفون كل المناطق التي يمكن لهم أن يجدوا بها الماء وهم يستطيعون تمييز الطرق القابلة للاستعمال من عدمها وبهذا يستطيعون حسب إرادتهم أن يقدموا خدماتهم أو يمنعوها عن الفرق العسكرية التي تحتاج إلى التوغل في الجبال وبذلك يكون في مقدورهم أن يسلموهم إلى العطش وأن يضللوهم وأن يجعلوهم يهلكون في الصحراء .

فغالبًا ما كانوا يرشدون الفرق الفرنسية إلى طرق عكسية لتلك التي كان عليهم أن يسلكوها للحاق بالمماليك لذلك فنادرًا ما أستطاع الفرنسيون أن يأخذوا هؤلاء على غِرّه .

ويذكر أن :

هناك فرق ملحوظ بين هؤلاء العرب وبين غيرهم من العرب الآخرين وذلك أنهم لا ينطقون اللغة مثلهم لكنهم ينطقونها مثل الفلاحين فهم لا يعطشون الجيم فيقول جسر وجامع بدون تعطيش كما يفعل العرب (المحاربون البدو) ومع ذلك فكثيرون منهم ينطقون منهم اللغة على طريقة البدو.

القسم الثاني من الطبقة الأولى :

القبائل التي قدمت حديثا من شمال أفريقيا (عرب مستقرون)

وهي تلك القبائل القادمة من شمال أفريقيا لتستقر في مصر منذ حوالي قرن[1] ولقد حصل هؤلاء العرب على أراضي عدة قرى وزرعوها أو استزرعوها في غالب الأحيان بمحاصيل العلف يرعون فيها خيولهم ودوابهم لمدة تسعة أشهر في العام ومن بين هؤلاء القبائل تلك التي تعرف بأسماء (بني وافي مغاربة ، أبوكريم فوايد ، محارب حرابي ، الطحاوي هنادي) وقبائل أخرى تفرعت عنها ولا تزال القبيلتان الأوليتان وقبائل أخرى مثل (الجهمة،وترهونة)[2] يسكنون تحت الخيام لكنهم لا ينصبون هذه الخيام إلا فوق أرضهم أو الأرض التي يستأجرونها ويدفعون عنها الضرائب ومع ذلك فإنهم لا يستسلمون مُطلقاً للهزيمة إذا ما هاجمهم عربان الخيش فلديهم خيامهم ورماحهم وجمالهم وخيولهم مُعدّة على الدوام للجوء إلى الصحراء إذا ما حدث أن جردوا من الأراضي التي يملكونها .

والمعارك والمشاحنات كثيرة بين هاذين الفريقين من العرب وذكر أنه قد شاهد كثير من المعارك الدامية ورأى عند هذا الفريق أو ذاك شجاعة حقّه أو على الأقل سلوكًا مليئًا بالشراسة والبغض والأحقاد .

وهذا القسم من العرب الذين لا يزالون يستخدمون الخيام يشكلون حدًا فاصلاً بين العرب المزارعين الذين سبق ذكرهم وبين العرب المقاتلين أو الرعاة فهم يتميزون عن الأولين بأنهم لا يشكلوا جزء من سكان القرى ولا يزرعون مطلقًا بأيديهم ويتميزون عن الآخرين البدوبأنهم لا يغيرون من أماكن أقامتهم أو على الأقل المنطقة التي يقيمون فيها وهناك شيخ معين من بينهم يمتلك أراضي ثلاث أو أربع قرى بحكم كونه ملتزمًا وهو الأغنى في كل الولاية لذلك

---

(1) فروع من قبائل السعادي والمرابطين التي قدمت أثر نزاعات حربيه أو بحثا عن مراع أو حياة أفضل .

(2) الجهمة قبائل غرب شاهدهم الرحالة العياشي ١٦٦١ م يجوبون نواحي برقه وقد كانت من القبائل المتمردة هزمهم سيد روحه الجبالي ونزحوا إلى الشرق وقطنوا مصر .

فهؤلاء العرب مرهوبون من جانب الفلاحين. ويحرص هؤلاء على إرضائهم إذ يرون على أبواب قراهم ما يصل إلى ستمائة فارس مستعدين لإنزال العقاب عند ظهور أدني مقاومة بل يمكن القول بأن الفلاحين يحترمونهم كسادة لهم ، ويستقبل أقل واحد بين هؤلاء العربان شأنًا سواء كان مسافر على ظهر جمله أو سائرًا على قدميه باحتفال في الريف فيهرع إليه الناس بالماء إن كان عطشانًا والبلح والخبز أو على الأقل فإن أي فلاح هناك يستجيب لتقديم هذه الأشياء عند أول طلب .

ويسير العرب على الدوام مسلحين ببندقية ذات حمالة ، وعندما يركبون الخيول فإنهم يتسلحون بالإضافة إلى ذلك بحربة ورمح قصير في اليد .

إنك لا تستطيع أن تحصر عدد الجرائم والمظالم والأعمال الجائرة التي يرتكبها هؤلاء الفرسان ، ففي أسواق القرى على سبيل المثال حيث يتجمع الناس في شكل جمهور ليبيعوا البلح والماشية والذرة والدخان .... الخ يكون كل الغنم في جانب العرب إذ يفرضون بسهولة سطوتهم على الحشد فليس هناك من فلاح واحد يكون بمقدوره أن يجادلهم في ثمن أي شئ يعرضونه وألّا يعطيهم سلعة بالثمن الذي يحددونه هم ، وتبدوالحربة التي يغرسها العربي في صلف وفي عرض السوق وكأنها تقول (إنني هنا صانعة القانون) .

وتستطيع أن تميز هؤلاء عن بعد في تجمعاتهم الكثيفة ومن ملابسهم البيضاء وصوتهم الحاد ، وهم يستولون . بمعني كلمة يستولون على السوق وينتهي بهم الأمر أن يبيعوا ويشتروا لصالحهم كل ما يريدون. وفي واقع الأمر فأنهم يعملون في خدمتهم سُلاحا ليس بأقل أثرًا من رماحهم وحرابهم ذلك هودهاؤهم الشديد والذي لا يمكن مقارنته إلا بجسارتهم .

أما عن ملابسهم التي يرتديها العربان وهم في السوق فعلى الرأس طربوش أحمر بلا عمامة في مُعظم الأحيان وعلى الجسم برنس أو معطف أبيض من صوف تتفاوت درجة نعومته يغطون به عادة أعلى الوجه وتحت الذقن وهويغطيهم من الرأس حتى القدمين ويلبسون تحت هذا المعطف قميصًا من الصوف وحزامًا، ويرتدي

الميسورون منهم صدريًا فوق القميص،وفي القدمين ينتعلون خُفاً أحمر اللون.

ويراهم المرء في هذه الأسواق حاملين مسدساتهم وسيوفهم ومطارقهم وحرابهم وبنادقهم ذات السونكى ويعرضون بضائعهم وهم مسلحون على هذا النحو، كما أنهم متعودون على حمل قرابهم خلف ظهورهم لا يخلعونها مطلقاً حتى عندما يُلقى القبض عليهم .

ولشيوخ القبائل والأثرياء الفرسان مهاميز جميلة مذهبة وأسرجه فخمة لا تختلف عما لدى المماليك إلا أن ظهر السرج مقوس وأكثر انخفاضًا مما يجعله بالنسبة لهم بمثابة كرسي مريح .

فهل مع أناس يحتشدون على هذا النحوويتسلحون إلى هذا الحد يستطيع الفلاح الأعزل أن ينازع في شئ ؟! انتهى ...

وأقول: وعلى حد تعبير المؤرخ الفرنسي الذي يصف لنا من خلال رؤيته الفرنسية وأيدلوجيا الاستعمار هؤلاء العرب بالظلم والاستبداد نسي أنه لم يقطع آلاف الفراسخ عبر البحر قادمًا من أوربا لا لشيء إلا لنهب ثروات تلك القرى البائسة على حد قوله ونشر الفساد وتبديد كل ما هوصالح ونافع وادخار ذلك لأنفسهم وتأليب تلك الجموع المقاومة لهم وإضعافهم وهزيمة تلك القبائل العربية والتي يرون أنها تشاركهم في جبي خراج تلك الأراضي الخصبة من أرض مصر.

أن حديث الفرنسيين عن تلك القبائل العربية ووصفهم بذلك أنها ما كان إلا لميديا غربيه تحاول أن تبثها في عقول ونفوس من رضوا بالعيش البخس في ظل الاستعمار مستضعفين لا يبدون أية مقاومة حتى تألبهم وتقويهم على ذلك الجانب القوى الذي يرى أنه ليس للغرب أية حقوق تمنحه إصدار قانون لاستعباد تلك الأقوام من العرب والفلاحين .

حيث يبدوا لنا من خلال ما كتبه مؤرخوهم بأنهم جعلوا لكل من قاومهم ومنعهم ضريبة أو خراج فرضوه عليهم بأنهم طغاة ومستبدون وبأنهم سادة

ومتعالون وأسموهم (قُطّاع الطرق النبلاء) حيث يقول المؤرخ الفرنسي : أن المرء ليتملكه غضب شديد وهويرى قطاع الطرق النبلاء يجوسون بوقاحة خلال الديار التي خربوها أو يعسكرون من حول القرى التي أفرغوها من السكان وعندما يراهم المرء يجتازون الوادي من كل اتجاه راكبين خيولهم فأنه سيوقن بأنهم سادة البلاد .

كما يشير إلى الجزء الضعيف قاصدًا الفلاح أو المزارع البسيط الذي رضي بما لا يسد حتى رمقه من العيش ورقة الحال ذلك الجانب الذي كتب على نفسه البؤس والشقاء محاولاً استحواذه وكسبة للعمل في صفه وفي تأليبه على تلك القبائل القوية التي تأبي الخنوع تحت وطأة ذلك المستعمر والتي تعرف أهدافه جيدًا والتي ترى أن نجح المستعمر في ذلك سيفرض نفسه على كل ضعيف ويقوم بحيازة كل شئ له وله فقط وهذه هي سنة وشريعة المستعمرين في كل زمان .

وفي ذلك يذكر مؤرخنا الفرنسي قائلاً : تلك هي المساوئ والمظالم التي يرتكبها العرب الملاك كل يوم وهؤلاء الرجال بالغوا الثراء لهم نفوذ كبير في البلاد وأن كانوا يستمدون مكانتهم من تلك الفزع الذي يحدثونه في النفوس .

ليكن العربي محقاً أو مخطئًا ليكن معتديًا أو عكس ذلك فشيخ القبيلة في كل الأحوال يدافع عن شجاره على الدوام بنفس الحرارة التي يدافع بها الناس عن أعدل القضايا ويكرس كل الوسائل للانتقام أو للانتصار له .

وثمة ضربًا من العنف من جانب هؤلاء لا يستطيع الفلاحون أن يضعوا له حدًا وذلك هوما ترتكبه القبيلة عندما تستأجر أراضي بينهم .

ويستمر في الحديث مسترسلاً لبعضِ الوقائع الأخرى والتي تذكر سطوة العرب على الفلاحين حتى ينتهي قائلاً : إلا يعطينا ذلك أبلغ دليل على بؤس الفلاحين وعبوديتهم ؟.

أنهم يئنون في متاعبهم ويتصبب منهم العرق لكي يطعموا هؤلاء السادة المتعالين وينقصهم الملبس والخبز ليتوافر كل شيء عند العرب ونادرا ما

يسمح أولئك المساكين لأنفسهم بأن يهمسوا بالشكوى وإذا ما حدث ذلك فأنه يتم بصوت خفيض خفيض.

ويختتم قائلاً : وتلك هي اللوحة الحزينة التي يقدمها لنا هذا الجزء من مصر العُليا.

وفي ناحية أخرى يقول :

ويمكن للمرء أن يسأل : ماذا تفعل كل هذه القبائل العديدة ؟ وللإجابة على ذلك ينبغي أن نضع في الاعتبار أن الجزء الأكبر من كل قبيلة يشكل مخيماً كبيرًا يقطن فيه الشيخ ولكن في الوقت نفسه تنتشر كثير من العائلات بشكل منعزل في مناطق مختلفة وتشكل مخيمات تتكون من خمس إلى ست خيمات وهناك ترعى هذه العائلات جمالها ودوابها وأكثر من نصف هذه العائلات لم يركبوا الخيل أي ليسوا فرسانًا فيقضون وقتهم في القيام بجولات في السهل.

ويرى العربان في مخيماتهم كثيرًا من الخيول والجمال وهذا ما لا يفعله الفلاحون مطلقاً وسيظل هذا الأمر دافعًا على الدوام لعدم دفع العرب إلى خارج البلاد إذ ليس ثمة سواهم الآن من يستطيعون أن يمدوا البلاد بالخيول والجمال ولابد أن عدد هذه الدواب سيكون بالغ الضآلة الآن في البلاد لوأن كل الحيوانات التي أستخدمها الجيش الفرنسي قد أخذت كلها من الريف.

ومعروف ذلك التقدير الذي يكنّه الفرسان العرب لخيولهم خاصة الإناث منها وقد سألت البدوعن السبب لكنهم لم يخبروني وعادة ما يظن المرء أن الأمر يعود إلى أن الفرسان يتجنبون صهيل الجياد والتي تعلن عن وجودهم وبذلك لا يمكنهم أخذ فريستهم على غِرّة. ولكن الحقيقة في الأمر أن الفرس تتحمل التعب والعطش كما أن احتياجَاتها قليلة بالإضافة إلى أنها أقل طيشا وأكثر ملائمة لرجال يظلون في غالب الأحيان راكبين خيولهم عدة أيام دون ان يكادوا ينزلون عنها.

والقبيلة العربية التي لا تمتلك أو تستأجر إلا بعض الأراضي فهي تمارس

مع ذلك نفوذاً ونوعًا من السيطرة في دائرة هي أكبر بكثير من هذه الأراضي نفسها وهذه الدائرة محددة ومميزة عن دوائر القبائل الأخرى المجاورة فالقبيلة لا تخرج مطلقًا في معظم الأحيان عن حدودها لكي تجور على دوائر القبائل الأخرى. إنه نوع من الاتفاق الضمني وضعت قواعده نتيجة للمشاحنات والمعارك والحروب التي دارت بسبب هذا الموضوع

ودوائر النفوذ هذه متلاصقة وتشتمل في مجموعها على أراضي هذه الدوله، وليس ثمة ما هوأكثر غرابة من رؤية هؤلاء السادة المزعومين لمصر وهم يمسحون أراضيها على هذا النحوويحددون الحدود التي تضمن حقوق كل فريق منهم وهم لا ينظرون إلى الأراضي التي تقع داخل كل دائرة إلا على أنها أرضهم وبلدهم ويعني هذا بالنسبة لحماة دائرة ما أن ليس من حق أحد من العرب الآخرين أن يرتكبوا أحداث عنف داخل دائرة تقع في حمايتهم وقد بلغ الأمر إلى حد أنني لم استطع مطلقًا أن أصطحب معي إلى ما وراء دائرة عرب وافي الفرسان العرب الذين كانوا معي كحراس ولا أن اصحب إلى ما وراء (ملوي) الفرسان الذين أرسلهم الشيخ علي أبو كريم (الفوايد) ونفس الأمر بالنسبة لعرب محارب ولسبب من وراء ذلك أن العرب إلى جانبه أنه لا يسمح بالمرور في أراض قبيلة أخرى أنهم لا يحبون أن يسيروا على ضفاف النيل وعددهم قليل لذلك فهوبالغ الحذر لا يريد أن يعلن عن وجوده .

ويبدوالرجال في خيامهم أو على الأقل راكبوالخيل منهم وكأن ليس لديهم ما يشغلهم فتراهم وطربوشهم فوق أذنهم يتجولون من خيمة إلى آخرى يتطوحون في مشيتهم وأيديهم خلف ظهورهم يرتسم المرح على وجوههم وهم في عمومهم ذوومظهر طيب ويبدوالبيض منهم بتقاطيع وجوههم وسمنتهم ومشيتهم المتعاظمة وملابسهم الفضفاضة والممتلئة يبدون بمظهر الأثرياء العاطلين أكثر ما يبدون بمظهر الفرسان المحاربين وهذا المظهر من الرضا والسعادة هوأكثر ما أدهشني عند العرب .

ويراهم الفرنسيون أنهم يهملون في طقوس دينهم ويقصرون في ذلك كما

يجدون مخيماتهم شبيهة بالقرى الكبرى وسكان تلك المخيمات أكثر بلا جدال من سكان بقية القرى في مصر ناهيك عن الذهب والفضة الذين تكتنزهما هذه البيوت والخيام المتنقلة .

ويجد المرء منهم كل ما هو ضروري للحياة ويحصلون العربان من بيع المواشي والخيول على دخول أكبر بكثير تجعلهم يقبلون على شراء الأسلحة والسروج والملابس خلاف تلك الأموال التي يكدسها العرب بين أيديهم بهذه الطريقة والتي تمكنها من أن تُسهم في تثبيت سيطرتهم على مصر بأكثر مما يمكن أن تفعل أعدادهم وفروسيتهم .

ويقول الفرنسي على حد تعبيره في نهاية حديثة ألستَ ترى أن هذا النفوذ لابد بحكم طبائع الأشياء أن يتضاعف أكثر فأكثر لحد يضع مصر ذات يوم في قبضة العرب ؟ .

ويذكر الباحث الفرنسي أن أغلب هؤلاء العرب الذين تناولتهم الدراسه يظهرون نحو الفلاحين عجرفة متزايدة يبدو وكأنهم رضعوها مع لبن أمهاتهم وحيث أن هؤلاء لايتصاهرون إلا فيما بينهم فأنهم يزعمون أنهم بذلك قد احتفظوا بدمهم نبيلاً نقيًا خُلق خصيصًا لحكم مصر وليس ثمة من بينهم في مخيماتهم حتى الأطفال أنفسهم الذين التقيتُ بهم من لا يشارك في هذه العجرفه.

ويضيف قائلاً : ولابد أن نتخيل أن من خاصية هذه العجرفة أن تمنحهم شعور بالقوة والسمو وتجعلهم يقدمون بنجاح على أمور بالغة الجرأة والجساره، فإدعاءات كهذه لن تكون وبالاً على أناس بهذه الدرجة من القوة سواء بفعل عددهم أو بتأثير تقاليدهم وأسلحتهم .

ويقول دخلتُ ذات يوم في أحد مخيمات عرب أبي كريم (الفوايد) وجاء عديد من العرب ليجلسوا إلى جواري وتحدثوا بإلفه مع حراسي لكن سرعان ما أصطحبهم واحد من رؤساء القبيلة موجهًا إليهم التعنيف الحاد وتوجهتُ نحو أطفال جذبتني ملابسهم وكان بين هؤلاء ابن الشيخ كان يرتدي ثوبًا

أبيض بالغ النعومة وطربوش أحمر جميل وخُفين وما أن اقتربتُ منه حتى قال على الفور وبلهجة تزدري سامعه (أنا بدوي) .

ويمكن التعرف على قرى الفلاحين التي تسيطر عليها هذه القبائل في أن سكان هذه القرى يبدون أقل خضوعًا للسلطة ولقوانين البلاد كما لو أن حماية العرب تكفي لحمايتهم من العقاب الذي يستوجبه التمرد ولقد كانت هذه القرى آخر من يسدد الضرائب وأول من يعلن العصيان، وهناك تستقبل قوات الحكومة استقبالاً مُسيئًا وفي الوقت الذي يُفرّط هؤلاء البؤساء في ثرواتهم للقبائل العربية بدرجة كبيرة من عدم التبصر فأنهم يتجاسرون على رفض تقديم ما هوضروري للفرق التي تمر ببلادهم ذلك لأنهم يأملون في الإفلات من سطوة سادة بعيدين عنهم (يقصد الفرنسيين) في حين يرضخون لطغاة (يقصد العرب) .

وفي إقليم المنيا تخضع قرى كبيرة مثل ديروط الشريف ودلجا ودشلوط لنفوذ العربان الذين يأتون ويضربون خيامهم على الأبواب وحين لا يجرؤ شيوخ هذه القرى على مقاومة الأوامر التي يتلقونها من القاهرة مقاومة صريحة فأنهم على الأقل يبدون شيئًا من العجرفة وسوء النية والعدوانية يحثهم عليها العرب أما عن القرى التي تحاول بالرغم من ضعف قوتها أن تدافع على استقلالها فإن العرب يقومون بغزوها بشكل مفاجئ ويستبدون بهم ويسيطرون عليهم ويتصرفون في ذلك بمهارة حتى ينتهي الأمر بهم أن يحصلوا على محبة الآخرين.

أما تلك القرى التي تخضع كأمر حتمي للعرب بسبب ضعفها وموقعها القريب من الصحراء فإنها تقدم لهم صداقتها كأمر طبيعي ولكل شئ حساب ومن جهة أخرى فإن العائلات العربية قليلة العدد والتي تمتلك قرى صغيرة شديدة القرب من بعضها البعض تظل على الدوام في حالة نزاع على الحدود وعلى إقامة أو قطع السدود على مسيرة واتجاه المياه. وحيث لا توجد محاكم تحسم قضايا من هذا النوع فإن سكان هذه القرى يحسمون هذه الأمور بأيديهم

فهم يقتتلون ويلاحقون بعضهم البعض بلا هوادة وبشراسة لا تصدق وحتى تفني في معظم الأحيان واحدة من العائلات المتشاحنة عن بكرة أبيها وعندئذ يستولي الطرف المنتصر دون مبالاة بأبسط الشكليات ودون رسميات أخرى على أرض المهزومين ويثبت فيه عائلته أو من يلوذون به وفي نفس الوقت فإن الحكومة لا تقوم بأي معارضة لأى من هذه الحروب الأهلية الصغيرة بل إنها تغبط نفسها على الدوام فالضريبة ستؤدي برغم كل شئ. مع أنها أي الحكومة في كثير من الأحيان لا تحصل منها أي شئ ويكون السبب أن قادمين جدد قد هاجموا أولئك الذين سبق لهم أن انتصروا .

الطبقة الثانية وتشمل :

(العرب المحاربون أو العربان الرعاة أو الرحل) قبائل أولاد علي :

إن هذه الطبقة من العرب تشمل أولئك الذين يضربون خيامهم في أعماق الصحراء أو على مشارف مصر ، والذين هم في حرب مع الحكومة في بعض الأحيان وفي حالة من السلم في أحيان أخرى .

لا تستقر هذه الطبقة في أرض ولا تدفع ضريبة على الإطلاق وهي الطبقة الأكثر عدد والأكبر قوة سواء فيما تملك من خيول وأسلحه أو فيما لديها من جمال وماشية وهي التي تمد القوافل بالجمال التي تحتاج إليها لأغراض التجارة.

ونظرًا لعدم استقرار تلك القبائل المستمر كان من المتعذر على مؤرخي الحملة الفرنسية أن يعرفوا أسمائها ويذكر الباحث الفرنسي أنه عندما كان يتجول في مصر الوسطي كانت (قبائل أولاد علي) هي أكثر هذه القبائل قوة وكان مخيماتها تقع في أدموا بالقرب من المنيا ويذكر أنها كانت تضم ألف حصان.

أما قبيلة الفوايد فكان يبلغ عدد أفرادها آلاف من بينهم 300 فارس بالإضافة كان ثمة قبائل أخرى في أبي الهدر والبدرمان وديروط وبالعرب من سمالوط في إقليم بني سويف وفي ضواحي الفيوم .

ويُغير هؤلاء البدو من منطقة إقامتهم إذ ما بدت لهم منطقة أخرى أكثر وفرة في مراعيها أو مياهها أو أكثر مواتاة لمشروعاتهم ولإغراضهم في الغزو وأعمال العنف فهؤلاء في الواقع لا يقومون بممارسة هذه الأعمال بالقرب من مخيماتهم وإنما في أماكن تكون بعيده عن مقر أقامتهم .

وهم غالبًا يعسكرون على حافة مصر وهناك توجد كثير من الأراضي التي كانت تزرع في الماضي ونستدل على ذلك من تلك الآبار التي يحفرها العرب هناك وقد ردمتها الرمال وكثير ما تصل مياه الفضيان لتغمر هذه الأراضي لتتوفر الزراعات والنباتات حتى أن العرب يرعون ماشيتهم وخيولهم وجمالهم على نحو واسع والعام الذي يتوافر فيه ذلك هو عام مبارك بالنسبة للقبائل العربية والتي تأتي لتغطي بخيامها كل حواف الصحراء.

ويذكر الباحث الفرنسي أنه قد شاهدهم في عام 1801م حيث جذبهم ذلك الفيضان الكبير إلى المنطقة وهم يعرفون الآبار وكافة البحيرات والبرك التي يكون بها الفيضان فيلجأ ون إليها عندما يتوغلون داخل الرمال وإذا ما تتبعت أثارهم فستقودك بلا شك إلى أماكن بها مياه صالحة فلا يتخيلن أحد أنه يسبب أذى للعربان إذا ما شن عليهم الحرب فلسوف يعرفون مقدمًا أن هناك صفاً من الجنود المشاة يجدّون في أثرهم ، وعندئذ يحملون حبوبهم وخيامهم وأمتعتهم ويبعثون بها إلى الأمام ثم يتجمعون كلهم فوق خيولهم ليتبعوا أشيائهم وبذلك يصبحون بعيدًا عن متناولك قبل أن تُدرك أنت ما صاروا هم إليه ، وإذا ما لحقت بهم فسيدافعون عن أنفسهم بسهولة ضد أناس منهكين قليلي العدد .

ويقول الباحث: لقد شاهدتُ كثيرًا من القبائل تتصرف على هذا النحو في مصر العليا والسفلى ولم يستطع لا الفرسان ولا المشاة (يقصد الجنود الفرنسية) أن يسببوا لهم أدنى أذى وليس في مقدور عددهم أن يحطم لهم أي شئ اللّهم إلا هدم بعض الأكواخ وإشعال النار في بعض أكوام القش .

وللعرب فريسة لا تُقدر بثمن هي أن لهم داخل القرى نفسها مستودعات مضمونة للحبوب وللمؤن الأخرى التي قد تسبب لهم الارتباك عند هروبهم،

وهم يحصلون بلا مشقة على هذه الخدمة الجليلة من جانب شيوخ القرى وليست لدى أحد وسيلة للتعرف على هذه المستودعات .

ويذكر أنه عندما طردت (قبيلة أولاد علي) من ضواحي الإسكندرية في صيف عام 1800م وانسحبت إلى صعيد مصر دون أن يخامر أحد الشك في حدوث ذلك حيث كنا نظنها مقيمة في ليبيا ، وقد قدم أكثر من ألف فارس ليقيموا في أدمومع عدد هائل من الجمال ، وأردنا يومًا أن نفاجئ فريقاً معاديًا كبير في مدينة سمالوط لكن النبأ قد بلغهم فأنقذوا كل شئ على وجه التقريب دون أن يخسروا رجلاً واحداً .

وفي ظل ذلك يستطرد الباحث الفرنسي سائلاً : هل يستحيل إذًا اللحاق بقبيلة معادية ؟ .

لوحدث أن كان لدينا العديد من فرق الجنود موزعه بطريقة جيدة ومسلحة تسليحًا جيدًا ويحملون معهم ما يكفيهم من مؤن وماء لخمسة أو ستة أيام في الصحراء ولو أمكننا زيادة على ذلك الاعتماد على جواسيس مخلصين فليس هناك من شك في أننا سنلحق بهم الهزيمة أو على الأقل سنفرق جموعهم ونحرمهم نسائهم وأطفالهم وذلك على يد خمسمائة فارس ممن تتوافر لديهم القيادة الجيدة والمعلومات الموثوق بها .

كما يُثير قولاً آخر سائلاً : هل يمكن عقد سلم مع قبيلة جوالة ؟ أم انه ينبغي علينا أن نعامل كل القبائل من هذا النوع على أنها معادية دون أن نستثني من ذلك العرب المزارعين الذين يقيمون داخل مصر من الدلتا ؟ .

ويجيب على ذلك قائلاً : إذا ما وضعنا في اعتبارنا أننا لن نحصل على أي نفع من وجود العرب بل وجدنا أنهم قادرون على الإضرار بنا في كل لحظه بدعم حركات التمرد والإسهام فيها وبتقوية صفوف جانب مناوئ لنا قد يظهر في الأفق فسوف يكون لزامًا علينا ألا نترك قبيلة واحدة في حالة سلم ما لم يمنعنا من ذلك خوفنا من أن تنقصنا الجمال والخيول في أسواق مصر [1].

(1) يقصد أن هذه القبائل كانت متحكمة في هذه الأسواق .

وأقول أنّه :

على القارئ أن يتنبه لما سبق ولما هوآت ويعي مدى انزعاج هؤلاء الفرنسيين من هذه القبائل وما سيتبين لهم من قلق واضطراب عندما ضربت مصالحهم في الشرق بمنعهم الحصول على خراج مصر منفردين وعدم قدرتهم على التجمع وفرض السيطرة على هذه القبائل المنتشرة في ربوع المحروسة دلتا وصحراء مما أرهق جنودهم وحد من حركتهم وكان سببًا من الأسباب التي أفشلت أهداف الحملة الفرنسية على مصر ذلك الوقت .

وفي ذلك يقول الباحث الفرنسي جاعلاً نفسه صاحبًا لمصر ومن هؤلاء العرب أغرابًا عليها أعداء لها يقول:فإن ثمة أسباب هامة تدعونا بأن لا نسمح لأية واحدة من هذه القبائل التي تأتي كل عام إلى مصر بأن تثبت أقدامها فوق أرض البلاد فإن أغرابًا يعسكرون على أبواب بلد لا يمكنهم في الواقع إلا أن يكونوا أعداءً مزعجين ، فأية كارثة يكوّنها أمثال هؤلاء القوم في وادي بمثل ضيق مصر ؟! .

ثم يضيف منزعجا : وهل هي سياسة سليمة على الإطلاق أن تُقاسي داخل البلاد من فرق مُعادية على هذا النحووأن تظل البلاد راضخة لتجار الخيول هؤلاء ؟.

ولننظر إلى هذا السؤال الذي يطرحه الفرنسي وكأن البلاد بلادهم قائلاً :

هل من الحكمة أن ندعهم ينتزعون الجزء الأكبر من أموال البلاد ؟ وبماذا تنبأ كل هذه الهجرات القادمة من شمال إفريقيا للإثراء على حساب مصر (يعني على حساب مصالح الفرنسيين) .

وإذا ما حسبنا حساب كل شئ لوجدنا من الواجب ألّا نتفاوض نحن الفرنسيون وحلفاؤنا مع هذه القبائل الجديدة حيث أنه لا توجد معاهدة على الإطلاق لا تحتوى على منافع متبادله .

أما عن العرب (الملتزمين) يذكر الباحث الفرنسي أنه يمكن السيطرة عليهم في حالة أن تعتبر الحكومة ممتلكاتهم تعود إلى أحداث غزوذات عهد

قريب وأن المُلاّك الحقيقيين يستطيعون المطالبة باستعادتها فعندها سيقومون للدفاع عنها وبلا جدال سيتم طردهم أو على الأقل أن نعمل على تقليص مكانتهم والحد منها ليصبحوا مجرد مزارعين بسطاء وأن نجعلهم يعدلون عن حمل السلاح وركوب الخيل وأن ينفضّوا من حول رؤسائهم وأن يتخلوا عن نظام القبيلة الذي يحكمهم وأخيرا أن ندمجهم بالشعب.

ومع ذلك فإن الأمر على هذا النحو ليس ببساطة ، فكثير من القرى إنما هي ملك خالص لهؤلاء العرب ، بل يوجد منهم العرب الملاك والمستقلون كانوا على الدوام حُكّامًا خُلّصًا في مقاطعاتهم حتى في زمن المماليك ، بل وأن الكثير منهم هناك قد نالوا تقدير الناس لما لهم على الزراعة من فضل ما بذلوه في سبيلها .

إذن فليس بالإمكان سوى أن نلغي الابتزازات القديمة والحديثة وأن ندع للعرب الأراضي التي في حوزتهم بحق الملكية القديمة ، ومع ذلك فإن الأمر يقتضي منا في كل الحالات أن نمنع وأن نستبعد بكل شدة عادات وطباع الخيام.

فما أن يتفرق هؤلاء الفرسان في القرى حتى ينبغي أن يهبوا أنفسهم للزراعة ويمتنعوا عن أعمال الغزووالعنف ويختلطوا بالفلاحين ويُرفع ذلك التمايز المحزن بين العرب والفلاحين فإن حدث هذا فإننا لا نمنع هؤلاء من أن يقيموا خيامهم وإن أبوا فلن يكون من الظلم أن نبعدهم كلية عن البلاد وذلك أن بلدًا متحضرًا من اليسير على راكبي الخيل أن يخربوه فلا ينبغي أن نتسامح مطلقاً مع هؤلاء العاطلين الذين ليس لهم من مقر ثابت والذين لا يتحملون مسئولية أفعالهم ويضعون أنفسهم فوق القانون .

ومهما يكن من أمر فإن المرء لا يستطيع أن ينظر إلى التزايد المطرد في أعداد هؤلاء الفرسان الطموحين ، والذين لا يخضعون لشيء ، والذين يهددون بغزوغير منظور لكل الأراضي بل والسيطرة على البلاد ولربما يصبحوا ذات يوم فإذا بالوقت قد فات ، فلا نستطيع أن نقاوم مائة قبيلة تضم كل منها خمسمائة فارس ... ألن يكون جيشا كهذا ، وإذا ما حدث أن تجمع قويًا لحد يُمكّنه من السيطرة على مصر ؟ .

لنضف إلى هذه القوة العسكرية قوة المال والذي يتكدس دونما انقطاع في أيديهم بنفس القدر الذي قلناه عن العرب المزارعين آنفاً وفي الواقع فإن حصيلة بيع ماشيتهم والأجور التي يحصلونها من القوافل ومنتجات خيولهم وجمالهم وعائد تجارتهم وكل ذلك يؤدي لذهاب كميات كبيرة من النقود إلى خيامهم.

ويرى الفرنسي أيضًا أن للعرب حب ونهم للمال والفضة ويذكر أنه أولى غرائزهم حيث يقول فمجرد رؤية قطعة من الذهب تجعلٍ أساريرهم تنفرج وتجعل الابتسامة ترتسم على شفاههم وهم لا يقدرون رجلاً إلا لما يمتلك من المال أو إلا بقدر ما يأملون في الحصول عليه منه ، وإذا ما نقص مالَ هذا الرجل فسوف يجد فيهم أناسًا لا يمكن الوصول إليهم أو الحصول على شفقتهم .

ويروي لنا مشهد في ذلك حيث قال : ولكم شاهدتُ أبناء الإسكندرية البؤساء الذين عانوا من مجاعة مفزعه وهم يستجدون هؤلاء العرب شبه جاثين على ركبهم والنقد في أيديهم أن يبيعوهم بعض مكاييل من القمح لإطعام أسرهم التي ظلت على الطوى مدة يومين لكن العربان كانوا يرفضون البيع بالمدين .

ويعلق على ذلك قائلاً : فقلب البدوي قطعة من صخر لا يمكن أن تلين إلا على رنين الذهب .

ويحتفظ العرب الرحل على الدوام في السلم والحرب مع حكام البلاد بعلاقات متينة مع بعض شيوخ القرى تؤمن لهم المواد والمعونات الخفية بمعني أن هؤلاء الشيوخ يكونون على استعداد لإخفاء أمتعة هؤلاء البدووحبوبهم وأشيائهم مجبورًا على ذلك ولربما أخفي عنده ما تم أخذه منه هوشخصيًا البارحة ومع ذلك قدر على هؤلاء الفلاحين أن يُقبّلوا يد غازيهم فلقد سمعتُ الفلاحين يصفون بالطيبة والشرف هذا الفريق من العرب الذين لا يقتلون ويكتفون بسلبهم .

كما يرى مؤرخوا الحملة الفرنسية أن ما يقوم به هؤلاء الشيوخ من أهل

القرى من إخفاء أمتعة البدووالتستر عليهم وعدم البوح بأماكنٍ تواجدهم مهما كلفه ذلك أنه حمق وعمى بصيرة وإنما ما فعلوا ذلك إلا خوفاً ورهبة من العربان حتى لا ينزلون بهم العقاب .

ويقول: وقد رأيتُ من هؤلاء الشيوخ الذين أصيبوا بعمى البصيرة لحد يجعل منهم شهداء ثمنًا لكلمة صدرت منه ويحتفظون بثروة العربان على حساب ثرواتهم الخاصة وحريتهم بل قد رأيت منهم من يتحمل عقابًا مشينًا وعذاب الضرب بالعصا قبل أن يرغموا على الاعتراف على المخازن التي أوكلت إليهم.

وهولا يرى أن في هذا بطولة بل يصفهم بالضعف والهوان ويعيب على هؤلاء الشيوخ من الفلاحين وأهل القرى أنهم انساقوا إلى العمل ضد الحكومة وحماية أعدائها . كما أنه يقف حزينًا لمشاهدة هؤلاء الشيوخ والقضاة وحكام القرى يهانون ويضربون أمام أعين من يحكمونهم أملاً أن تكون هذه القسوة من قبل الحكومة أن تطهرهم وتخلصهم من عيوبهم ومخاوفهم وأن تقودهم خُطاهم نحومصالحهم الحقيقية ولن تكون هذه المصالح مطلقًا في معاونة البدوالذين هم الأعداء في نظر الفرنسيين وإنما ستكون في الارتباط بالحكومة التي تظل على الدوام هي الدعم الحقيقي لهؤلاء الشيوخ ضد هؤلاء البدو، ويرى الباحث أن الضرائب التي سيدفعونها تعطيهم الحق في هذه الحماية .

ثم يسترسل ذاكرًا مدى خضوع هؤلاء الشيوخ من أهل القرى وقلة حيلتهم تجاه الفرنسية أو تلك القبائل وصعوبة أرضاء الأطراف كلية حيث يقول :

وهكذا تمضي الأمور فشيخ البلد يقوم مرة باستقبال طيب للفرق العسكرية التي تمر بقريته لمطاردة العربان ، ومرة أخرى لهؤلاء العربان أنفسهم الذين يعاودون المرور بقريته بعد ذلك وسوف تكون سعادة هذا البائس مفرطة لوأنه لم يلق المهانة على يد أحد الفريقين عقابًا له على استقباله الفريق الآخر وتقديم عونه للفريقين .

ويذكر أنه ذات مره قد وجد في اشمنت حوالي عشرين من العربان وعندما شاهدوا مجي جنودنا خرجوا من القرية وامتطوا خيولهم وكان الطرفان قريبين لحد لا يمكن معه أن يستعد أيهم للمعركة ، فتلاصق العربان فيما بينهم وأطلقوا بنادقهم من خلف ظهورهم ثم وضعوها مستقيمة فوق الركبة علامة على الحرب ، ثم مضوا في تحدي وفي شكل استعراضي ثم رحلوا عن المكان وحيث كان عدد الفرقة الفرنسية قليل لم يجدّوا في أثرهم وتركوهم للإفلات وعلى الفور هرع إلينا شيوخ القرية واستقبلونا بحفاوة .. وكان هذا الاستقبال الحافل هو نفس الاستقبال الذي قدموه من زمن قصير للعربان ولقد قالوا لنا عنهم الكثير من السوء بنفس القدر الذي قالوه عنّا لهم دون شك .

ويختتم قائلاً:

فإن من الميسور أن نضيف إلى ما سبق أن العرب المستقرين في مصر يتزايدون أكثر فأكثر سواء في أعدادهم أوقوتهم وأنهم سيستولون يومًا على السلطة إذا لم يوضع حد لوقف غزواتهم. وفي الواقع مهما تكن أصول وأقدار هؤلاء العرب سواء يسكنون في الخيام أو الذين يقطنون القرى أو من كان منهم يزرع أو يستزرع الأراضي أو ممن يشتغلون بالقوافل وتجارة الماشية وسواء كانوا ينتمون إلى القبائل العربية القادمة من أسيا أو أولئك الذين قدموا من شمال أفريقيا وأخيرًا سواء تلك التي تعيش في حرب مع حكام البلاد .....

فإننا نري أنه تتوقد فيهم جميعًا نفس الروح وإنهم ينظرون إلى مصر باعتبارها عقارًا خاصة بهم، إن خلاص هذه البلاد يكمن في الانقسام الحالي بين هذه القبائل الأمر الذي يعود بشكل خاص إلى غيبة زعيم يتولى قيادتهم ويكون في ذلك قويًا وقادرًا للحد الكافي وإذا كان هناك حدث هام قد جاء ليشتت اهتمام حكام مصر فقد تكون الإشاره الأولى كافية لإطلاق الشرارة ، وإذا كان يحق لنا أن نوازن بين الترجيحات عندما يتصل الأمر بالمستقبل فلابد أن ينظر المرء إلى هذا التطور كواحد من أكثر التطورات التي تهدد الشرق احتمالاً .

الفصل السادس

السنوات الأولى من حكم محمد علي والصراع على السلطة (1)

كانت السلطة والحكم في مصر متمثلة في خورشيد باشا آخر الولاة المماليك والذي ثار عليه الشعب ونزولاً عند إرادة الشعب في 13 مايو1805م تقلد محمد علي باشا ولاية الحكم .

ولم ترسخ قدمه في الحكم بمجرد مبايعته وصدور فرمان الباب العالي بتوليته فإن السياسة الانجليزية ظلت تسعي بمختلف الوسائل لترد السلطة إلى محمد بك الألفي حليفهم وزعيم المماليك في مصر والذين كانوا يعدّون العُدّة ويحشدون جموعهم ليحاربوا الوالي الجديد .

وتحت هذه الضغوط قامت تركيا بإرسال قبطان باشا الذي خولته السلطة المطلقة في تثبيت أو عزل محمد علي حيث أرسلته في عماره حربية تقل نحوألفين وخمسمائة مقاتل وقد راسله محمد بك الألفي الطامح إلى السلطة وعرض عليه انحيازه بقواته إلى سلحدار خورشيد باشا المعزول والذي كان لا يزال بالجيزة يناوئ محمد علي وأن ينضموا جميعًا إليه ويزحفوا على القاهرة لينتزعوها من محمد علي .

ومن جانب آخر ظلت انجلترا تؤيد مطالب الألفي بك وتسعي في إسناد الحكم إليه زاعمين أن المماليك هم القادرون علي حكم مصر وإعادة الأمن والنظام في ربوعها بل جاهروا بأن الحكومة الانجليزية قد تضطر إلى تجريد جيش على مصر لتأييد ذلك وقد تم الهجوم من قبل المماليك وأحلافهم على القاهرة ولكنهم أخفقوا وعادوا بالخيبة والخسران وانتهز محمد علي الفرصة بهذه الهزيمة واستولى على الجيزة وانتهى ذلك برحيل قبطان باشا وخورشيد باشا عن البلاد .

(1) راجع تاريخ الحركة الوطنية الرافعي

كما لجأ محمد بك الألفي إلى السيد عمر مكرم وطلب وساطته والتشفع له عند محمد علي باشا وطلب الصلح على أن يقطعهم جهة يقيمون بها ويستغلونها فقابل ذلك بالرفض فانسحب الألفي بك إلى الفيوم يجهز للقتال وكان قد حشد تحت لوائه في الفيوم عدة آلاف من العرب ليناجز بهم قوات محمد علي فنازل بهم جيش حسن باشا وهزمهم في الرقة بنواحي الجيزة وتابع زحفه شمالاً إلى البحيرة .

وفي هذه الأثناء نجحت الحكومة الانجليزية في إقناع الباب العالي بعزل محمد علي وتولية من يكون على طراز الولاة الأتراك الأقدمين الذين كانوا يتركون سلطة الحكم للأمراء المماليك فقامت بإصدار فرمان بتعيين موسي باشا في مصر وتقليد محمد علي ولاية سالونيك .

واتفق هذا مع رغبة الألفي الذي أبتهج لذلك ورأى فيه قرب تحقيق آماله فاعتزم الاستيلاء على دمنهور لتكون مركزًا يجمع فيه قواته ويدير خططه فضرب عليها حصارًا ليكره أهلها الذين قاوموه على التسليم .

حصار البحيرة ووفاة الألفي بك واستسلام القبائل :

أما عن محمد علي فقد أعتزم مقاومة قرار الباب العالي بنقلة بالقوة وقد عاونه في ذلك ثقة تأييد زعماء الشعب له وتضامنهم معه في مقاومة عودة المماليك إلى الحكم وأنهم لا يبغون عن محمد علي بديلاً ، واستطاع محمد علي بدهائه أن يستغل الخلافات الواقعة بين زعماء المماليك فنجح في استمالة بعضهم وظل الألفي الخصم العنيد وحلفاءه من العرب والقبائل والذين تمثل جمعهم في نحوستة آلاف مقاتل طامحين في الحصول على السلطة يدعمهم الأتراك .

فأنفد محمد علي إلى الرحمانية جزء من جيشه فعلم الألفي بذلك فرفع الحصار عن دمنهور وأقبل بقواته واشتبك معه في معركة النجيلة جنوب الرحمانية انتهت بهزيمة العلويين وانسحابهم إلى منوف بعد أن خسروا نحوستمائة قتيل وأسير، واستولى المماليك بذلك على الرحمانية [1].

(1) الرافعي تاريخ الحركة الوطنية .

ومن ثم تشجع الألفي بهذا الانتصار وعاود محاصرة دمنهور والتي لم ينل منها منالاً إذ دافع أهلها عنها دفاع الأبطال زهاء شهر منعوه الحصول عليها .

وبتطور الأحداث رجعت تركيا عن فرمانها بعزل محمد علي وورد مرسوم بابقاءه على ولاية مصر .

لم ييأس الألفي في انتزاع حكم مصر والذي رأى في دعم حكومة انجلترا تشجيعًا له ودافعًا على أن يبق في البحيرة منتظرًا قدوم دعم الانجليز الذين عزموا على احتلال مصر وتمكينهم من السلطة .

وطال الانتظار وسئموا جنودهم ومن معهم من العربان الاستمرار على الحرب والقتال وأشتد بهم الحر والتعب ونفدت مؤونتهم وكان ذلك زمن القيظ فتمردوا عليه وأعلنوه بأنهم تاركوه إذا أصرَّ على متابعة الحصار .

وفي ذلك رواية الجبرتي حيث قال : ولما تنحّت عنه عشيرته ولم يلبوا دعوته وأتلفوا الطبخة أستأنف الألفي وراسل الإنجليز يلتمس المساعدة ليقوى بهم على محاربة خصمه فاعتذروا بادئ الأمر بأنهم على صلح مع العثماني وما لبثت أن وقعت النفره بينهم وبين العثماني فأرسلوا إلى الألفي يعدونه بانفاد ستة ألاف جندي لمساعدته فأقام بالبحيرة ينتظرهم وقد طال انتظاره فضاقت على جيوشه الناحية فتشكي العربان المجتمعون عليه وغيرهم لشدة ما هم فيه من الجهد وهويوعدهم بالفرج القريب ويسألهم الصبر ولما اشتد بهم الجهد اجتمعوا إليه وقالوا : إما أن تنتقل معنا ناحية قبلي فإن أرض الله واسعة وإما أن تأذن لنا في الرحيل في طلب القوت فما وسعه إلى الرحيل معهم مكظومًا مقهورًا من معاندة الدهر في بلوغ المآرب .

عاد الألفي بعد خذلانه في حصار دمنهور وقد تولاه اليأس والقنوط وسار كئيبًا حزينًا ومعه القوات العديدة التي كان يحسب أنها تصل به إلى عرش النيل فكان تحت لوائه ستة ألاف من العرب وستمائة من فرسان المماليك وثمانمائة من الترك والنوبيين ومعه من آلات القتال عشرة مدافع وعدد لا يحصى من البنادق والأسلحة وكانت الميره والمؤونة تحملها ألف عده من الإبل.

وعاد من البحيرة بجيوشه ومن بصحبة من العربان حتى وصل إلى الأخصاص فنادي محمد علي باشا على العساكر بالخروج وألّا يتأخر منهم واحد فخرجوا ليلاً ونهارًا حتى وصلوا إلى ساحل بولاق وعدّوا إلى بر إمبابة وجيشوا بظاهرها وقد وصل المترجم (الألفي بك) إلى كفر حكيم يوم الثلاثاء الثامن عشر من القعدة وانتشرت جيوشه بالبر الغربي وركب الباشا محمد علي وأصناف العساكر ووقفوا على ظهر خيولهم واصطفت الرجّالة ببنادقهم وأسلحتهم ومرّ الألفي بك في هيئة عظيمة هائلة وجيوش تسد الفضاء وهم مرتبون طوابير ومعهم طبول وصحبة قبائل العرب من [أولاد علي والهنادي] وعربان الشرق في كبكبة والباشا والعسكر وقوف ينظرون إليهم من بعيد وهويتعجب ويقول هذا طهماز الزمان ولا أيش يكون ؟ ثم يقول للدلاه والخيالة تقدموا وحاربوا وأنا أعطيكم كذا وكذا من المال ويذكر لهم مقادير عظيمة ويرغبهم فلم يتجاسروا على الإقدام وصاروا باهتين ومتعجبين ويتناجون فيما بينهم ويتشاورن في تقدمهم وتأخرهم وقد أصابوه بعينهم ولم يزل سائرًا حتى وصل إلى قرب قناطر شبرا منت فنزل على عُلوه هناك وجلس عليها وزاد به الهاجس والقهر ونظر إلى جهة مصر وقال :

يا مصر أنظري إلى أولادك وهم حولك مشتتين متباعدين مشردين وأستوطنك أجلاف الأتراك واليهود وأراذل الأرنؤد ، وصاروا يقبضون خراجك ويحاربون أولادك ويقاتلون أبطالك ويقاومون فرسانك ويهدمون دورك ويسكنون قصورك ويفسقون بولدانك وحورك ويطمسون بهجتك ونورك ولم يزل الألفي يردد هذا الكلام وأمثاله وقد تحرك به خلط دموي وفي الحال تقيأ دمًا وقال قضي الأمر وخلُصت مصر لمحمد علي ولم يعُد من ينازعه ويغالبه وجرى حكمة على المماليك المصرية فما أظن أن تقوم لهم راية بعد اليوم ثم أحضر أمراءه وأمر عليهم شاهين بك وأوصاهم أن يحرصوا على دوام الألفة وترك التنازع بينهم .

فلما مات وأنقضي نحبه غطوه وكفنوه وصلُّوا عليه وحملوه على بعير وأرسلوه

إلى البهنسا ودفنوه بمقابر الشهداء فسبحان من له سرمدية البقاء [1].

ويضيف الجبرتي قائلاً : وبالجملة فكان آخر من أدركنا من الأمراء المصريين شهامة وصرامة ونظرًا في عواقب الأمور وكان وحيدًا في نفسه فريدًا في أبناء جنسه وبموته اضمحلت دولتهم وتفرقت جماعتهم وانكسرت شوكتهم وزادت نفرتهم ومازالوا في نقص وإدبار وهوان وصغار ولم تقم بعده راية وانقرضوا وطردوا إلى أقصي البلاد وتفرقت قبائل العربان التي كانت مجتمعه حوله وبعضهم أرسل يطلب أمانًا من الباشا وغير ذلك أمّا مماليكه فأنهم تركوا نصيحته ونسوا وصيته وانضموا إلى عدوهم وصادقوه ولم يزل بهم حتى قتلهم وأبادهم عن أخرهم [2] .

استمالة محمد علي باشا للقبائل ودعمهم في تأسيس الإمبراطورية العلوية في مصر:

ذكر عبد الرحمن الرافعي أن عدد العربان أو البدوالمصريين في عصر الحملة الفرنسية كان نحومائة ألف تتألف منه ستون قبيلة وعدد المقاتلة منهم من 18000 إلى 20000 من الفرسان .

ولم يتغير هذا الإحصاء كثيرًا في عصر محمد علي وكانوا إلى أوائل القرن الحادي عشر لم يألفوا حياة الحضر فكان تنقلهم في الصحراء يجعلهم في حرب مستمرة مع الفلاحين القائمين على الزراعة وانصرف كثير منهم إلى الاعتداء على القرى الآمنة بينما كان من القبائل البدوية من لا تزال تتصف بكريم الخصال تكرم الضيف وتأوي الجار وتحمي الديار[3].

فكر محمد علي مليًا في علاج حالة العربان ورأى من الحكمة في أول الأمر أن يُهادن زعمائهم ويسلك حيالهم مسلك المحاسنة فعقد الاتفاقات ونقضت القبائل فأدرك محمد علي أن لا مناص من أخذهم بالقوة فجرّد عليهم كتائب الفرسان فأخذت تناوشهم وتسد عليهم السُبل إلى أن أذعنوا وثابوا وطلبوا

---

(1) تاريخ الجبرتي .

(2) تمت إبادة المماليك والقضاء عليهم في مذبحة القلعة المشهورة 1811م .

(3) الرافعي تاريخ محمد علي صــ 551 ، 552

الصلح فصالحهم على أن يقيم زعمائهم بالقاهرة ليكونوا رهائن عنده يضمن بهم طاعتهم وولاء قبائلهم وأجرى عليهم الأرزاق والرواتب فكان لهذا تأثير كبير في إخلادهم إلى الهدوء والسكينة. ولجأت الحكومة إلى وسيلة حكيمة تصرف بها البدو المنتشرين في أطراف البلاد عن عيشة البداوة وتدخلهم في حظيرة العمران فقطعهم أراضي شاسعة أعفتها من الضرائب ينتفعون بها ويستغلونها وكانت هذه الوسيلة من بواعث تحضير القبائل البدوية ودمجهم في المجتمع.

ولما اجتذب محمد علي رؤساء العشائر من العربان حبب إليهم أن ينتظموا في سلك الجيش الذي أسسه وعرض عليهم أن تدفع الحكومة لمن ينتظم منهم أجورًا على شرط أن يأتي كلا منهم بفرسه وبندقيته فلبّوا الدعوة واستفاد الجيش المصري منهم فوائد جمة واشتركوا في حروب السودان وسوريا والأناضول واتخذ منهم إبراهيم باشا حرسه الخاص.

وعلى حد قول الرافعي: إن إدماج القبائل البدوية في جسم الهيئة الاجتماعية كان من أهم أعمال العمران التي قام بها محمد علي [1].

ذكر أحوال العربان في عصر محمد علي ..

كتب الجبرتي أنه في 1219هـ 1804 م وفي 20 من شهر شعبان حضر إلى الباشا بعض الرواد وأخبروه أن طائفة من (عرب أولاد علي) نزلوا ناحية أهرام الجيزة وهم مارّون يريدون ناحية قبلي. فركب في عسكره إليهم فوجدهم قد ارتحلوا ووجد هناك قبيلة يقال لهم (الجوابيص) نازلين بنجعهم هناك وهم جماعه من المرابطين من خيار العرب لم يعهد منهم ضرر ولا أذية لأحد فقتل منهم جماعة ونهب نجعهم وجمالهم وأغنامهم.

وفي عام 1223هـ 1808 م ذكر أن عربان أولاد علي قد كانوا بعد الحوادث المتقدمة نزلوا بإقليم البحيرة وشاركوا وزرعوا فكانوا ما كانت عليه الهنادي والجهنة [2].

(1) نفس المصدر.

(2) الجهنة ذكر أنهم من قبائل ترهونه.

وعندما أصطلح الألفية المماليك مع محمد علي باشا توسط شاهين بك الألفي في صلح الهنادي والجهنة وذلك لما كان بين الهنادي ومحمد الألفي أستاذه من نسابه.. فنزل صحبتهم إلى البحيرة وغمرهم بأرضها كما كانوا وحاربوا أولاد علي ومكن الهنادي والجهنة من الإقليم ورجع إلى الجيزة، فقام أولاد علي بمراسلة الباشا محمد علي بواسطة بعض أهل الدولة على أن يدفعوا له مائه الف ريال لمساعدتهم في عودتهم للبحيرة وإخراج الهنادي فأجابهم طمعا في المال. فحنق الهنادي وعصوا وحاربوا أولاد علي ونالوا منهم بعد أن كانوا قد ضيقوا عليهم فعاد أولاد علي وامتنعوا عن دفع المال الذي قرروه على أنفسهم واجتمعوا بحوش بن عيسى فأرسل إليهم الباشا عمر بك ومعه طائفة من المماليك فحاربوهم مع الهنادي فظهر عليهم أولاد علي وهزموهم وقتل من الدلاه أكثر من مائه وكذلك من العسكر ونحوالخمسة عشر من المماليك. فأمر محمد علي بسفر عساكر أخرى وكان صحبتهم نعمان بك وسافرت طائفة من العرب إلى ناحية الفيوم فأرسلوا لهم عدة من العسكر .

ولكي يأمن الباشا محمد علي من جهتهم ويعمل على توطينهم فقد أقطع لهم من الأراضي الكثير والابعاديات وعمل على إعفائهم من الضرائب للأراضي الصالحة للزراعة ونصف الضريبة للأراضي الجيدة وفي ذلك ذكر الجبرتي أنه في عام 1226هـ 1811 م أمر الباشا بخروج العساكر إلى البر الغربي بسبب أن عربان أولاد علي نزلوا في الفيوم بجمع عظيم وأكلوا الزروعات، فخرج إليهم حسن أغا الشماشرجي فوزن نفسه معهم فرأى أنه لا يقاومهم لكثرتهم فحضر إلى مصر وأخبر الباشا بذلك وتحرك الباشا للخروج وأرسل إليهم وخادعهم فحضر إليه عظمائهم فأخذ منهم رهائن خلع عليهم وكساهم وأعطاهم راحتهم وعين لهم جهات وشرط عليهم أن لا يتعدوها ثم رجع إلى بر مصر .

ونذكر من هذه المنح والعطايا التي كانت في عهده ، وبعده منحة الشيخ عبد الله بياض من قبائل البراعصة أبعدية (معية عربي دفتر 39 وثيقة 12 في 2 ديسمبر 1849م) .

وفي نفس الوثيقة منح الشيخ الجبالي من قبيلة الحرابي في الفيوم وأبعاديه لعربان الفوايد للشيخ محجوب بن عمار كيشار قدرها خمسمائة فدان بمديرية المنيا وكذلك الشيخ عامر الطحاوي شيخ الهنادي مائه فدان بالتل الكبير وكذلك منح الشيخ علي الباسل من عرب الفوايد خمسمائة فدان في مركز بهنسا بمدرية الفيوم وستمائة وخمسين بمنطقة اشروبة وشوشة بالمنيا وكذلك منح الشيخ خير الله الدجن من مشايخ أولاد علي ستمائة فدان من أبعدية جزائر عيسى وزاوية أبي مسلم بالبحيرة ثم أصدر الباب العالي بعد ذلك أمرا يمنح بمقتضاه مشايخ أولاد علي 3655 فدان أخرى بذات المنطقة وظهر بذلك شيوخ العربان في مصر كأصحاب أراضي وأبعاديات هذا بالإضافة إلى تمتعهم بامتيازات الإعفاء من الخدمة العسكرية ومن أعمال السخرة مقابل ما أبدوه في حروبهم بجانب محمد علي داخل القطر وخارجه وانتقلوا إلى حالة من الاستقرار والهدوء يتضح من بلوغهم الثراء والحياة الكريمة فشيدوا قصورا مثل قصر بياض وقصر لملوم وأصبح لديهم كلمة مسموعة وامتد نفوذهم إلى السلطة حيث كان بعضهم في مجالس الأعيان مثل عائله لملوم والباسل والطحاوي وغيرهم [1].

وزادت ثقة محمد علي باشا بهم واعتماده عليهم في كثير من شئون دولته دون الآخرين ويظهر ذلك بإصداره أوامر من المعية السنية دفتر 16 فيه أمر إلى مدير الأقاليم الوسطي في 8 أغسطس 1834م لمشايخ عربان الفوايد والحرابي والجوازي والبراعصه باختيار 25 فارس من كل قبيلة ليكونوا حرسًا خاصًا للأمير إبراهيم باشا طوسون بن محمد علي باشا أينما حل وأينما صار هذا وإن دل أنما يدل على ثقة محمد علي في شجاعة وإقدام هؤلاء العربان وإخلاصهم الذي جعله يختار منهم الحرس الحديدي لابنه وقائد الجيش بدلاً من جنوده النظاميين من الألبان والشركس .

كما أنه أقر لهم قانونهم الخاص وعلى أن تتم محاكمتهم بقانون ينطبق على

(1) القبائل العربية في مصر .

أعرافهم وعاداتهم وظل معمولاً بذلك طيلة حكم الأسرة العلوية في مصر .

كما ذكر البحاث أن هذه القبائل شاركت في حملة محمد علي باشا ضد المماليك والمذبحة الشهيرة لهم في القلعة ومطاردة من بقي منهم في الوجه البحري إلى أقاصي الصعيد .

فمما لا شك فيه أن انحياز محمد علي باشا لقبائل أولاد علي وغيرهم كان له الأثر الكبير في ترسيخ الحكم العلوي في مصر كما ساعد هذا التعاون في المقابل أولاد علي استغلال هذه العلاقة مع الحكام في إجلاء قبيلة الهنادي من البحيرة إلى الشرقية ومن ثم إلى الشام وسيأتي ذكر هذا في موضعه والذي مكن لأولاد علي من ثلثي البحيرة .

الخديوي سعيد ..

تولَّى الخديوي سعيد الحكم في مصر بعد وفاة والده محمد علي باشا ولما كانت تربطه علاقة طيبة مع الفرنسيين والذين لا يكنون للعرب ودّاً حيث لايزال أمرهم يقلق خاطرهم ويهدّد طموحهم في مصر فقد وشي الواشون لديه أن هذه القبائل العربية في مصر تمتلك من السلاح والعتاد والقوه والتي لواتحدت عليه لأسقطوا حكمه وقوضوا ملكة خاصة وأن نصفهم الآخر في برقه تربطهم صله قويه بالأتراك العثمانيين وهم بمثابة المدد لهم ونصحوه بتقليص أوضاعهم وتحجيمهم بنزع تلك الامتيازات عنهم .

فما كان منه إلا أن أصدر أمرًا بالقبض على كل من زعماء قبائل الفوايد محجوب عمر كيشار والشيخ مقرب العلواني كيشار وأمر بنفيهم إلى السودان ثم أصدر فرمان بجمع سلاح البدووخيولهم وأبلهم وجرد حملة لذلك فما كان إلَّا أن اتحدت قبائل الجوازي والفوايد واشتبكوا مع حملة سعيد باشا في معركة طاحنه غرب الفشن والعدوه بمديرية المنيا وعند كفْر مهدي على البحر اليوسفي وكان يقود البدوالسعدي عمار كيشار شيخ الفوايد والأخ الأصغر للمدعومحجوب الذي نفاه سعيد .

وكان من معاونيه أخوته مفتاح وعبد الله وعبد النبي ومعهم الشيخ محمود ديهوم وكبار عائلات الرقيب من قبائل الفوايد .

إلَّا أن سعيد دعم حملته بالجنود والسلاح فتجمعت القبائل في مديرتي المنيا وبني سويف واتجهوا إلى مديرية الفيوم وانضم إليهم من المغاربة وقبائل السعادي في تجمع واحد قد ضم قبائل الحرابى والفوايد والهنادي والجوازي والبراعصة وبدأوا في الشروع بزحف نحو الصحراء متجهين إلى برقه فأمّلهم سعيد باشا مدة ثلاثة أيام لكي يعودوا إلى أماكنهم ويسلموا أسلحتهم ويقدموا فروض الطاعة والولاء إلا أن القبائل لم تذعن لذلك فما كان منه إلا أن انتهز وقوع الخلاف بين تلك القبائل وأولاد علي الذين استعان بهم على أن يُمكّن لهم حيث كان أولاد علي لا يزالون على العهد القديم الذي أبرموه مع والده محمد علي باشا فأطبقوا عليهم الصحراء وحاصرت قوات سعيد مجموعات من تلك القبائل وقبض على زعمائهم وتشتت جموعهم. وكان من قبيلة الجوازي شيخها عمار المصري مطيرد الذي علم بأن الحدود الغربية قد حوصرت دروبها بجيش سعيد ومن معه من القبائل فتوجه جنوبه إلى السودان ودخل منطقة الفونج وحارب أميرها وهزمه ثم توجه إلى منطقة شندي وهناك ألحقت به الهزيمة وقام أميرها بأسره فأرسله للخديوي سعيد والذي أصدر أمرًا بالعفوعنه وسمح له ولقبيلته بالعيش في مصر مرة أخرى [1] ، وفي عهد الخديوي إسماعيل كان يقول مع كل مناسبة : ما كنا لصوصًا وما كنا أشرارًا وما كنا باغين ولكن بطانة السوء أوقعوا بين الجالس على عرش مصر وبيننا، في حين أننا في كل ظرف وفي كل وقت سيوفاً مرهفة ورماحًا مشرعة في خدمة مصر وإعلاء شأنها وتوطيد دعائم عرشها [2] .

(1) من كتاب القبائل العربية في مصر

(2) موسوعة القبائل أ/ محمد سليمان

تجنيد العرب والروح الحربية ..

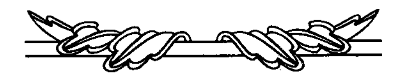
يقول كادلفين وبارو في كتاب حرب محمد علي والباب العالي :

أن العرب من سكان وادي النيل لم يكن لهم منذ الفتح العثماني حق الانتظام في الجيش ولكن محمد علي قد أعاد إليهم هذا الحق بتجنيدهم ولو أن ذلك على كره منهم قد رفع من شأنهم وأنتشلهم من الوهده التي نزلوا إليها وقد استردوا سمعتهم بما أظهروه من الشجاعة في ميادين الحروب التي خاضوها .

ويذكر الرافعي في تفصيل للإحصاء العسكري والجنود في 1839 م حيث قال :

كانت قبائل العربان في القطر المصري كقبائل أولاد علي والجمعيات والهنادي والجوازي وأولاد سليمان وغيرهم كالمدد المدخر في الرجال والخيل والجمال وأسباب القتال وكل ذلك تقدمه لأول أشارة من الحكومة [1] .

شاهد البارون بوال كونت الجيش المصري في سوريا سنة 1833م وقابل الكولونيل سليمان باشا الفرنساوي قائلاً له : أن العرب هم خير من رأيتهم من الجنود فهم يجمعون من النشاط والقناعة والجلد علي المتاعب مع انشراح النفس وتوطينها علي احتمال صنوف الحرمان وهم بقليل من الخبز يسيرون طول النهار يحدوهم الشدووالغناء ولقد رأيتهم في معركة (قونية) يبقون ساعات متوالية في خط النار محتفظين بشجاعة ورباطة جأش تدعوا إلى الإعجاب دون أن تختل صفوفهم أو يسري إليهم الملل أو يبدو منهم تقصير في واجباتهم العسكرية .



(1) الرافعي عصر محمد علي صـ 361 الطبعة الخامسة .

مشاركة القبائل في حروب محمد علي

الحرب الوهابية 1811 م :

ذكر الرافعي أن عدد رجال الحملة بلغ ثمانية آلاف مقاتل منهم ستة آلاف من المشاة وألفان من الفرسان بينهم كثير من البدو[1] .

قال الجبرتي في 30 سبتمبر 1811 م خرج السيد المحروقي ليسافر في صحبة الركب في موكب جليل لأنه هو المشار إليه في رياسة الركب ولوازمه واحتياجاته وأمور العربان ومشايخهم .

حرب السودان 1821 م :

تألفت الحملة عند بدء الزحف من أربعة ألاف مقاتل كما أحصاهم المسيوفردريك كابوالعالم الذي صحب الحملة وقد تلقي هذا الإحصاء من عابدين بك رئيس أركان حرب إسماعيل باشا وكان من جملة إحصاء أن العرب البدوشاركوا بأربعمائة فارس وستمائة من المشاه.

ذكر الرافعي في كتاب عصر محمد علي صفحة 168 ، 169 نقلاً عن الجبرتي قائلاً عن تعيين إسماعيل بن محمد علي لقيادة الحملة إلى السودان وتجهيز معداتها:

وفي جمادي الأولى سنة 1235 هـ فبراير 1820 م قوي عزم الباشا علي الإغارة علي السودان ووجه الكثير من اللوازم إلى الجهة القبلية واهتم اهتمامًا عظيماً وأرسل أيضًا بإحضار مشايخ العربان والقبائل ويقول الرافعي وكان استدعاء المشايخ والقبائل بغرض تجنيد العربان في الحملة ومن المعلوم أنها كانت تضم في صفوفها كثيرًا من فرسان العرب المصريين كم ذكرنا آنفاً .

حرب الشام (سوريا) : ذكر الرافعي أنه عندما اعتزم إبراهيم باشا أن يمضي

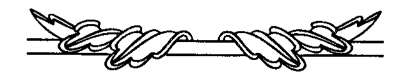
(1) الرافعي صـــ 125 نفس المصدر

شمالاً قاصدًا فتح دمشق قد غادر عكا يوم 9 يونيه سنة 1832 م في جيش مؤلف من ثمانية عشر ألف من المقاتلة منهم تسعة آلاف من الجنود النظامية وتسعة ألاف من العربان المصريين والبدوالسوريين .

وذكر أيضًا عند زحف الجيوش المصرية إلى بلاد الأناضول وعند بلوغهم قونية والتي أخلاها التُرك من غير قتال فاتخذها إبراهيم باشا قاعدة عسكرية له وأخذ يتأهب لملاقاة الجيش التركي فقد كان جيشه يضم ألف مقاتل من العرب البدوالمصريين وذلك طبقا لإحصاء (منجان وابكرويس) [1] .

كما ذكر في واقعة قونية هذه أنه تم أسر الصدر الأعظم أو القائد التركي من قبل العرب حيث قال :

« ثم تابع المصريون تقدمهم وتوسطوا ميدان المعركة حيث واجهوا الصف الثالث من مشاة الترك الذين اقتحموا الميدان ووصلوا إلى تلك الناحية فأصلتهم المدافع نارًا حامية وضربوهم ضربًا شديدًا ولما أدرك الصدر الأعظم أن ميسرته قد وقع فيها الاضطراب والفشل أراد أن يلم شعثها ويبث الحمية في نفوس رجالة فنزل إلى مواقع الجند وضل الطريق لكثرة تكاثف الضباب بينما هويسير على غير هدى وقع في أيدي العرب المصريين فأحاطوا به وجردوه من سلاحه واقتادوه أسيرًا إلى إبراهيم باشا » [2] .



(1) تاريخ محمد علي للرافعي صـ 244

(2) نفس المصدر صـ 24

إحصاء القبائل في مصر 3 مايو 1883م . . [1]

1 -قبيلة أولاد علي : مقرها مديرية البحيرة وكان شيخها علوان محمود.

2 -قبيلة الهنادي: مقرها مديرية الشرقيـة ، ولها عمدتـان غالـب سليمان وعبد النبي سلطان .

3 -قبيلة الجوازي: مقرها مديرية المنيا شيخها كيلاني بك عمر المصري مطيرد.

4 -قبيلة الحرابي : مقرها مديرية الفيوم وشيخها عبد القوي حميدة الجبالي

5 -قبيلة الفوايد : مقرها مديرية المنيا وبني سويف والفيوم ولها عمدتان حمد مقرب العلواني وإبراهيم ديهوم .

6 -قبيلة البراعصة : مقرها مديرية الفيوم وشيخها سليمان بك بياض .

7 -قبيلة السمالوس : مقرها الفيوم .

8 -قبيلة أولاد سليمان : مقرها الشرقية وبني وسويف .

9 -قبيلة الضعفا : مقرها الفيوم .

10 - قبيلة الجميعات : مقرها مديرية البحيرة وبني سويف والفيوم .



(1) الرافعي تاريخ محمد علي / أحمد لطفي السيد القبائل العربية .

مجلس النواب ومشروعات قوانين تخص العرب في مصر [1]

« أنه بجلسة الاثنين 27 فبراير 1882 م 9 ربيع الثاني 1299 هـ برئاسة سلطان باشا وبحضور 65 عضوًا جاء فيها من الاقتراحات والتقارير ما جاوز الثلاثين مقترحًا وكان منها الآتي :

(تقرير رقم 20) من طايع أفندي سلامة اقترح فيهِ وضع نظام لمشايخ البلاد فرأى المجلس أن هذا الاقتراح يشبه اقتراحًا سابقاً قدمه حسين أفندي أبوحسين وقرر أن يكتب للحكومة باستعجال قانون العمد والمشايخ .

(تقرير رقم 23) من بسيوني أفندي أبوالفضل يتضمن وضع حد للخلط الناشئ من إعطاء مشايخ العربان شهادة لبعض الآهلين بأنهم من العرب ليتمتعوا بامتيازاتهم فرأى المجلس أن يكتب لنظارة الداخلية بمضمون هذا التقرير لتنبه على المديريات بالأخذ بأسباب الاحتياط اللازم في هذا الشأن .

وبجلسة يوم الثلاثاء 28 فبراير 1882 م10ربيع الثاني 1299هـ برياسة سلطان باشا وبحضور 66 عضوًا وكانت للنظر في مشروعي قوانين أحالتهما الحكومة للتصديق عليها احدهما خاص بتوقيع المسوغات الشرعية للعقارات التي أخذت لشوارع القاهرة وتغيرت معالمها بسبب الهدم والثاني ببقاء الامتيازات الممنوحة للعربان في معافاتهم من الخدمة العسكرية وأشغال العون وقد تلي بيان المشروعان فقرر المجلس أحالتهما إلى اللجنة الدستورية ونظرهما بطريق الاستعجال لضيق المدة الباقية من انعقاد المجلس .

وقد وافقت اللجنة على المشروع الأول وتم تأجيل المشروع الثاني الخاص بامتيازات العربان في القطر المصري إلى جلسة 4 مارس 1882 م 14 ربيع الثاني 1299 هـ، حيث طلبت اللجنة من الحكومة إدخال بعض التعديل فيه

(1) الرافعي نفس المصدر

فقبلت الحكومة طلبها وإعادة المشروع معدلاً طبقاً لرأي اللجنة ثم قدمت إلى المجلس تقريرها في المشروع لتلاوته بالجلسة وتُلي بجلسة 4 مارس وهو يتضمن أصل المشروع والتعديل الذي أدخلته فيه وموافقة الحكومة على التعديل وقد أبدت فيه اللجنة ملاحظات تدل على دقة نظرها وعنايتها بأسلوبه وإظهار المعاني القومية فيه .

فقد ورد في ديباجة هذا المشروع المحال إليها(أنه مراعاةً للامتيازات الممنوحة للعربان منذ القدم رغبة في توطينهم وتشويقاً لهم في رفاهية معيشتهم وبعد الاطلاع على الأمر الصادر بتاريخ 3 ديسمبر سنة 1881م وبناء على ما عُرض لطرفنا من ناظر داخلية حكومتنا وموافقة رأي مجلس نظارنا نأمر بما هو آت .

فعدلت اللجنة هذه الديباجة بما يأتي :

أنه مراعاةً للامتيازات الممنوحة للعربان منذ القدم رغبة في توطينهم وتشويقاً لهم في رفاهية معيشتهم ولأنهم مكلفون بغفر الحواجز والتخوم والجبال والجهات الخالية من السكان ومع استعدادهم لخدمة البلاد والحكومة في أوقات الملمّات وبعد الاطلاع على الأمر الصادر بتاريخ 3 ديسمبر 1881م وبناءً على ما عُرض لطرفنا من ناظر داخلية حكومتنا وموافقة رأي مجلس النواب نأمر بما هو آت .

ويقول الرافعي في ذلك معلقاً : تأمّل في التعديل الذي أدخلته اللجنة على المشروع تجد أنها عدّلت ديباجته ببيان الحكمة في إبقاء امتيازات العرب وأضافت سببًا جديدًا لذلك وهو التزامهم بحراسة حدود البلاد واستعدادهم للدفاع عنها في أوقات الملمّات (الحروب) وهي فكره سامية تدل على حصافة رأي اللجنة إذ أرادت أن يكون في ديباجة القانون ما يُشعر العرب بأن الامتيازات التي مُنحت لهم أنها مُنحت مقابل واجب قومي وهو التزامهم بالدفاع عن البلاد وقت الخطر [1].

---

(1) الرافعي الثورة العرابية صـ224 الطبعة الرابعة .

مشاهد من مشاركة العربان البدو في المقاومة أبان الفتره :

مذبحة الإسكندرية :

فلمّا كان يوم الأحد 11 يونيه سنة 1882 م في الساعة الثانية بعد الظهر وقع شجار بين أحد المالطيين من رعايا الانجليز وأحد الأهلين يُدعى سيد العجّان حيث بدأ المالطي بالعدوان فقد كان الوطني صاحب ركوبة أخذها المالطي وطاف به من صبيحة النهار متنقلاً من مكان إلى آخر وانتهى تطوافه إلى خماره قريبة من قهوة القزاز بأخر شارع السبع بنات فعندما طالبه الوطني بأجرته لم يدفع له سوى قرش صاغ واحد فجادله في قلة القيمة فما كان من المالطي إلا أن شهر سكينًا وطعنة عدة طعنات فارداه قتيلا فهرع الناس ليمسكوا بالقاتل والذي اعتصم بأحد المنازل المجاورة وأخذ واليونانيون القاطنون بالمكان يطلقون النار على الأهالي فثارت نفوس الجماهير تطلب الانتقام فأخذوا يهجمون على كل من يلقونه منهم في الطرقات أو الدكاكين ويوسعونهم ضربا وكانوا يستنفرون الناس للقتال منادين (جاي.. يامسلمين . جاي.. بيقتلوا إخواننا) وهذه العبارة (جاي) ذكرها جون نينيه بنطقها العربي كما سمعها حيث كان نينيه شاهد عيان لهذه الحادثة وكلمة (جاي) هي لفظة بدوية تعني النجدة هنا .

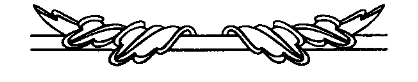
وهذا إن دلّ أنما يدل على تواجد العنصر البدوي في تلك الأماكن من ضواحي الإسكندرية وتثبت فزعته وإجارته لأبناء وطنه من المصريين أينما حل .

وأخذ ينادي هذا البدوي فاهتاج الناس وامتدّ هياجهم إلى الشارع الإبراهيمي وشارع المهاميل والمحمودية وجهة الجمرك والمنشية والضبطية (رأس التين) وراح الناس يقتلون كل من تقع أعينهم عليه من الأوربيين واستفحلت الفتنة حتى تدخلت الجنود وفضوا النزاع عند الساعة الخامسة وكان على رأسهم القائم مقام سليمان داود قائد الآلاي السادس بباب شرق .

ويقول المسيو جون نينيه : أن عدد القتلى كانوا 238 منهم 75 أوروبي 163 من الأهالي إلا أن الأطباء ذكروا في تقريرهم أن عدد القتلى كانوا 49 قتيل

منهم 38 من الأجانب والباقون من الأهالي وهوتقرير أدعى إلى الثقة وكان عدد الجرحى 71 من الطرفين [1].

أن مثل هذه الحادثة لم تقف عند ذلك الحد بل كانت سببًا في إخلاء كثير من الأوربيين للإسكندرية ونزوحهم عن البلاد كما أنها كانت من دواعي دخول الانجليز إلى مصر بهدف حماية رعاياها الأمر الذي أدّى إلى تغير كبير في الأحداث السياسية في مصر بعد ذلك .



(1) الرافعي الثورة العرابية .

الفصل السابع

الثورة العرابية ودور القبائل . .



شارك العربان من أولاد علي في المدافعة عن الإسكندرية مع عرابي باشا أثناء ضرب الانجليز لها في يوليه 1882 م فعندما تمكّن الانجليز من الدخول وآثر العرابيون الانسحاب من الإسكندرية حيث رأوا أن يتذرعوا بكل وسيلة لتعطيل احتلال الانجليز للمدينة واستقرارهم فيها فأمر سليمان سامي قائد الآلاي السادس جنوده بإضرام النار في المدينة لكي يحول الحريق دون نزول الانجليز بها وأتخذها قاعدة حربية لزحفهم فشبت الحرائق الهائلة يوم 12 يوليه الأربعاء 1882 م حيث بدأ إضرام النار في نحو الساعة الثانية بعد الظهر وأخذ يمتد حتى صارت المدينة شعلة من النار مساء ذلك اليوم .

ويقول في ذلك جون نينيه :أن الحرائق الأولى شبت في الأحياء الأهلية من قنابل الأسطول الانجليزي ومن فعل بعض الأوربيين الذين بقوا في المدينة بقصد النهب .

أما عن الحرائق التي شبت في الأحياء الأوربية فهي من عمل (عربان أولاد علي) الذين كانوا مجتمعين حول البلد يعاونهم بعض عساكر الرديف وبعض الأروام وذلك بأوامر أسندت إليهم من سليمان داود وهذا يبرهن على مشاركة البدووعربان أولاد علي وإن كانت أوامرها صدرت عن قرار خاطئ تحمل مسئوليته قائد الآلاي سليمان داوْد والمشهور بالتهور والحمق والذي كان يعتبر نفسه عرابي آخر بالإسكندرية [1] والذي عندما عزم العرابيون على حرق المدينة رأوا أن يجلوا الأهالي عنها فبلغ عدد المهاجرين منهم 150 ألف هاموا على وجوههم وصفهم محمد عبده حيث قال :

كانت المهاجرة تكون خطوط سوداء تارة عريضة وتارة رقيقة متحركة في

(1) الرافعي الثورة العرابية صـ 331

كل جهة أشبه بسلسلة إنسانية طويلة مجردين من كل شيء أخذوا في الحركة لغير قصد ولا لمأوى .. الموت والفزع ملء نفوسهم من شطوط المحمودية إلى دمنهور حتى القاهرة .

معارك العرابيين ..

تطوع العربان مثلهم مثل باقي المصريين مع عرابي بالنفس وبالمال حيث ابدى أعيان الوجه البحري والقبلي منهم تبرعات وإعانات كثيرة واثبتوا كفاءتهم القتالية وذودهم عن الوطن في مواطن كثيرة منها معركة الإسكندرية ومناوشات كفر الدوار في أغسطس 1882 م والقصاصين واشتركوا في معركة التل الكبير في ستة ألاف من البدو قضي منهم الكثير تحت نيران العدو الانجليزي وهم يدافعون عن تراب هذا الوطن [1].

معركة التل الكبير بين الخيانة والولاء..

وان كانت الخيانة المشار إليها في مُعظم المراجع والأبحاث والتي أطاحت بقوات عرابي في معركة التل الكبير من قبل بعض البدو كما بدا للكتّاب والبحّاث إلا أننا لابد وأن نشير إلى جزئية هامه وهي أن هؤلاء البدو أنهما كانوا موالين للخديوي توفيق حاكم البلاد وجنوده الذين يأتمرون بأمره وينزلون عند طاعته فأنهم يرون في ذلك واجبهم الوطني الذي يحتم عليهم ذلك حيث كانوا يرون في عرابي ومن معه من المصريين والبدو المتحالفين معه مثلما يرى توفيق وأحلافه بأنهم ما هم إلا مجموعة من المتمردين والمتآمرين على البلاد حيث يحتم عليهم واجبهم في الذود والدفاع عن نظام الخديوي وحكمه للبلاد.

وإذ أردنا أن نشير إلى الخيانة الحقيقية والتي نتج عنها هزيمة عرابي في التل الكبير أنها كانت من داخل قوات عرابي نفسها والتي تمثلت في شخص الأمير الاي (علي بك يوسف خنفس) قائد خطوط الخنادق المتوسط والذي خانهم

(1) دور القوى الاجتماعية في الثورة العرابية حيث ذكر د / علي شلبي منهم الجوابيص والحرابي والفوايد الرماح .

وأفشي التدبير الذي وضعوه قبيل المعركة وأفضى به إلى الجنرال (ولسلي) وذلك حسب ما ذكره عرابي في مذكراته الخاصة [1].

ويضيف عبد الرحمن الرافعي إلى ذلك معللاً أسباب الهزيمة في التل الكبير بأنها تعود إلى الضباط الموالين للخديوي وجُبن الضباط الموالين لعرابي وعلى رأسهم عرابي ذاته الذي أثر الحياة على الواجب المقدس والذي فقد روح البطولة والتضحية وعبر عن ذلك بعدم ثباته في أرض المعركة وآثر الفرار واستسلم من أول هزيمة بل تعدى إلى أكثر من ذلك حيث كان من المؤيدين للاحتلال وسياسته وظهر ذلك في بعض التصريحات فقوبل من الأمة بالفتور والسخط، وحتى عودة عرابي من المنفي لم تكن إلا بواسطة الانجليز وشفاعته لديهم [2].

محاكمة عرابي وأعوانه ..

بعد محاكمة عرابي قضي على طائفة من كبار الأعيان والذوات من العربان الذين شاركوا عرابي وتم تجريدهم من الرّتب والامتيازات وصل عددهم إلى حوالي أربعين شخصًا صدرت ضدهم أحكام وكان من بينهم:

سعداوي الجبالي العبيدي من قبائل الحرابي بمديرية الفيوم

لملوم باشا الساعدي الفايدي مديرية المنيا وعبد النبي عبد الله البياض البرعصي بمديريه الفيوم كما شمل الحكم الإقامة بمديرياتهم تحت ملاحظة الضبطية.

شيخ العرب حمد باشا الباسل [3] ..

انتهت سياسات الحكومة المركزية في القاهرة والتي استغرقت طوال القرن التاسع عشر بإقرار أبناء القبائل البدوية القاطنة في الوادي والدلتا أنها نجحت في تلك المهمات الأمر الذي تحول معه شيوخ هذه القبائل إلى مواطنين يشاركون

---

(1) الرافعي ثورة عرابي صـ 288 .

(2) الرافعي نفس المصدر صـ 446 .

(3) عن مقالة بعنوان ديوان الحياة المعاصرة بقلمد / يونان لبيب رزق جريدة الأهرام 10مايو2007 م السنة 131 العدد 43984 الحلقة 682 .

في العمل العام ، خاصة بعد أن تملكوا مساحات واسعة من الأراضي الزراعية وانخرطوا في سلك الطبقة التي قادت الحركة السياسية وهي طبقة كبار الملاك.

وقد تعددت نماذج هؤلاء مثل مللوم الساعدي رئيس قبيلة الفوايد في مغاغا، حمد الباسل عمدة قبيلة الرماح في الفيوم ، وغيرهم بيد أنهم لم يتمتعوا بما تمتع به أقرانهم من الزعماء المدنيين للعمل السياسي من شهرة بمن فيهم سعادة حمد باشا الباسل وكيل الوفد والذي تفرد بالحصول على لقب الباشاوية من كل الذين كان لهم الحق في منحه وهم : السلطان العثماني في اسطنبول ، والسلطان حسين كامل في مصر .

وقد عاد الدكتور يونان لبيب في تقديم سيرة حمد باشا الذاتية إلى الوثائق السرية البريطانية والتي جاء فيها أنه من مواليد 1870 م وهوعمدة العرب الرماح وهم فرع من قبيلة الفوايد وواحد من أبرز زعماء الوفد في مصر .

وتذكر الوثيقة مؤكده على انتماء الرجل لطبقة كبار الملاك حيث كان يملك مع شقيقة عبد الستار الباسل 3700 فدان في الفيوم مقر قبيلته وكان يتحدث قليل من الفرنسية والانجليزية وحريص على ارتداء الملابس البدوية .

كما استفاضت الوثيقة في الحديث عن الدور السياسي منذ أن انضم إلى سعد زغلول في أحداث ثورة 1919 م ، الأمر الذي قادة إلى المنفي في مالطة ، والى أن يكون أحد أعضاء الوفد في باريس ، وما تبع ذلك من دور .

ويضيف دكتور لبيب أن حمد باشا الباسل قال في مذكراته أنه كان يقضي خلال فترة الحرب الأولى سهراته عندما يكون في القاهرة في بيت سعد باشا أو دار محمد محمود باشا الذين وصفهما بأنهما من شلته ، وأن الأحاديث خلال تلك السهرات كانت تدور في معظم الأحيان عن مسائل الحرب وشئون السياسة العامة ومصير البلاد إذا كتب الفوز للحلفاء .

وبعد انتهاء الحرب انعقد مؤتمر الصلح في باريس واتجهت الأنظار إلى تأليف وفد مصري للسفر إلى أوربا واختار سعد أعضاء هذا الوفد الذي تألف

من أنصاره في الجمعية التشريعية وكان منهم حمد باشا الأمر الذي أدى إلى اعتقالهم فيما بعد .

تبع ذلك خلاف بين سعد وعدلي على رئاسة الوفد الذي تقرر أن يتوجه إلى لندن لمفاوضة ملنر فقام حمد باشا في محاولة لإقناع أي الرجلين بتنازل احدهما للآخر ولكنه فشل في ذلك ويقول في مذكراته فأعلنت اشمئزازي من سير الحوادث واعتكفت في داري .

وفي أثناء ذلك تأسس حزب الأعضاء الدستوريين الذي حاول ضمه لهم ولكنه أجاب : أنه إذا كان قد حد ما حدا بي إلى الانقطاع عن سعد باشا فهذا ليس معناه أن ارضي أن أتهاون على هدمه .

كما ذكر أنه بعد عودة سعد إلى البلاد خرج الباسل عن اعتكافه السياسي وتوجه إلى سعد في مكتبة قائلا له : لقد انقطعت عنك لما لم تكن في حاجة إلى ولم يكن هناك خطر يحيط بك أما وأنهم ألان يهددونك فها أنا أتقدم إليكم لأضع يدي في يدك مبديا استعدادي لأن أتحمل مثلما تتحمل .. فلم يتمكن من حبس دموعه وعانقني وهويردد مثلما قلت .

وبعد نفي سعد إلى سيشل قام حمد الباسل وأعضاء الوفد بدعوة لمقاطعة البضائع الانجليزية فتم اعتقاله مع آخرين في يناير 1922م وحوكموا أمام مجلس عسكري بالإعدام وتغريم كل منهم خمسة آلاف جنيه ثم خفف الحكم بسبع سنوات بقوا فيه إلى أن أفرج عنهم في مايو1923 م وأحتل بعد خروجه مكانة كوكيل للوفد .

انشق الوفديون فخالفوا سعد النحاس حيث لم يقبل بسياسة إسماعيل صدقي الذي رأى تكوين وزارة يشارك فيها الحزبان مع حزبه الذي شكله وقتئذ تحت اسم حزب الشعب الذي لم يقبل به النحاس ووصفهم بالخارجين وحدث تراشق بين الرجلين سعد باشا النحاس وحمد باشا الباسل وكان هناك عدة ردود من الباسل أعرب في أحدها عن أسفه أن النحاس باشا استمرأ لنفسه

الطعن عليه وعلى زملائه أعضاء الوفد وقال الباسل وكنا نظن أن الحوادث قد وعدت النحاس باشا وأنه قد مضي نحوعام علي الحركة التي أحدثها في الوفد بانتهاك قانونه وازدراء الشورى وعدم الاكتراث بالعواقب يشعر بالندم علي ما فعل ويدرك خطورة الحالة التي وقعت البلاد فيها فإذا كان النحاس يظن انه بالطعن علي أبر الناس بمبادئ سعد وأوفاهم لتقاليد الوفد أنه ينال منا أو يخدم قضية مصر فليعلم أنه أنما ينال من نفسه ويسير إلى مقام يحزن الوفديين جميعًا.

اعتبر حمد الباسل ومن معه أنفسهم الممثلين الحقيقيين لمبادئ سعد فأطلقوا علي أنفسهم بالوفد السعدي وقد تبعهم في ذلك أحمد ماهر ومحمود فهمي النقراشي حين خرجوا عن الوفد النحاسي وأطلقوا علي أنفسهم الهيئة السعدية.

ترك حمد باشا الباسل دوره السياسي برفضه ترشيح نفسه في الانتخابات 1936 م وعاد ليمارس دورة كشيخ للعرب بدا ذلك في أكثر من مناسبة منها:

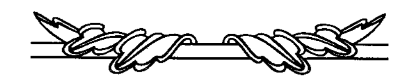
جعل داره في القاهرة لزوار العرب الذين يفدون إلى العاصمة المصرية نذكر منها المأدبة الفاخرة التي أقامها للأمير فايز الشعلان حضرها الشيخ فوزان وكيل المملكة السعودية وعبد الرحيم بك مللوم وعبد الرحمن عزام وغيرهم من أدباء ووجهاء العرب .

وعن حفلة الشاي الفخمة التي أقامها في داره بالزمالك في مارس 1936م لعدد من الضيوف العراقيين وهي الحفل التي ألقي فيها عبد الرحمن باشا عزام خطبة عن وحدة الشعوب التي تسكن شمال إفريقيا وغرب آسيا ، كما أنشغل سعادته بمشاكل القبائل العربية علي مستوي الوطن العربي مما جعل الحكومة العراقية في مايو 1939 م تدعوه إلى بغداد لفض الخلاف القائم بين عشائر شعر والعبيد وقد اصطحب معه من أبناء عشيرته وزعيم قبائل الجمعيات آنذاك طاهر بك المصري .

كما انشغل حمد باشا الباسل بأمور القبائل داخل مصر وأهتم بشئونها فتذكر الأهرام في عددها الصادر في 4 ابريل 1939م قد رأس اجتماعات لفيف

من زعماء العرب المصريين الذين عقدوها معترضين علي مشروع تجنيد أبناء القبائل أسوة بسائر المصريين وكانت حجته التي ساقها لمندوب الأهرام أن التشريع لأي أمة أو طائفة يجب أن يلاحظ فيه طباعها وعوائدها وأخلاقها فكان لزامًا علي الذين يريدون وضع تشريع للعرب أن يستنيروا بآراء كبار العشائر ورؤساء القبائل حتى يتفادوا تلك العقبات التي كثيرًا ما يصطدم بها التشريع عند التنفيذ والتطبيق ، وقد أنهي حديثه بتأكيد أن العرب لا ينكصون عن الدفاع عن وطنهم فهم يعتبرون أنفسهم دائمًا تحت السلاح لتلبيه نداء الواجب فهم جيش في الرديف أو فرقه في الاستيداع ، كلهم ماسك بعنان فرسه كلما سمع هيعه طار إليها .

ظل الرجل يؤدي دوره إلى أن وافته المنية في 9 فبراير 1940م وفي اليوم التالي من وفاته نوهت الأهرام بالدور الذي قام به حمد باشا الباسل في الحركة الوطنية المصرية حيث انه كان يؤثر شئون البلاد العربية بعناية كبيرة وأنه قد نجح من خلال مكانته في تلك البلاد أن يقوم بحل كثير من مشكلات القبائل العربية فيها .. رحم الله شيخ العرب حمد باشا الباسل .



الفصل الثامن

الحركة السنوسية (جهاد ودعوة)



الإمام محمد بن علي السنوسي (المؤسس) ..

اسمه ونسبه: هو الشيخ محمد بن علي بن السنوسي بن العربي بن محمد بن عبد القادر بن شهيدة بن حم بن يوسف بن عبد الله بن خطاب بن علي بن يحيي بن راشد بن أحمد المرابط بن منداس بن عبد القوي بن عبد الرحمن بن يوسف بن زيان بن زين العابدين بن يوسف بن حسن بن إدريس بن سعيد بن يعقوب بن داود بن حمزة بن علي بن عمران بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثني ابن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي [1] .

ولد بضاحية ميثا الواقعة ضفة وادي شلف بمنطقة الواسطة التابعة لبلدة مستغانم في الجزائر أتم حفظ القرآن على ابن عمه برواياته السبع ورسم الخط والضبط وقرأ عليه رسالات منها مورد الظمآن ، المصباح ، العقيلة ، الندى ، الجزرية ، وكانت نشأته في بيت شريف أشتهر بالعراقة والأصالة وبيئته العلمية التي تربى فيها حببت إليه العلم وفتحت عينيه على حقائق كثيرة .

تاقت نفسه لطلب العلم فارتحل إلى فاس من بلاد المغرب ثم عاد للجزائر ومنها ارتحل إلى المشرق حاجًا لبيت الله الحرام فكان دخوله طرابلس في سنة 1238 هـ وبمروره بتلك الأراضي من طرابلس وبرقه وطد أبن السنوسي علاقته مع أشخاص كثيرين ووثق صلة بهم وكان دخوله بلاد الحجاز من عام 1240 هـ 1825م ونزل بمكة المكرمة وأتيحت له الفرصة للاتصال بعلماء وفقهاء الأمة هناك .

كما أنه تقرب وعاشر أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب مؤسس الدعوة

(1) الثمار الزكية في الحركة السنوسية د/ علي الصلابي .

السلفية فصار من مريديها وتتلمذ على علمائها وشيوخها ودرس الحركة السلفية دراسة واعية في مواقفها السياسية واجتهاداتها العلمية .

وانتقل بعد سنوات من الحجاز إلى الجزائر مجاهدًا ضد الفرنسيين هناك ثم عاد إلى طرابلس ومنها إلى برقه حيث رحب به أهلها أي ترحيب وأكرموا نزله بما رأوا عليه من المهابة والعلم وسماحة الدين ونقاء السريرة فكانت تلك القناعة من أبناء برقه وقبائلها هي الفاتحة لهم ولابن السنوسي في نشر دعوته بسماعهم نصائحه وإطاعة أوامره حيث أرشدهم إلى كتاب الله وسُنَّة نبيه (ﷺ) .

وكان يقول رحمه الله فيهم : (هذه بلادنا فيها تحيا أورادنا حيها سعيد وميتها شهيد طوبى لمن أراد الخير لأهلها وويل لمن أراد الشر بأهلها) .

فبدأ بنشر الدعوة فأنشأ الزوايا التي كانت بمثابة القلاع والحصون للدين والدولة وقد توافرت في برقه ظروف ملائمة لظهور تلك الحركة الإسلامية .

1 – حيث كانت منفصلة عن الأقطار المجاورة بتلك الصحاري والفيافي التي تحيط بها .

2 – قبائل برقه العربية وما تربطها من أنماط حياه اجتماعية متجانسة .

3 – بعدها عن سيطرة المدن وضعف سيطرة العثمانيين على الدواخل منها .

وقد أختار ابن السنوسي واحة الجغبوب البعيدة كمقر لقيادته ووفق بين قبائل الصحراء وأصلح ذات بينهم وأزال كل خلاف قد دبّ بينهم واعتق العبيد وأعاد تنظيمهم وأعطى لكل منهم دوره العسكري والسياسي والاقتصادي والديني وذلك للقيام والنهوض بهذه الدعوة .

وظل شيخنا على ذلك إلى أن وافته المنية وانتقل إلى جوار ربه يوم الأربعاء من صفر لعام1280هـ .

وتولّي من بعده أبنه السيد محمد المهدي السنوسي والذي صار على نهجه ودأبه فكانت سيرته مليئة بالدروس والعبر وتوسعت الحركة في زمنه أكثر من

أربعة أضعاف ما كانت عليه فبلغت ذروتها واتسع انتشارها في زمن قيادته الذي ظل نحو أربعين عامًا أنشأ فيها الزوايا وأرسل الدعاة والعلماء إلى ربوع أفريقيا فدخلوا النيجر والكونغو والكاميرون وبحيرة تشاد وقلب السودان .

وخاض الحروب والمعارك ضد فرنسا هناك وظل على ذلك حتى أشتد عليه المرض وكانت وفاته رحمة الله في 24 صفر 1320 هـ الموافق 2 يونيه 1902م في زاوية قر والسودان ونُقل إلى الكفرة ودُفن بزاوية التاج واسند القيادة من بعده للسيد المجاهد أحمد الشريف السنوسي فواصل الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي ونشر الدعوة الإسلامية في تلك الربوع من القارة الإفريقية واستطاع أن يقنع العثمانيين بضرورة دعمه والوقوف مع حركته والذين بادروا بمعاونته بإرسال جنود نظاميين إلى برقو والتبستى وقاموا برفع العلم التركي على تلك الأراضي، وكان من أشهر المشاركين في حروبهم ضد فرنسا منهم:

* عبد الله فضيل الزوي استشهد شمال تشاد في معركة أم العظام 1902م.

* البرانى الساعدى الزوي استشهد 1907 م .

* غيث عبد الجليل سيف النصر من قبائل أولاد سليمان استشهد في معركة بئر العلالي (كانم) 1901م .

* كيلاني الأطيوش المغربي وغيرهم كثير .

وبدخول إيطاليا 1911 م ، انتقلت الجيوش السنوسية من الجنوب معلنة الجهاد في برقه ضد الاستعمار الايطالي فأظهروا من البطولات والشجاعة ما جعلهم محل تقدير كل المسلمين وسجلوا صفحات مجيدة خالدة بماء الذهب وبادرت قبائل العواقير والمغاربة والعرفه للجهاد وانقضوا على المستعمرين وقاتلوهم قتالاً عنيفاً في عدة مواقع وتوافدت إليهم النجدات من شتي قبائل السعادي والمرابطين المتواجدة بضواحي برقه من الدرسه والبراعصة والعريبات والزوية والمسامير والجراره والفواخر .

ويذكر شكيب أرسلان أن المجاهدين شرعوا في مهاجمة الإيطاليين بشدة

وعنف ففي 12 مارس جرت وقعة الفويهات الشهيرة ببنغازي وكان الإيطاليون قد أحاطوا بمائتي من العرب المجاهدين فلبث هؤلاء العرب يقاتلون مستميتين إلى الظلام .

فلقد أبلى مجاهدوا برقه البلاء الحسن وجددوا عهد المفاخر العربية وأدهشوا العالم بما أبدوا من بسالة وشجاعة فقد أصلى السنوسيون نار هذه الحرب في برقه فكانوا رجالها وقوادها آخر من جلا بعد أن فقدوا الجانب الأكبر من أقطابهم وشيوخهم .

ويقول القائد التركي أنور بك مظهرًا إعجابه بأبناء القبائل في برقه قائلاً :

القبائل العربية تُرسل لي مقاتليها ويأتون على شكل جماعات صغيرة ، كل واحد يحمل سلاحًا قديمًا على كتفة رابطاً رصاصه في حزامه وفي يديه بضعة كيلوجرامات من الدقيق وبينهم مسنون بيض اللحى ، وصبيان لم يبلغوا سن الخامسة عشرة .

إن أعمارهم لا تمنعهم من مواجهة الموت ، لهم إيمان راسخ بأن أقدارهم مرسومة بإرادة الله فمهما يكن لن تتغير ولهم قول مأثور رائع (إذا أراد الرَّبّ فلا مناص من الشهادة ، فالشجاع يموت مرة واحده أما الجبان فيموت في اليوم مائة مرة) .

ويقول عنهم مقال رائع وفريد للتفاني دون قيد أو شرط ، وتلاشت ذكرياتي من حياتي الماضية وأصبحت في طي النسيان وأشعر وكأنني لم أعاشر أحدًا غير العرب ولم أشاهد مكان غير الصحراء .

ويذكر أنه ذات مرة شهد شيخًا منهم يقف خطيبًا واعظاً فيهم ، وعلى حد وصفه قال : كان يقف كالأسد تلحف بجلد جمل قائلاً : أيها المقاتلون في سبيل الرحمن الواحد الأحد الآن لا تحتاجون إلى السلاح وإذا ما اعتقدتم أنكم تحققون الفتح فلتبقوا حيث أنتم أن هذه الحرب ليست حربكم وإذا ما كنتم تبغون طرد الايطاليين فقط فلتذهبوا إلى بيوتكم أنها يتوجب عليكم هوطرد

الشيطان ودولته من بلادنا وأن تعيدوها إلى رحمة الواحد القهار .....

ولا تتوقعوا ليالاً ملاحًا وأيامًا لطيفة إنها نارًا حاميه في النهار ومسيرات طويلة في الليل أنه الجوع والعطش .....

ويقول الضابط التركي أمين بك: إن وقع صوت هذا الشيخ كان مثل البوق لقد كانت عيون ألف من العرب المجاهدين تتوقد حماسًا وهي تنظر إليه وقد وقفوا جميعًا في صف الجهاد .. إن جرأة هؤلاء الناس لا يُعلى عليها وأما دوافعهم في ذلك فهي ذات أساس فلسفي (أرغب أن أموت في الحرب شابًا على أن أموت فى فراشي شيخًا فما من مجد في الموت الناجم عن مرض الشيخوخة) [1].

وقد وصلت بحوث ودراسات أنور باشا التركي مع زملائه الذين وقعوا تقاريرهم إلى الآستانة بإيمانهم بأنّ هذا الشعب يُعتمد عليه في الحروب فأخذت الإمدادات ترد منها وبدأت وفود المتطوعين من مصر والعالم الإسلامي الذين وقفوا بكل ما يملكون لدعم المقاتلين في برقة ماديًا ومعنويًا .

ولقد كان حمد باشا الباسل الفايدي الرماحي من وجهاء مصر سندًا لحركة الجهاد في برقه.

انسحبت القوات التركية من برقه بقيادة عزيز بك المصري وقاموا بالضغط على السيد أحمد الشريف على إن يحيل جهاده ضد الانجليز في الأراضي المصرية وسناتى على ذكر ذلك في فصل ثورة العرب والضباط المصريين في الصحراء الغربية حيث تم إقحام السيد أحمد الشريف في حربه ضد الحكومة البريطانية وقد انضمت إليه جموع (قبائل أولاد علي)في الأراضي المصرية ومعهم المتطوعين المصريين من أمثال عبد الرحمن عزام والذي يذكر في كتابة كفاح الشعب الليبي في سبيل الحرية قائلاً : بدأ هجوم المجاهدين والأتراك على القوات الانجليزية عند حدود مصر ودارت معارك طاحنه من أشهرها وادي ماجد في أواخر شهر ديسمبر عام 1915 م ومعركة بير بوتونس التي قال عنها ضابط بريطاني

---

(1)د/ علي الصلابي نقلا عن الشهيد العدد الخامس مركز دراسة جهاد الليبيين.

شارك في هذه المعارك : لقد قام العدوبعزم شديد ومقاومة عنيفة ودام القتال لأربع ساعات تحت نيران البنادق التي كان العدويستخدمها بنجاح ودقه بقيادة ضباط أتراك وألمان ، وعلى حين كنا نحاول بشق الأنفس أن نصمد حيث دبّت الفوضى في صف الفرسان على الميسرة عندها قويت شوكة العرب الذين كانوا يجابهون هذا الجانب من صف الفرسان .

ودارت رحى المعارك على أرض مصر ضد الاستعمار الانجليزي في عدة معارك هي وادي ماجد والعقاقير وبئر بوتونس ووادي المقتلة ومعركة بقبق شرق السلوم ، وبجلاء السيد أحمد الشريف إلى برقه من الأراضي الليبية بعد فشل تلك الحملة ضد انجلترا قد ضاقت أحواله واشتد عليه الخناق فتم نقله إلى العاصمة العثمانية بواسطة أحدى الغواصات الألمانية ومن ثم إلى الأراضي الحجازية حيث توفي بالمدينة المنورة من عام 1933 م .

أسندت شئون الجهاد في برقه للسيد محمد إدريس السنوسي الذي كان وكيلاً عن السيد أحمد الشريف وقد عُرف سيادته ببعد النظر والتضلع في معرفة الأمور وكان قد نبّه أكثر من مرة السيد أحمد الشريف على عدم الدخول في خلاف مع بريطانيا على الحدود المصرية حيث كان يرى أن ذلك ليس في مصلحة المجاهدين .

التفت القبائل حوله وأخذ في مداركه ما وصلت إليه البلاد من حال يُرثي له ، وعزم على مواصلة الجهاد ضد الاستعمار الايطالي ورأى أن الحرب ضد بريطانيا لا تحقق أية نتيجة وكان يرى سياسيًا أنها هي المؤهلة لأن تأخذ علي عاتقها انجاز أمر الاستقلال .

وتلاقت مصالح الطرفين وازدهرت العلاقة السياسية بينهما حين عرضوا علية الصلح والاعتراف بإمارته على برقه والجبل .

وبعد أن تقلد الأمور في برقه نحوعام 1915 م أخذ السيد محمد إدريس السنوسي التنقل بين القبائل وكتائب الجهاد فمر بكتائب البراعصه والعبيدات

وغيرهم وشرع في إدارة دفة الحكم في برقه بكل حزم ومهارة واظهر مواهبه كرجل إدارة محنّك فقام بتنظيم شئون البلاد وتوطيد الأمن وضرب على أيد العابثين وقطع دابر المفسدين واتبع سياسية مهادنة لم تكن تحمل أي شكل من أشكال الاستسلام أو القبول بالواقع وإنما كانت مرحلة مؤقتة هدفها إنقاذ البلاد وتوحيد الصفوف .

فكان اتفاق عكرمة 1917 م بقصد تهدئة خواطر الأهالي ثم تبعه اتفاق الرجمة والذي اعترفت فيه ايطاليا بإمارة محمد إدريس السنوسي وكان قصد ايطاليا تجزئة البلاد إلا أن زعماء ليبيا اقروا تعيين محمد إدريس أميرا على كل البلاد لا برقه فقط وأرسلوا إليه البيعة في تشرين الثاني 1921 م بعدما عقدوا مؤتمر غريان فحققوا بذلك الوحدة الوطنية .

لقد أوجد الأمير محمد إدريس السنوسي حكومة في برقه أحبتها القبائل وهابتها وعملت على نشر العدل وأزالت الظلم ووحدت الصف ونبذت الخلاف وأقرت السلام .

كان هدف ايطاليا من تلك الاتفاقات هوالسيطرة الكاملة والهيمنة على كل البلاد مشترطين حل الأدوار الجهادية المقاومة وتفكيكها وتقسيم ليبيا إلى إمارات ، وكان هدف السنوسي هوكسب الوقت لتوحيد الصفوف فنجح في ذلك ومرت مدة الثمانية أشهر المتفق عليها لحل أدوار الجهاد ولم يتم ذلك فأيقنت ايطاليا أن مساعيها لن تفلح في إيقاف وكف المجاهدين عن نضالهم فرأت أن سياسة ما اتبعوه لن يرضي طموحها وكان لزامًا عليها مباشرة القتال مرة أخرى في برقة .

واستعرت نيران الحرب شرقًا وغربًا وتلاحقت الفتن وفي ظل ذلك كله بايع أبناء الوطن في برقه وطرابلس الأمير إدريس السنوسي على الإمارة وذلك من عام 1922 م ورأوا أنه لا مناص من هجرة الأمير إلى مصر خاصة بعد أن تأخرت صحته ونصحه الناصحون بالسفر إلى مصر للعلاج ونضف إلى ذلك أن التطورات السياسية والعسكرية التي حدثت على الساحة والمرحلة التي

مرت بها البلاد قد عرف من خلالها استحالة دحر الاستعمار الإيطالي بالمقاومة المسلحة فقط فرأى أن يكون عليه إيجاد حلولاً أخري أكثر قوة تجبر ايطاليا على الخروج من أراضيهم .

رحل السنوسي إلى مصر في عام 1922م ليقضي بها أصعب مراحل حياته وأشدها وأعظمها وطأة على نفسه ، وعهد بالأعمال السياسية والعسكرية في برقه إلى عمر المختار نائبًا عنه في تنظيم حركة المجاهدين ، وبالمسائل الدينية إلى أخيه السيد محمد الرضا السنوسي وأوصاهم بالحيطة وأوكل بعض القادة الآخرين أن يكونوا رؤساء على معسكرات المجاهدين ومنهم السيد محمد الصديق بن محمد الرضا وأخوه الحسن وقجه عبد الله السوداني والفضيل بوعمر ويوسف بورحيل المسماري وحسين الجويفي البرعصي وعبد الله سلوم وغيرهم ...

ودخلوا هؤلاء القادة العظام من قبائل برقه في جهادهم ضد ايطاليا من غير هوادة أولين أو ضعف أو خوار ليسطروا روائع النضال العربي على أرض برقه والصحراء .

عمر المختار ..

ولد في عام 1862 م وقيل 1858 م بمنطقة البطنان بأرض برقه وهومن قبيلة المنفة المرابطين بيت فرحات .

تلقي تعليمه الأول بزاوية جنزور محل إقامته ثم سافر إلى زاوية الجغبوب ومكث بها ثمانية أعوام درس اللغة العربية والعلوم الشرعية وحفظ القرآن الكريم وقد ظهرت عليه علامات النبوغ ورجاحة العقل فحاز اهتمام شيوخه خاصة أستاذة السيد المهدي السنوسي وقد وهبة الله جشاشة صوته البدوي وعذوبة لسانه وكانت لديه جاذبية يسيطر بها على مستمعيه ويشدهم ويلفت انتباههم .

شارك المختار كمجاهد في الحرب الليبية الفرنسية في الجنوب وقد استقر في قروالسودان مناضلاً ومجاهدًا وداعية للإسلام في تلك البقاع البعيدة .

واستُدعي المختار بعد وفاة السيد المهدي في 1902 م وعُيّن شيخًا لزاوية القصور ببرقه وقد عاش حرب الجهاد والتحرير منذ أول يوم فعندما أعلنت ايطاليا الحرب 1911 م سارع إلى مراكز تجمع الجهاد وشارك في تأسيس دور بنينة وتنظيم الحركة لمقاومة الاستعمار الايطالي وقد شهدت المنطقة بعد انسحاب الأتراك من برقه أشرس المعارك في تاريخ جهاد عرب برقه نذكر منها معركة درنة وبوشمال وعين مارة والعرقوب وسلنطة والمخيلي ومسوس واجدابية وعشرات المعارك الاخري التي كبّدوا فيها الاستعمار خسائر جمّة .

واستمر الجهاد حتى وصل إلى مراحل جديدة مع بداية الحرب الكونية الأولى فبعد الانقلاب الفاشي في ايطاليا 1922 م تغيرت الأوضاع واشتد الضغط على السيد محمد إدريس السنوسي الذي اضطر إلى الرحيل إلى مصر عاهدًا بالأعمال العسكرية والسياسية إلى عمر المختار والدينية إلى السيد محمد الرضا السنوسي.

قصد المختار في عام 1923م مصر وذلك للتشاور مع السيد إدريس السنوسي فيما يتعلق بشئون البلاد وبعد عودته نظم أدوار المجاهدين فجعل حسين الجويفي على دور البراعصة ويوسف بورحيل المسماري على دور العبيدات والفضيل بوعمر على دور الحاسة وتولي هوالقيادة العامة .

أخذت ايطاليا تزحف بجيوشها على مناطق الجبل وتسابقت جموع المجاهدين بالمؤن والعتاد والسلاح وضاقت ايطاليا ذرعًا من المقاومة والهزيمة التي نكلت بها وسعت في احتلال المناطق التي تمد المجاهدين كالجغبوب ومناطق الحدود الشرقية وسد كل المنافذ ومد الأسلاك الشائكة عبر الحدود الشرقية من منطقة دفنه وقد حمل ذلك أعباء ومتاعب للمجاهدين .

سعت إيطاليا إلى مفاوضات السلام في سيدي رحومه في20 ابريل 1929م وكان ذلك لغرض التقاط الأنفاس وكسب الوقت وبدأت إيطاليا في بث الفتن وإغراء المختار بالأموال والامتيازات مقابل الاستسلام فرفض كل تلك العروض وآثر على نفسه الجهاد حتى النصر أو الشهادة .

وبوصول غراتسياني الدموي الذي قام بوضع خطة إباده للعرب في برقه لم يسبق لها مثيل في تاريخ الحروب وقد تمثلت في :

1 - قفل الحدود المصرية الليبية ومد الأسلاك الشائكة لمنع وصول المؤن والذخائر وتشديد الحراسة على معاوني المجاهدين ممن يمدونهم بالمؤن والسلاح عبر الحدود وكان على رأسهم الشيخ محمود السنيني بمنطقة السلوم[1].

2 - أنشاء المحاكم الطائرة في ابريل عام 1930 م .

3 - فتح أبواب السجون ونصب المشانق في كل الجهات .

4 - قام باعتقال سكان برقه بالكامل إلى منطقة معتقل العقيلة ببرقه.

وبدأت المدن تتساقط واحدة تلوالأخرى وفي 11 سبتمبر من عام 1931م كان الشيخ المختار يستطلع منطقة اسلنطه في الجبل في كوكبة من فرسانه فأنقض عليه العدوالايطالي في حاميات عسكرية من الجنود الصواري قامت بمحاصرة المكان واشتبك الفريقان في وادي بوطاقه فأمر عمر المختار بفك الطوق والتفرق وسقط من على صهوة جواده الذي أصيب فلم يتمكن من تخليص نفسه وسرعان ما حاصره العدووتعرفوا على شخصيته وتم نقله إلى مرسي سوسه ووضع على طراد نقله إلى بنغازي .

وقد كان لاعتقاله صدى كبير في كل الأوساط حتى أن غراتسياني لم يصدق الخبر عندما وصله والذي كان حينها في روما فقطع إجازته واتجه من فوره إلى بنغازي للقاء المختار هناك .

ولما كان المختار وديعة سجنه دخل عليه الشارف الغرياني زائرًا وعندما التقيا خيم السكوت الرهيب ولم يتكلم المختار فقال الشارف الغرياني مثلاً شعبيًا مخاطبًا به السيد عمر(الحاصلة سقيمه والصقر ما يتخبل) وما كاد

---

(1) برقه المهدئه لردلفوغراتسياني .

* ومن الذين كانت لهم يد العون في مد المجاهدين الشيخ/ حسين عبد الله الكباش الجراري رحمه الله.

المختار يسمع المثل المذكور حتى رفع رأسه ونظر إليه بحدة وقال له : الحمد لله الذي لا يحمد علي مكروه سواه ، وسكت هنيهة ثم أردف قائلاً : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةً وَهَيِّئۡ لَنَا مِنۡ أَمۡرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ ﴾ الكهف: 10 .

ولما سأل الشارف الغرياني بعد خروجه من عنده عن نوع الثياب التي كان يرتديها المختار أهي ثياب السجن أم ثيابه التي وقع بها في الأسر ؟ ، كان جوابه في بيتين من الشعر مستشهدًا بهما :

عليه ثيابٌ لوتُباع جميعُها .·. بفلس لكان الفلسُ فيهنّ أكثرا

وفيهن نفسٌ لوتُقاس ببعضها .·. نفوسُ الورى كانت أجلّ وأكبرا

أجريت للشيخ البطل محاكمة سريعة استمرت ساعة واحده وخمس عشرة دقيقة قضت فيها على الشيخ الجليل بالإعدام شنقا وقد نفذ في صباح اليوم التالي من الساعة التاسعة في بلدة سلوق أمام حشد عظيم من أبناء شعبة ، وقد صعد الشيخ إلى تلك المشنقة بخُطي ثابتة يداه مكبلتين بالحديد وعلى ثغرة ابتسامة راضيه وقد سمعه أحد المقربين منه أنه صعد سلالم المشنقة وهويؤذن بصوت هادئ إذان الصلاة وعندما وضع الجلاد حبل المشنقة حول عنقه أخذ يردد ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرۡضِيَّةً ﴿٢٨﴾ ﴾ (الفجر الآيات 27 ، 28) .

لم يستسلم المجاهدون في برقه ولم يقفوا عند ذلك الحد بل واصلوا جهادهم وظل كفاحهم مستمرًا مطالبين بحريتهم .

فشرع الأمير إدريس السنوسي الذي دانت له كل القبائل في برقه وطرابلس بالولاء والطاعة والإخلاص بقرار تم توقيعه في 9 رمضان 1358 هـ في 23 أكتوبر 1939 م من قبل زعماء ورؤساء المجاهدين في القطر المصري ودخل في مفاوضة الحكومة الانجليزية التي سمحت له بتشكيل فصائل من القبائل الليبية المهاجرة لاسترداد حريتها واستخلاص البلاد من العدوالايطالي .

عقد اجتماع في القاهرة اسفر عن عدة قرارات منها :

* التحالف مع بريطانيا العظمي التي مدت يد المساعدة للتخلص من ايطاليا العدو المشترك .

* إعلان الاماره السنوسية على برقه وطرابلس .

* خوض غمار الحرب ضد ايطاليا بجانب الجيوش البريطانية وتحت علم الإمارة السنوسية .

وتم تشكيل جيش التحرير السنوسي في القطر المصري وكان مقر تدريب الكتائب عند الكيلو 9 بمنطقة الأهرام والذين بدأوا زحفهم مع إعلان الحرب العالمية الثانية وألحقوا أول هزيمة للجيش الايطالي في ديسمبر 1940 م قرب منطقة سيدي براني بالصحراء الغربية .

قدمت هذه الكتائب من أبناء قبائل برقه والصحراء أروع صور النضال العسكري وقاموا بدور بارز في حرب الصحراء شهدت به بريطانيا رسميًا وذلك في تصريح أدلى به (إيدن) وزير الخارجية البريطاني آنذاك أمام مجلس العموم البريطاني بتاريخ 8 يناير 1942 م جاء فيه :

أن هذه القوة من أنصار السنوسيين أدت عدة مهام جديرة بالاعتبار أثناء المعارك الظافرة التي دارت بالصحراء الغربية شتاء عام 1940 ، 1941 م كما أنها تقوم بدور فعال في سياق الحملة الجارية حاليا هناك [1].

لقد اعترفت بريطانيا بالدور الخطير الذي قامت به تلك الفصائل في الحرب العالمية الثانية ضد قوات المحور وتحدثت الصحافة في ذلك ففي المنتدى الفلسطينية العدد السابع أكتوبر 1943 م مقالاً بعنوان صفحة جديدة في تاريخ ليبيا للمستر (هـ . م فوت) مساعد المعتمد البريطاني في عمان ونائب الحاكم العسكري البريطاني في برقه سابقا قال :

(1) الثمار الزكية د / علي الصلابي .

قليل من الناس يذكر حملة الصحراء الغربية المصرية في الحرب الماضية عندما كنا نحارب عدد عبارة عن جماعات صغيرة من الأعراب [1] كانت تركب الإبل وليس لديها سلاح إلا القليل ورغم ذلك قد شغلت جزءً مهماً من القوى البريطانية طوال الحرب الماضية تقريبًا ولم يكن بينهم وبين بريطانيا خلاف لكنهم عقدوا النية على طرد الايطاليين من بلادهم فتصدوا لمنازلة قوى الحلفاء الجبابرة .

إن المقاومة التي أبداها هؤلاء العرب القلائل ضد الفرق الايطالية تلك المقاومة الباسلة ، لهي قصة رائعة من قصص البطولة ، فقد امضوا في كفاحهم ثلاثين عامًا بين تلال برقه وصحرائها وفي أثناء ذلك عُلق زعماؤهم على أعواد المشانق وصودرت أملاكهم وقتلت مواشيهم أما الأهالي أنفسهم فأنهم سيقوا مع أطفالهم إلى معتقلات كبيرة في صحراء العقيلة من برقه ، ومع كل ذلك لم يدب اليأس في قلوبهم وأنه ليتسنى للذين خالطوا هؤلاء العرب منا واستمعوا في مضاربهم إلى حديث الثورة التي أشعلوا نيرانها ضد الايطاليين أن يفهموا قوة كفاحهم وما ينطوي عليه من مجد وفخار فكثير من رجالهم مازالوا يحملون أثار بليغة ويندر أن تجد عائله منهم لم تصب في فرد من أفرادها على أيدي الايطاليين .

ويقول: لوسُئلت عن أهم ما يستلفت النظر في برقه لقلتُ أنه النشاط العجيب والعزيمة الماضية التي يتحلى بها قوم يجمعهم دين واحد وتجمعهم شجاعة يمتاز بها كل واحد منهم ومقاومة مستمرة للاضطهاد فقد مضي عليهم ثلاثون عاما وهم يقاسون الأهوال وترك ذلك في نفوسهم أثرًا سيئًا فهم لا يتحلون باللطف الزائد والدماثة التي يتحلي بها العرب في سائر الأقطار وتنقصهم خبرة الآخرين ومعارفهم ، أما التقاليد العربية القديمة وأعني بها الكرم والشجاعة فلا ينازعهم فيها منازع [2] .

(1) الثمار الزكية د/ علي الصلابي .

(2) د/ الصلابي نقلا عن ميلاد دولة ليبيا د/ محمد شكري.

* للتوسع في هذا المجال راجع الثمار الزكية للحركة السنوسية ، د/ علي الصلابي .

وبانتصار قوات الحلفاء في الحرب العالمية ظلّت ولاية برقه من ليبيا تحت الإدارة البريطانية إلى أن أعلن استقلالها في 24 ديسمبر 1951 م .

عاش السيد محمد إدريس السنوسي أخر زعماء الحركة السنوسية ملكًا متوجًا في ليبيا ومع مرور الزمن شرع في تقديم استقالته الأولى عندما تقدم به السن وأراد إسناد الأمر إلى من هوأحق منه وأقدر إلاّ أن إرادة شعبة في بقائه حالت دون ذلك وكانت استقالته الثانية المؤرخة في 4 / 8 / 1969م، الموافق 21 جماد الأول 1389هـ ، والتي قدمها أثناء رحلته الاستشفائيه في تركيا وبعد تغير الأوضاع وإسقاط حكمة لجأ إلى مصر وظل بها إلى أن وافته المنية في 25 مايو1983 م عن عمر يناهز الرابعة والتسعين ، دُفن الملك إدريس رحمه الله تعالى بالمدينة المنورة ، وانطوت صفحة من تاريخ نضال وجهاد برقه والصحراء .



الجهاد في برقه ثورة العرب والضباط المصريين بالصحراء الغربية 1915م [1]

في عام 1913 م وبعد مهادنة تركيا لإيطاليا في برقه دب خلاف بين عزيز بك المصري قائد الجيش التركي هناك وبين العرب المجاهدين وقد جاءته أوامر من الحكومة العثمانية بالانسحاب فشرع منسحبًا بكل ما لدية من قوات وسلاح ناحية الحدود المصرية فلم يرض ذلك الانسحاب المجاهدين فطلبوا منه التخلي عن السلاح وتركه لهم فرفض عزيز بك وكان ذلك بناء على الأوامر الصادرة له من تركيا والتي كانت في صلح مع ايطاليا أبان ذلك الحدث .

فلما يأس العرب المجاهدون من ذلك شرعوا في أخذها عنوه فأرسل السيد/ أحمد الشريف عمر المختار ولكن المجاهدين كانوا قد أطلقوا الرصاص على جنود عزيز بك المصري المنسحب وكان ذلك في منطقة دفنه قرب السلوم فتصدت لهم وتوافدت عليهم جموع العرب من دفنه والبطنان ومع ذلك استطاع عزيز بك الوصول إلى السلوم وفي 16 يوليو1913 م بلغ الإسكندرية ومنها إلى الآستانة .

وبذلك الانسحاب التركي ضاقت الأحوال بالمجاهدين في برقه وأحاطت بهم الصعوبات من كل مكان ورغم ذلك ظل المجاهدون في نضالهم حتى نشوب الحرب الكونية الأولى 1914 م .

شرعت تركيا بالدخول إلى جانب ألمانيا ضد الحلفاء (انجلترا ، فرنسا ، روسيا ، ايطاليا) وبذلك وجدت تركيا أنها في نزاع جديد مع ايطاليا فقررت استئناف النضال مرة أخري في ليبيا ولكن ما دفع الأتراك لذلك في هذه المرة من مؤازرة السنوسيين والمجاهدين في برقه سوى رغبتهم في اتخاذ برقه ميدان

(1) من كتاب أبطال الكفاح الإسلامي المعاصر دكتور محمود دياب طبعة 1978 م

لإرسال جيشًا اعتزموا إعداده لغزوانجلترا على الأراضي المصرية وتحديد حدودها الغربية كما قرروا بالاشتراك مع الألمان إرسال حملة من الشام على قناة السويس وغزومصر من الجهة الشرقية لطرد الانجليز منها .

ورأى الأ تراك أنه لابد لضمان نجاحهم جعلهم ما يقلق انجلترا ويشغلها بأمر الدفاع عن مصر من جهة حدودها الغربية وبذلك تنقسم القوات البريطانية في شرق وغرب الحدود المصرية مما يؤدي إلى ضعف قواتها وجعلها هدفا سهلا لتركيا وألمانيا ومن ثم تم إرسال نوري بك وجعفر العسكري من قبل أنور باشا المكلف من الحكومة العثمانية إلى السيد أحمد الشريف السنوسي يحملان رساله مضمونها يقول أن تركيا قد أعلنت الحرب ضد فرنسا وانجلترا وروسيا في كل مكان ويطلب من السيد الشريف أن يُعلن الحرب ضد الانجليز والزحف إلى مصر.

وفي منطقة مساعد بالقرب من السلوم التقى كل من نوري بك وجعفر العسكري والكونت ماتسمان قائد الجانب الألماني في الشمال الأفريقي بالسيد أحمد الشريف وتم تسليم الرسالة التي كانت تحمل أنباء إعلان الجهاد التركي وتعيين السلطان محمود رشاد للسيد أحمد الشريف السنوسي نائبًا للخليفة في أفريقيا الشمالية والإنعام عليه برتبة الوزارة الأولى ومنحه حق أعطاء النياشين والرتب ومنذ ذلك الحين صارت أوامر السيد أحمد الشريف أمير برقه ومحرراته فيما يتعلق بشمال أفريقيا تصدر إلى جميع النظارات بدار الخلافة مرعية معتبرة في جميع الأوامر الملكية والعسكرية وأرسلت إلى الإدارة السلطانية ليمليها حسبما يظهر له فتأيد بذلك مركز الإمارة في برقه .

وطلبوا منه في مقابل ذلك مهادنة الايطاليين على الأقل هذه الفترة ومشاركة تركيا غزوالأراضي المصرية لمحاربة انجلترا هناك حيث لم يكن هذا رأي السيد ولا المجاهدين في مهادنة عدوهم القديم إيطاليا ومنازلة دولة هي انجلترا لم يكن بينهما حتى ذلك الوقت أي خلاف وحيث لم يكن ذلك يتفق ومصالحهم السياسية والعسكرية ويخشي أحمد الشريف أنه لوأقدم على اختراق الحدود المصرية أن يقع الفشل في صفوف المجاهدين وأن يغلبوا على أمرهم حيث

كانت مصر هي الباب الوحيد الذي تأتي منه الأقوات والمؤن نضف إلى ذلك إن انجلترا لم تغفل في هذه الآونة بالتحديد عن السعي جديًا لحمل السيد أحمد الشريف على التزام الحياد والامتناع عن التدابير العثمانية الألمانية ويبدوذلك من خلال الرسالة التي أرسلها النائب البريطاني في مصر سير مكمهون إلى السيد أحمد الشريف بتاريخ 15 يناير 1915 م ، يؤكد في نصها على العلاقة الودية التي بينه وبين الحكومة المصرية أنها ستظل في عهدة مستمرة .

ومن جانب آخر وساطة المغفور له السلطان حسين كامل بإقناع السيد أحمد الشريف بتجنب القتال والاشتباك معهم ووعد السير الانجليزي إذا التزم الحياد سيكونوا له عونًا للتوفيق بينه وبين ايطاليا فيما بعد.

استطاع العثمانيون تدبير اعتداء السلوم بالصورة التي أرغمت سيسل سنومحافظ الصحراء الغربية وضابط الاستخبارات الانجليزي على الانسحاب إلى مرسى مطروح وإرغام السيد أحمد الشريف وجعله أمام الأمر الواقع باقحامة في تلك المعركة ضد الانجليز والاشتباك معهم داخل الحدود المصرية.

وكان قبل واقعة الهجوم على السلوم أن كل من جعفر ونوري بك تمكّنا دون علم السيد أحمد الشريف من إرسال الضابط وصفي لاحتلال (حطيّة جربه) ضمن الحدود المصرية والذي التقاه اليوزباشي محمد صالح حرب لإقناعه بالانسحاب وأجابه الأول بالرفض إلّا إذا أتته أوامر قاطعة من السيد أحمد الشريف.

وعندما فشلت جهود نوري وجعفر مع السيد أحمد الشريف بدأوا في الضغط عليه من نواحي أخرى حيث أقنعا السيد محمد هلال السنوسي بنزوله في زاوية سيدي براني وتحريض السنوسيين من القبائل هناك على الثورة ضد الانجليز وكان كل ذلك يجري دون علم السيد أحمد الشريف حيث قدم إليهم اليوزباشي محمد صالح حرب واقنع السيد هلال بعدم الاستمرار في ذلك وإن ليس من مصلحتهم التورط في مثل هذه الحرب .

كما استطاعا من ناحية أخرى أن يوصلا رسالة إلى سيسل سنوتخبره بأن

السيد أحمد الشريف قد عزم واتفق مع الأتراك بالهجوم عليهم وازداد قلق الانجليز في مرسى مطروح وذلك بعد الهجوم على السلوم التي انسحب منها الانجليز وغادر كل من سيسل والضابط رويال بك حيث حملتهم الطوافة عبد المنعم من السلوم إلى مرسى مطروح ولم يكن السيد أحمد الشريف علي علم بتلك الأحداث فلما وصله الخبر أضطرب وأرسل رسله لمقابلة سيسل والذي رحل قبل وصولهم إليه ليعلموه أن السيد أحمد الشريف كان مخالفًا لنوري بك لهجومه على السلوم الأمر الذي أقحم السيد لدخول المعركة والذي لم يجد مفرًا من ذلك فبعد استشارته لمن يليه من السنوسية والمجاهدين عزموا جميعًا على مشاركة تركيا والدخول في حرب ضد انجلترا وكان السيد أحمد الشريف يرى أنه ليس الوقت المناسب سياسيًا لخوض مثل تلك الحرب .

أرسل السيد قوة لاحتلال سيوه بقيادة اللواء وصفي باشا الطرابلسي فتم له ذلك وأما السيد نفسه فقد توجه في أربعة آلاف مقاتل معه نوري بك وجعفر العسكري فاخترقوا الحدود وتقهقرت قوة الانجليز وتقدم السيد وأحتل براني وبلغوا في زحفهم زاوية أم الرخم غرب مرسى مطروح وهناك توجه إليهم الجيش الانجليزي في ثلاثين ألف من مشاه وفرسان إلى جانب عدد كبير من المدافع والعربات .

وفي هذه الأثناء في مرسى مطروح بدأ إخلاء المنطقة من جميع الغرباء والقاطنين بها كالايطاليين واليونانيين والاستيلاء على المتاجر الموجودة بها لحساب الجيش بعد تقدير أثمانها وكان ذلك تمهيدًا لجعل مرسى مطروح مركزًا للعمليات العسكرية .

اللواء صالح حرب يعلن الثورة في الصحراء الغربيه . .

وبدأ مع اليوم التالي نزول القوات البريطانيه إلى سواحل المدينة وإعداد العدة والتأهب لملاقاة الأتراك وحلفائهم السنوسيين والمجاهدين العرب وكان في وسط هذه الظروف اليوزباشي صالح حرب الحاكم العسكري

للمنطقة آنذاك قد بدا يشرع جديًا في الانضمام للمجاهدين وإعلان انفصاله عن الانجليز يدفعه في ذلك الواجب الوطني وشعوره العميق بالعزة والكرامة الوطنية في الوقت الذي أعلنت فيه بريطانيا الحماية على مصر وبالرغم من معرفة القومندان صالح حرب بضعف الإمكانات العسكرية للعدد والذخائر لدي المجاهدين العرب وعامل اليأس في نجاح حركة العثمانيين هذه إلا أن دافع الوطنية كان اشد واقوى لإعلان الجهاد وتحريك (عربان أولاد علي) المنتشرين على الحدود والذين اعتمد عليهم صالح حرب واستمالهم إلى الثورة ضد انجلترا فلبوا النداء على الفور ودون تردد .

فاتخذ قراره بإعلان الثورة في تلك الليلة من 25 أو26 نوفمبر 1915م وبدأ بتجميع زملائه من الضباط المصريين هناك والذين شاركوه نفس الفكرة وعاهدوا على المضي معه والانضمام إلى الأتراك وجهادهم ضد الانجليز قائلين أن من الكرامة والشرف أن ننضم إلى إخواننا العرب وإعلان الجهاد ضد المستعمر الانجليزي ولا أن يصف العالم مصر بأنها هي من أعانت مستعمريها على قتال مخلصيها والساعين إلى تحريرها .

وكما وصف ذلك صالح حرب في مذكراته لقول الشاعر :

واعـرقُ خلق اللهِ في الـذل أمة ∴ تَرى من بينها للذي سَامَها جُندًا

وكتب رحمه الله ذاكرًا (أنهم أعدائنا) ....

هذه العبارة هي هي التي جالت في خاطري وأنا شاب حينذاك تغلي مراجل الغضب بين جوانحي وتؤجج الحقد في قلبي سعيرًا فتمشي الحماسة في كل شعرة في جسدي وهانت الدنيا ورخص الشباب وعوده الأخضر ويشهد أخواني من الضباط المصريين الذين على قيد الحياة والذين عملوا معي أنني ما تملقت يومًا انجليزيًا وما مسّ أحد منهم كرامتي من بعيد أو من قريب فكانت نظرتهم إلى عملي نظرة تقدير واحترام ويقولون أن مستقبلاً ملحوظاً ينتظرني فأنا المصري الذي بالغوا في تقديره لم أتردد في الخروج عليهم ما مكنتني الفرصة فإذا قدر

أن ثورتنا لم يكتب لها النجاح الذي نرجوه فأكون على الأقل قد أنقذت سمعة مصر وشرف الجندية المصرية وأكون قد نزعت من عقول الانجليز ما يشيعونه هنا وهناك من أن مصر قد اطمأنت لما هي فيه وأن وطنية أهلها لا تتعدي الكتابة والكلام وحماسة الخطباء .

ومن هنا بدأ القومندان (محمد صالح حرب) السعي دائبًا على ألا يضيع الوقت في تنفيذ خطته في هذا الأمر .

ويذكر العميد (محمود عبد الواحد علي) في مذكراته والذي كان ملازما ثان أبان تلك الأحداث من عام 1915م ، قال : انصرفنا بعد اجتماعنا مع الأميرا لاي اسنوبك والذي كان ينبه علينا بما يجب عمله في حال إعلان الحرب على تركيا إلى منزل اليوزباشي محمد أفندي صالح حرب وبعد تناول الغداء قال اليوزباشي محمد : إخواني الضباط لقد سمعتم ما قاله الأمير لأي اسنوبك وسأبوح لكم بسري وأرجوا أن تحافظوا عليه ولا تبيحوا به لمخلوق فقد عزمت بمشيئة الله على الانضمام للجيش التركي حينما تحين الفرصة لي فمن كان منكم على الاستعداد للانضمام أن يبادر عندما تحين له الفرصة من قسمه بدون انتظار الآخرين .

فقلنا جميعًا نحن على أتم استعداد في الوقت اللاّزم واقسمنا على كتاب الله وتعاهدنا على الانضمام إلى الجيش الليبي والتركي عندما تعلن تركيا الحرب .

في يوم 12 / 11 / 1915م بدأ الضباط المصريون بالانضمام إلى الجيش التركي بالسلوم فكان ملازم أول محمود لبيب وفي يوم 13/ 11 أنضم الملازم ثان إبراهيم علي عوض وفي 14 / 11 طلب القومندان محمد صالح حرب مني الحضور إليه ووجدت عنده الملازم أول عبد الحميد حمدي ولقد أمرني باصطحاب الكاتب محمد أفندي كاتب مركز مطروح وعمل جرد للخزينة وتحايل عليه لأخذ المفتاح منه وأمر الجميع بالمبيت بالطابية البحيرة لاحتمال وقوع هجوم على القسم ليلا وقد نفذت ذلك .

وعند الساعة الثانية مساءً صدر الأمر لنا بالرحيل والانتظار شرق القسم ناحية (تين عطيوة) فانتظرنا هناك وحضر إلينا القومندان صالح حرب الذي انشغل في ضيافة واستقبال الضباط الانجليز الذين وصلوا من السلوم وبراني بعد سيطرة الترك عليها وأمرنا بالبقاء في مكاننا وانتظاره حتى يعود فذهب على حصانة بمفردة ثم عاد ومعه الشيخ فرج بوزهيويق عمدة مطروح على حصان أخر .

وبدأت حركة المسير من تلك النقطة إلى جهة الغرب وكلما مروا على نجع من نجوع العرب سارعوا لمقابلتهم والانضمام إليهم حتى وصلنا إلى نجع (العاصي من قبائل القناشات أولاد علي) .

صالح حرب ودعوته إلى الجهاد ناحية نجع العاصي ..

كتب صالح حرب في مذكراته قائلاً : (لو كنتُ بوابًا على باب الجنَة – لقلتُ لآل العاصي ادخلوا بسلام).

يقول طرقناهم في الليل البهيم فهبّوا كرامًا وعلى رأسهم (حميده العاصي وحسين العاصي) فرحبوا بمقدمنا أي ترحيب وطربوا أي طرب عندما علموا وجهتنا وفي الحال نحرت الذبائح وزغردت النساء ومضت الليلة دون أن تغمض لنا عين وطيروا الخبر بالخيل غربًا وشمالاً وجنوبًا .

وفي اليوم التالي منذ الصباح يقول : جمعت ضباط الصف والعساكر الهجانه ولا علم لأحد منهم بما قد عزمنا عليه ولكن قدر بعضهم ما كتمنا عندما رأوا خروج العمدة واستقبال العرب وجموع القبائل والتي قدم بعضها قبل أن يطلع الفجر بمجرد أن وصلهم النذير .

ويقول وقفتُ فيهم وقلتُ ما قلتُ : لقد عملنا معًا زمنًا طويلاً وكنتم مثلاً طيبًا في أداء واجبكم على الوجه الأكمل وكنتم قدوة حسنة للمستجدين وذكرى جميلة بين الأهالي في الصحراء الغربية وفخرًا لسلاحكم .....

والآن أيريد أن أطلعكم على ما نويته لقد خرجت من مطروح وتركت

مركزي واستغنيت عن وظيفتي واخترت في سبيل الله وبلادي الدار الاخرة على الدار الفانية ..... وها أنا ألان لا أدري إن كانت ستغرب شمس هذا اليوم وأنا حي أم لا .....

وقد رأيتم كيف امتلأ المكان بالرجال ولم تمض إلا ساعات قليلة فجزاكم الله خيرًا فأنتم من هذه الساعة أحرار في العودة إلى دياركم أو البقاء .....

فما كان من هؤلاء الرجال إلا أن قالوا نعيش معك أو نموت معك وأهلنا في وداعة خالقهم .

فلم يسعني إلا أن أصافحهم مصافحة البيعة على المنشط والمكره في سبيل الله والوطن .

وكان أول ما فكر فيه القومندان صالح حرب والمجاهدون هوأن يقيما وبسرعة كمينا يعوق حركة الانجليز لأنهم بلا شك سيقتفون الأثر خلفهم وقد تم ذلك فعملوا على إبقاء قوة من المجاهدين في منطقة (وادي ماجد) غرب مرسى مطروح .

ومن اليوم التالي عندما اكتشف الانجليز أمر خروج الضباط المصريين والقبائل عليهم جن جنونهم واقترح الأميرالاي سنوبقيام قوة من الفرسان لتتعقب الثوار ومن شدة حمقه وحقده خرج بنفسه على رأس هذه الحملة فإذا بهم قد وقعوا بالكمين الذي فاجئهم وكانت خسائرهم كبيرة ، وكان الأميرالاي سنو أحد القتلى في هذه المعركة وارتدوا على أعقابهم خائبين .

وخرجنا من دار العاصي التي ازدحمت بالذين هبوا للجهاد وبمجرد أن سمعوا الدعوة واتجهنا إلى الغرب وكان معي من الهجانه وبعض العمد والمشايخ وشيوخ الزوايا السنوسية وزعماء القبائل قاصدين سيدي براني لمقابلة جعفر بك قائد الفرقة التركية القابعة في براني وكان قد بلغنا ونحن بدور العاصي وملأ قلوبنا حزنًا أن بعض القادمين مع القوة التركية وكانوا خليطا من القبائل لا يمت إلى قبيلة بذاتها من قبائل الحرابي ببرقه ولا هى من الكتائب النظامية

التي جهزها الأتراك وكان لا يعصمهم عاصم من ضبط وربط ولا يردهم عن الشر زاجر فقد جردوا قوة الهجانه التي في قسم براني من سلاحهم وأخذوا هجنهم ومتاعهم كما انتشروا في (نجوع عرب أولاد علي) ينهبون ويسلبون ويبثون الرعب مما أقلق خاطري .

فلما أشرفنا علي سيدي براني رأينا مجموعه من رجال جعفر منتشرين هنا وهناك قد تحفزوا للقتال ظنًا منهم بأننا قوة انجليزية فتقدم من كان معي من مشايخ العرب فلوحوا لهم بأحرمتهم فاطمئنوا ولما عرفوا من نحن وما ورائنا فرحوا بنا فرحًا شديدًا وانطلقنا لمقابلة جعفر في القشلاق حيث طار إليه خبر وصولنا فوجدناه في استقبالنا ومعه ضباطه وجنوده واحتضنني في لهفة وشوق وترحيب.

ولكن ذلك لم يُنسني مرارة ما انطوى عليه قلبي وآلم نفسي بسبب ما أصاب الهجانه وعرب أولاد علي من إهانه واعتداء على أيدي رجاله العابثين .

وشدد القومندان صالح حرب الكلام وغلظه في ذلك وذكر له أنه في حرب مع الانجليز لا مع العرب. والعجيب في الأمر أن جعفر باشا أقسم له بشرفه العسكري أنه لم يكن على علم بذلك أبدًا فأبدي أسفه الشديد واعتذاره من ذلك وأمر بإعادة كل ما تم نهبه وسلبه .

ومن ثم بدأ جعفر يسرد للقومندان صالح حرب أن ما هم عليه الآن خارج عن رغبة السيد أحمد الشريف السنوسي الذي يرى فشلهم في ذلك وأنهم من الخطأ في هذا الوقت الخوض في معركة تجعلهم وانجلترا خصوما وانه بذلك يخشى أن يأمر الأمير أحمد الشريف بالقبض على نوري بك في السلوم ويفسد بذلك كل ما بذلناه من مجهود حتى نصل الى ما نحن عليه الآن .

والتمس في ذلك الرجاء من القومندان صالح حرب أن يذهب إلى الأمير أحمد الشريف ويقنعه بالعدول عن فكرته وأن يخوض معهم غمار الثورة في الصحراء الغربية .

قال قمتُ ومعي الهجانه وكثير من عمد ومشايخ أولاد علي وزعمائهم

ومشايخ الزوايا ميمها شطر السلوم بعد أن اطمأننت وخلفت ورائي من يكتب لي كل يوم ولم أقف حتى وصلت (بقبق) لنستريح وما نزلنا حتى وصلت الكتائب النظامية التركية بقيادة كل من اليوزباشي أمين وغالب حيث سألتهم عن الحالة العامة بالسلوم فقالوا ليست على مايرام .. بطالة خالص خالص.

وكلنا ننتظر قدومك لتصلح ما بين السيد أحمد الشريف ونوري بك وإلا ستفقد الحركة روحها إذا أصر الأمير أحمد الشريف على عدم دخوله المعركة واتجاهه إلى الغرب كما أن الجيش كان بلا مؤونه ولا عتاد حتى اضطررنا أن نعطي كل ما معنا من أقوات ، وما وصلنا السلوم حتى أرسلنا إلى السيد الإمام أحمد الشريف وأخبرناه عن وصولنا ومن الغد سنكون بمعسكره (بمساعد) فكان استقباله لنا استقبالاً عظيماً لا يُنسى وكل من شهد هذا اللقاء وبعضهم ما زال على قيد الحياة لا يزال يتذكر هذا جيدا .

فرح بنا السيد بالرغم من غضبة الشديد على العبث الذي يدور من حوله والذي سيسوقه إلى كوارث تحيق بجيشه من القبائل ويذهب ضحيتها رجال أبطال لا ليحققوا غاية ولا ليصلوا لهدف ولكن ليقال عن نوري وجعفر أنهما قاما بحركة وهما يعلمان أنها حركة مذبوحة لأنهما لم يعدا لها أي عده .

وما استرحنا حتى طلبني الأمير أحمد الشريف وبعد الترحيب تكلم والأسي عليه قائلا :

أرأيت كيف لعب بي هؤلاء ، ثم أرأيت إلى أي مصير يسوقنا وماذا تكون نتيجة هذا الجنون وما أوصلونا إليه .

فسألته هل حصل ما حصل دون علمه وبغير مشورته ؟ ، قال: لم أعلم بشئ أبدًا حتى قيل لي أن الطوافة عبد المنعم أقلعت بجميع الضباط الانجليز والقوة المصرية التي كانت في قشلاق السلوم .....

وبدأ يروي ويقص ما حدث من جعفر ونوري وكيف أوصلوهم إلى ما هم عليه ألان حتى وصل بقوله أرأيت هذه المهزلة التي كانت خاتمة المهازل التي قام بها هؤلاء الضالون المضلون وحسبي الله ونعم الوكيل وانظر إلى أي بلاء جرونا

إليه دون أن يحققوا لدولتهم غاية أو يتقوا الله في أبناء هذا الوطن الذين أصبحوا بين عدوين من خلفهم عدوهو الطليان ومن أمامهم عدوهو الانجليز ولكني عزمتُ ألّا أطاوعهم ولا انقاد إلى عبثهم وسوف أرسل إلى المجاهدين الذين ساقوهم معهم وخدعوهم في الحدود المصرية بالعودة وإلا فهم عصاه .

قال : ولما أنتهى السيد من ذلك قال لي:وأنت ما الذي جاء بك في هذه الظروف؟ قلتُ له : أسمع مني يا سيدي أظن سيادتك تعرف أني الوحيد من المصريين الذين يعرفون حقيقة حالكم وما أنتم عليه .

فقال : نعم نعم لا شك في ذلك . ثم قلت : وأعلم حالة الانجليز ودرجة استعدادهم لمحاربتكم بعد أن بذلوا ما بذلوا ليتجنبوا ذلك أن من يعرف كل هذا لا يخاطر هذه المخاطرة ويأتي إليكم إلا لضرورة تدعوه وتهون معها كل المخاطر.

دعني يا سيدي أتكلم عن الوضع الذي أصبح فيه شخصكم فأني لا أزيدك علماً سيدي إذا قلتُ أن العالم الإسلامي كله ينظر إليكم اليوم نظرة إجلال وإكبار بعد مواقفكم الخالدة وجهادكم المرير ضد ايطاليا وما أظهرتموه من بطولات خارقة وإيمان عريق أذهل الأعداء وأثلج صدور المؤمنين ....

وأظنكم تعلمون علم اليقين أن مصر في مقدمة المحبين والمقدرين والمعجبين بكم وأن على أيديكم سيكون نصر المسلمين وكما لا يخفي أن مصر ساهمت بالنصيب الوافر في نجاح الحرب في برقه .

قال : ومن ينكر هذا والله لا ينكر ذلك إلا كافر وهل كنا نستطيع شيئًا لو لا نجدة مصر ؟.

قلت : وعلى ذلك فإنها تنتظر المساهمة الجدية في إنهاء الاحتلال وتخليصها من هذا البلاء فمصر على بكرة أبيها تنتظر الفرج من الشرق بجيش على رأسه الخديوي ومن الغرب بقدوم جيش أنتم على رأسه ويقوي هذا الأمل ويضاعفه تلك البطولة التي تجلت في كفاح عرب برقه ضد ايطاليا في المصريين نارًا تنتظر موقدًا وحقدًا مرًا ضد الانجليز ليخرجوا ويساهموا مع جيش الشرق والغرب

في ثورة داخلية تربك الانجليز فهي تعد الأيام مترقبة هذا اليوم الذي ينفجر فيه مراجلها وتثار فيه لعزتها وكرامتها وحريتها من احتلال طال أمده وثقل حملة.

فمصر يا سيدي التي يحدوها الأمل ويحفزها الرجاء لا تعرف قليلاً ولا كثيرًا مما أنتم فيه من سوء حال وعبث العابثين ولا تعرف إلا أن خليفة المسلمين ودولته العلية لا يغفل عن الحث لاستكمال الاستعداد لشن حربها ضد انجلترا بإرسال الضباط والجنود وأن الغواصات الألمانية الحليفة لا ينقطع مددها لجيشكم بالسلاح والعتاد والمؤن فهذه هي الدعاية التي نسجت في خيال وعقول المصريين المتحمسين ليوم القتال .

فإذا جئت أنت اليوم سيدي ووقفت موقف المعارض لهذا الهجوم والمانع له والمتحدي فكيف سيكون موقفكم أمام كل تلك الدعاية التي بلا شك سيظهرونكم أمام العالمين بموالاتكم للانجليز والسعي لفشل الهجوم وخذلان مصر .

وأختتم صالح حرب في مذكراته هذه قائلاً للأمير أحمد الشريف :

هذا ما أردتُ أن أوضحه لكم لتروا رأيكم فيه والله قادر على أن يلبسهم ثوب الخزي الذي نسجته أيديهم وأن يطهركم تطهيرا .... ويشهد العالم وتشهد مصر أنكم لم تقصروا في سبيلها وأنتم رغم الحرمان الشامل والعجز القاتل بذلتم ما فوق الطاقة وحاربتم بالإيمان الصادق واليقين الثابت وسالت دماء عرب برقه طاهرة زكية على أرض مصر ، وفاء لحقها واعترافا بفضلها ومساهمة في خلاصها .

فصمتَ السيد الإمام وطال صمته ثم رفع رأسه وقال اللّهم لا حول ولا قوة إلا بك والأمر إليك .... وأملي الأمير شروطه وقمنا بإدخال نوري بك إلى السيد الإمام وقبل رأسه ويديه وركبتيه وأعتذر بكل كلمة عربية يعرفها وما كان من السيد إلا أن قال عفا الله عما سلف ، ونسأل الله أن يتقبل جهادنا وأن يكون في سبيله وفي مرضاته وغدًا إن شاء الله نتوكل على الله ونبدأ حركتنا .

ويبدي أخيرًا القومندان صالح حرب سروره بهذه النتيجة ودوت زغاريد

النساء وفرح المجاهدون واشتغل كل منهم بتجهيز نفسه وفي الصباح الباكر وبعد الصلاة جماعة والدعاء والتوسل قال: يممنا شطر الحدود المصرية لنلقي العدو ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ (محمد:7) وبسم الله والله أكبر فقد بدأت الحرب في سبيل الله ومصر .

ويذكر في آخر حديثه من مذكراته رحمه الله مخاطبًا جعفر ونوري بك معاتبًا إياهما على أن ما أقدما عليه كان لا يرضاه الله ولا الضمير العسكري وأنها كارثة ستؤدي بهؤلاء المجاهدين إلى حتفهم

والذين يذكر أن بلادهم أحوج ما تكون إلى كل قطرة من دمائهم التي ستسيل على أرض مصر دون أن تحقق شي يذكر حيث قال :

وأنا قادم ومعي من معي من جنود مصر وزعماء قبائلها وأنا أعلم أني قادم لأشترك في الموت مع هؤلاء الذين تسوقنهم إلى الذبح ومن خلفي آلاف من (أولاد علي والمرابطين) وكلهم مستعد لأن يموت أيضًا مع هؤلاء وهم لا يملكون شي من السلاح .

ويذكر أنه سيسأل القراء كيف استطاع الجيش السنوسي أن يحارب بغير تموين ولا عدة .

فقال: وجد الجيش السنوسي الباسل وأقول الباسل بحق الجيش الذي كان صورة صادقة ناطقة لما قرأناه عن المجاهدين في الصدر الأول من الإسلام الذين جاهدوا لحماية العقيدة من أعدائها وفتحوا ما فتحوا الجيش الذي وصف رجالة حينذاك بأنهم يرغبون في الموت رغبة أعدائهم في الحياة هم هؤلاء المجاهدين من قبائل برقه والذين امتحنوا الصبر ولم يمتحنهم وآمن بهم الإيمان بعد أن آمنوا به فرضي الله عن شهدائهم وأجزل الثواب للأحياء منهم .

قد وجد تموينهم بعد أن اتفق وعرب أولاد علي والمرابطين على أن يقدموا ما يلزم لتموينهم بطريقة منظمة بحيث يبقي لديهم ما يلزمهم من التقاوي وأن تعطى لهم إيصالات بقيمة ما يؤخذ منهم للمحاسبة عليه في المستقبل وقد تم

ذلك بالفعل ولكن العرب الكرام رفضوا في إباء أن يأخذوا مقابل لما يقدمونه من تقاوي أو ماشية وقالوا هذا حق الله نقدمه لأبناء عمومتنا المجاهدين الذين جاءوا لنصرتنا ما داموا في أرض مصر وسنحارب معًا ونقتسم اللقمة الواحدة والله لا نأخذ إيصالاً على ما نقدمه في سبيل الله والوطن ومن باع نفسه في سبيلها لا يبخل بعرض الدنيا الفانيه .

ويقول اللواء صالح حرب في خاتمة مذكراته : هؤلاء الآماجد هم عمد ومشايخ وشيوخ زوايا وزعماء القبائل وعقلائها قد قبض الانجليز على كثير منهم بعد معركة العقاقير وحاكموهم وحكم عليهم بالأشغال الشاقة لاشتراكهم في الحرب وزجوا في ليماني طره ، وأبي زعبل مكبلين بالأغلال ولم يرحموا حتى الشيوخ منهم ولكنهم صبروا صبر الكرام على الاذى والأشغال الشاقة ولم يخرجهم من العذاب إلا صدور العفوالشامل في سنة 1923م .

هؤلاء هم الجنود المجهولون الذين لا تعرف مصر عنهم شيئًا والذين جاهدوا في الله والوطن حق الجهاد ونزل بهم ما نزل فلم يضجوا مما أصابهم كما لم يباهوا ولم يفاخروا ولم يقولوا قدّمنا وبذلنا وضحينا وخسرنا بل سكتوا سكوت المؤمنين راضين مطمئنين لرضاء الله عنهم واحتسبوا كل ما فعلوا عند ربِّ العالمين وهكذا يكون الجهاد في الله ولله وفي الوطن وللوطن ونعم أجر الصابرين [1] .

كشف بأسماء الضباط والعسكريين والملكيين ورتبهم يوم انضمامهم والجهات التي كانوا يعملون بها والجهات التي الحقوا بها بعد عودتهم .. [2]

1 - يوزباشي محمد صالح حرب :

القسم الذي كان يعمل به مرسي مطروح – عاد لمصر وانتخب مرتين بمجلس النواب ثم عين وكيل لمصلحة السجون ومديرًا لمصلحة السواحل

(1) من كتاب أبطال الكفاح الإسلامي المعاصر للدكتور : محمود دياب الطبعة الأولي 1978 ومن واقع مذكرات اللواء صالح حرب والعميد محمود عبد الواحد علي .

(2) قوائم الأسماء المذكورة مأخوذه من مذكرات العميد محمود عبد الواحد علي من كتاب الكفاح الإسلامي للدكتور محمود دياب، ومذكرات العمدة راغب الدر بالي الجميعي نقلاً عن أ/ خير الله فضل عطيوة .

ثم وزيرًا للحربية ثم رئيسًا لجمعية الشبان المسلمين – تاريخ الانضمام 25/ 11 / 1915م .

2 - **ملازم أول عبد الحليم حمدي :**

القسم الذي كان يعمل به مرسى مطروح – استشهد بالزاوية الغربية بطرابلس 1917م .

3 - **ملازم ثان محمود عبد الواحد علي :**

القسم الذي كان يعمل به مرسى مطروح – عاد للخدمة بمصلحة خفر السواحل ورقي لرتبة عميد وأنضم في 25 / 11 / 1915م .

4 - **كاتب عثمان الدرعي :**

القسم الذي كان يعمل به مرسى مطروح – أعيد للخدمة بمصلحة الحدود أنضم في 25/ 11 / 1915م .

5 - **ملازم أول محمود لبيب :**

القسم الذي كان يعمل به السلوم – أعيد للخدمة بمصلحة خفر السواحل واستعفى بعد ذلك برتبة صاغ أنضم في 22 / 11 / 1915م .

6 - **عبد الرحمن عزام :**

القسم الذي كان يعمل به مصر – عاد وانتخب بمجلس النواب ثلاث مرات ثم وزيرا ثم أمين عام للجامعة العربية أنضم في 1916م .

7 - **ملازم ثان إبراهيم علي عوض :**

قسم السلوم – استشهد في اورفله مع المرحوم رمضان الشتيوي يوم العيد الأكبر سنه 1341 هـ.

8 - **يوزباشي بحري ابوزيد مقلد :**

قسم سيدي براني– أعيد للخدمة واستعفي بعد ذلك انضم في23 / 11 / 1915م.

9 - **ملازم أول أمين ذهني :**

قسم سيدي براني - عاد وعين بمصلحة السواحل وصل إلى رتبة أميرالاي أنضم في 23 / 11 / 1915م .

10 - **ملازم أول محمد حمدي :**

قسم سيدي براني - أعيد لمصلحة الحدود أنضم 23 / 11 / 1915م .

11 - **صول عبد الله سعيد :**

قسم سيدي براني - أعيد للخدمة السواحل 23 / 11 / 1915م.

12 - **ملازم أول أحمد محمد منصور :**

قسم سيوه - عاد والحق بالحدود ثم السواحل ورقي حتى رتبة أميرالاي أنضم في 22 / 11 1915م .

13 - **ملازم أول أحمد محمد سالم :**

قسم سيوه -استشهد بين واحة الفرافرة والواحة البحرية (تائها في الصحراء)

14 - **دكتور محمود محمد عبد الله :**

قسم سيوه - عاد من ليبيا سنة 1919م وأعيد إلى الخدمة بوزارة الصحة انضم في 22 / 11 / 1915م .

15 - **كاتب المحكمة الشرعية مصطفي البهي :**

قسم سيوه - أعيد للخدمة بوزارة العدل أنضم في 22 / 11 / 1915م.

16 - **كاتب مركز سيوه السيد أحمد حسن :**

قسم سيوه - عاد للخدمة بالسواحل ثم عين عمدة لبلدته أنضم في 22 / 11 / 1915م .

17 - **كاتب بمركز سيوه بطرس ميخائيل :**

قسم سيوه – أعيد للخدمة بالسواحل ثم عين عمدة لبلدته انضم في 22 / 11 / 1915م .

18 - **يوزباشي سيد أحمد أبوشادي :**

قسم الضبعه – عاد وأحيل إلى المعاش أنضم 27 / 11 / 1915م .

19 - **دكتور السيد دسوقي :**

كان يعمل بتركيا قبل الانضمام – استشهد بوادي زمزم اغتيالا 1918م .

20 - **مأمور الواحات الداخلة إبراهيم زكي :**

قسم الواحات الداخلة – عاد بتاريخ 1916م.

21 - **ملازم أول عبد القادر طراف :**

قسم مرسى مطروح – استشهد في وادي زمزم غدرا 1918م .

22 - **دكتور إبراهيم زكي :**

قسم الواحات الداخلة – أنضم في 1916م.

أسماء بعض المجاهدين البدو أولاد علي والمرابطين في الصحراء الغربيه...

1 – المجاهد / حسين جبريل العاصي القناشي .

2 – المجاهد / فرج زهيويق العزومي.

3 – المجاهد / حميدة عطيوة العلواني الفردي.

4 – المجاهد / ختال العلواني الفردي.

5 – المجاهد / محمد يونس الدر بالي الجميعي.

6 – المجاهد / علي حسين جبريل العاصي .

7 – المجاهد / عوض خميس السنقرى .

8 – المجاهد / مطرود بساط المحفوظي .

9 – المجاهد / محمد بوالعروية المحفوظي .

10 – المجاهد / أبوزريق العشيبي .

11 – المجاهد / عبد العزيز الطيب العميرى.

12 – المجاهد / قويه رحومه السهالوسي.

13 – المجاهد / مرايف بووذن الجميعي.

14– المجاهد / علي رحيم المالكي .

15– المجاهد / لوجلي اسحنون القطيفي .

16– المجاهد / عبد السلام جبريل العاصي .

17– المجاهد / عرابي ختال الفردي .

18– المجاهد / محمد الملاح .

19– المجاهد / عوض الملاح .

20– المجاهد / فرج هارون لامين .

21– المجاهد / عيسي بكار العميري .

22– المجاهد / إبراهيم زعلوك الجميعي .

23– المجاهد / العمدة سعيد الحفيان .

24– المجاهد / شوشان عبد السلام القناشي .

25– المجاهد / الخرم بوشناف الفردي .

26– المجاهد / علي بوحنيفيره العوامي .

الباب الثاني

الأنساب

فضل علم النسب

قال أبو الفوز البغدادي في سبائك الذهب :

المعرفة بعلم الأنساب من الأمور المطلوبة والمعارف المندوبة لما يتوقف عليها من الأحكام الشرعية والمعالم الدينية وقد وردت في الشريعة المطهرة مواضع منها العلم بنسب النبي (ﷺ) أنّه النبي القرشي الهاشمي الذي بمكة وهاجر منها إلى المدينة فإنه لابدّ لصحة الإيمان من معرفة ذلك ولا يُعذر مسلم في الجهل به وناهيك بذلك ومنها التعارف بين الناس حتى لا ينتهي أحد إلى غير أبائه ولا ينتسب إلى سوى أجداده .

وعلى هذا يترتب أحكام الورثة فيحجب بعضهم بعضًا ، وأحكام الأولياء في النكاح فيقدم بعضهم على بعض ، وأحكام الوقف إذا خص الواقف بعض الأقارب أو بعض الطبقات دون بعض ، وأحكام العاقلة في الدية حتى يضرب الدية على بعض العصبات دون بعض وما يجري في مجرى ذلك .

فلولا معرفة الأنساب لفات أدراك هذه الأمور وتعذر الوصول إليها .

وقد ورد في الصحيح أن النّبي (ﷺ) قال : تُنكح المرأة لأربع لدينها وحسبها ومالها وجمالها . فراعى النبي (ﷺ) في المرأة المنكوحة الحسب وهوالشرف في الآباء .

وقد ذهب كثير من الأئمة والفقهاء كالبخاري وابن إسحاق والطبري إلى جواز الرفع في الأنساب احتجاجًا بعمل السلف فقد كان أبوبكر (رضي الله عنه) في علم النسب بالمقام الأرفع والجانب الأعلى [1] .

قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾ ﴾ الحجرات : 13 .

ولا تحسبُ الأنسابَ تُنجيك من لّظى .·. ولوكُنْتَ من قيس وعبد مُدان
أبولهب في النَّارِ وهوابنُ هاشم .·. وسلمانُ في الفردَوسِ من خَرُاسانَ

(1) من كتاب سبائك الذهب لأبي الفوز البغدادي .

الفصل الأول

بحث وفائدة في ذِكْر شيخ عرب برقه (ذؤيب المُكَنّى بأبي الليل) وصحة نسبه من واقع التاريخ . .

استقرت قبائل بنوسليم كما ذكرنا في باب التاريخ والسياسية حيث صارت عوف من بين قابس (تونس) وبلد العُنّاب (الجزائر) وكان يليها إلى الشرق دباب وزغب بين قابس وبرقه ويليهم شرقًا بنوهيب من بئر السد رة إلى العقبة الكبرى إلى حدود الإسكندرية .

هكذا كان الواقع الجغرافي لهذه القبائل كما ذكرها المؤرخون عبر التاريخ والتي ينتمي إليها قبائل برقه إلى هذا العهد.

وقد أجمع الكُتّاب والمؤلفون في هذا المجال على أنّه لقبائل برقه جدٌ أعلى يرتفع النسب إليه وهو(الذئب أبوالليل) واننى أقول الكتّاب والمؤلفين لا الباحثين لأن هؤلاء إنما ينقلون ما كُتب أو نُقل إليهم أو ما وصلهم كتابة أو مشافهة على ألسنة العامة وإليهم يرجع الفضل في لملمة هذا التراث الذي ظل متناثرًا ومتفرقاً فعملوا على جمعه من صدور الناس وأخرجوه من بين أسطر تلك الكتب التي ظل حبيسها لقرون طويلة .

وهنا يقف الباحثون في هذا المجال عن عدم قبول ارتفاع نسب قبائل برقه الذين هم من بطن هيب بن سليم الذي يقطن المنطقة القابعة بين اجدابيه حتى تخوم البحيرة إلى هذا الجد المُكَنّى بأبي الليل ولهم في ذلك أسباب عديدة وهي ببساطة منها التالي :

أولاً : ذكر بن خلدون لبني سليم أربعة بطون وهي (عوف ، دباب ، زغب، هيب) وذكر فيهم ذئبين أحدهما من بني عوف وهوالمكنى بالذئب أبي الليل وكانت له السيادة في قومه حيث قال بن خلدون وغيره (وقد نازع أحمد بني

شيخه رياستهم الكعوب وتابعة في ذلك أبنه أبوالفضل ثم من بعده أخوه أبوالليل إلى أن أستبدّ أبوالليل برياسته في الكعوب فرياستهم لهذا العهد في ذئاب أبي الليل بن أحمد بن كعب بن عوف) وهم بين قابس (تونس) وبلد العناب (الجزائر) حاليًا .

والآخر من بني هيب الذين يقطنون في برقه قرابة ذلك الزمن والعصر حيث ذكر بن خلدون بعد الذئاب المكنى بأبي الليل والذي هو من عوف ذؤيب آخر لكن بدون كُنية وهوفي بني هيب من أهل برقه حيث قال : (برقه خلاء لاستيلاء الخراب على أمصارها وقراها من دولة صنهاجه فخربت وانتقض العمران وصار معاش الأكثر فيها للعرب المواطنين ..... وتسمي بلادهم برنيق [1].... وشيخ هؤلاء العرب ببرقه يعرف لهذا العهد بأبي ذئب من بني جعفر) .

ومن هذا يتضح لنا أن هناك سيدين لقومين مختلفين من بني سليم هم عوف وهيب اتفقا في الاسم على أن زعيم بني عوف كان يُكنّى بأبي الليل وأرضهم بعيدة تماما عن برقه وهي قابس إلى بلد العناب إلى الغرب وزعيم بني هيب وهوفي برقه إلى الشرق لا يحمل كُنية أبي الليل فكيف لنا أن نقبل أن تكون زعامة ورئاسة بني هيب في غيرهم إذ تم رفع نسب قبائل برقه الذين هم بطن هيب إلى زعيم هومن بني عوف يقطن على بعد آلاف الأميال منهم إلى الغرب وغفلوا عن ذلك الزعيم والشيخ الذي ذكره بن خلدون والمقريزي وغيرهم صراحة بأبي ذئب من بني جعفر زعيم بني هيب في برقه .

ومن ذلك ليس لنا من بُد إلاّ رفع نسب عرب برقه من هيب بن سليم إلى زعيمهم الحقيقي والمثبت من واقع البحث ذؤيب بني جعفر .

فائدة :

عندما أراد بن خلدون أن يستدل عن صحة نسب ذؤيب بني جعفر سائلاً

---

(1) الاسم القديم لبنغازي وضواحيها .

سلاّم التركية جيرتهم بالعقبة والذي أجابه بأنه من سدوانه أو مسراته احدي بطون هواره لا يعتبر ذلك دليلاً على صحة نسبه ولي في ذلك دليل حيث تبين أن سلام التركية هذا هو(محمد بن فايد بن سليمان) المشهور بسلام التركية والمتوفى في 796 هـ بأحدي ضواحي صعيد مصر [1] والذي ينتمي إلى بطن التركية من بني لبيد والذين كانوا مع أخوانهم بني مقدم بن لبيد في حربهم ضد بني جعفر وشماخ أبان ذلك الزمن حيث قام الجعافرة والشمامخه بإزاحتهم من برقه وذلك عندما تغيروا على السلطان المؤيد بن قلاوون في مصر كما ذكرنا في باب التاريخ والسياسية وبذلك تعتبر شهادة سلام التركية بمثابة شهادة الخصم التي لا يعتد بها لدى البحاث لما فيها من شبهة .



(1) المقريزي من كتاب السلوك .

المبحث الأول

أصول قبائل برقه والصحراء (السعادي والمرابطين)

انظر الشكل رقم (1)

بات من المعروف لدينا أن قبائل السعادي والمرابطين المتواجدين في برقه أنما هم سُلالة أسلافهم بني سليم وابني عامر بن صعصعه هلال وربيعة وكلهم أبناء منصور بن خصفه بن قيس عيلان بن مضر .

* فمن سليم : عوف وهيب ودباب . ومن عامر بن صعصعه: لبيد وحديد ابنا علي بن هبة بن لعته بن كلاب بن ربيعة بن عامر أخوة بني هلال بن عامر

* ومن عوف : تنحدر قبائل الجمعيات والقطعان الكعوب (المرابطين) .

* ومن دباب : أولاد سليمان .

* ومن هيب : تنحدر قبائل البراغيث والجبارنه (السعادي) .

* ومن لبيد وحديد بن ربيعة بن عامر : تنحدر قبائل أولاد عقار علي ومحارب وبوسنينه (السعادي) .

* ومن لبيد أيضًا : تنحدر قبائل الحوته البطن الجامع لعشائر وقبائل أخرى في برقه (مرابطين) .

وكما تم ذكره في باب التاريخ والسياسية من أحداث وعوامل أدت إلى تحالف تلك القبائل وإعادة تركيبها في كيان قبلي جديد انقسم الجميع فيه على قسمين (السعادي ، والمرابطين) .

وقبل أن نشرع في تفاصيل القبائل وأحوالهم كان لزامًا علينا أن نُلقي الضوء على هذه الألقاب المذكورة سعادي ومرابطين .

فمن هم السعادي ؟ إن أقدم ذكر لهذا الاسم وثائقيًا كان في عام 1661م

فقد ذكره العياشي في رحلته أثناء مروره ببرقه فذكر أن القبائل التي تقطن الجبل كان اسمها السعادي ولم يذكر سببًا لهذا المسمي إلا أن الأبناء قد رووا عن أسلافهم أنهم تسموا بذلك نسبة لأمهم واسمها سُعدى والتي تزوج بها ذؤيب زعيم برقه وشيخها والمفترض تاريخيًا أنه عاش في الفترة من 1320 : 1380 على وجه التقريب حيث أنجبت له سعدى المذكورة كلاً من سلاّم وبرغوث وعقار وهم الثلاثة الذين انحدرت منهم قبائل العقاقره والبراغيث والسلاّميون اليوم في برقه .

إلا أنني أرى بعين الباحث مخالفة في هذه الرواية تجعلني أتوقف دون قبولها بشكلها العام كما يعرفها الجميع والتي تقر بأن ذؤيب شيخ برقه أبان تلك الفترة هوأب عصب لكل من الأبناء الثلاثة سلام وعقار وبرغوث والذين تشعبت منهم كل القبائل الموجودة في برقه والمسحوب عليهم صفة السعادي نسبة لأمهم سعدى كما يزعمون والمفترض أنها زوجة الأب ذؤيب فإن صح ذلك فلنا أن نسأل :

أولاً: إذا كان ذؤيب الأب شيخًا لعموم القبائل في برقه كما ذكر التاريخ الموثق قد أنجب بالفعل هؤلاء الثلاثة أسلاف قبائل السعادي سكان برقه والصحراء الحاليين فأين جموع تلك القبائل التي يرأسها الأب ذؤيب والذين عاشوا في كنفهم أولاده الثلاثة ؟ أليس من المفترض أن تكون لهم أعقاب تفوق أعقاب السعادي ؟، وإن كان فأين خصومهم وأحلافهم وجيرانهم...؟.

ثانياً: ذكر سعدى الأم المنسوب إليها قبائل السعادي وقد ذكرت على روايتين:

الأولي : أنها سعدى بنت الزناتي خليفة زعيم بني يفرن الذين تغلب عليهم العرب عند دخولهم برقه حيث تزوجها ذؤيب وأنجب منها السعادي فإننا نُسقط هذه الرواية والتي يفرض علينا العامل الزمني عدم قبولها تمامًا حيث أن زمن الزناتي خليفة لا يوافق زمن ذؤيب المذكور فإن ما يقارب من 180 سنة تفصل بين زمن الاثنين على وجه التقريب حيث عاش الزناتي خليفة في آواخر القرن الحادي عشر بينما عاش ذؤيب في آواخر القرن الرابع عشر .

الثانية : وفيها أن الرواة أكتفوا بأن سعدى ليست ابنة الزناتي خليفة وإنما هي ابنة أحد قادة الهلاليين أخوة بني سليم حيث جعلت لهم خؤولة في بني هلال ، ويمكن لي أن أقبل بمثل هذه الرواية بشكلها المتواتر إلا أن الواقع من التاريخ ينفي ذلك تمامًا حيث ثبت أن هذه القبائل ليست أبناء عصب واحد واقصد أنها لا تنتمي لأب واحد كما ذكرنا ذلك آنفا أنها هم أبناء لحلف قبلي وولاء، ويبدولك إذا تأملت فيما روينا من تاريخ تواجد تلك الأسلاف وأحوال تنقلهم وما أصابهم من مصاب جعلهم يعيدون بنائهم في قالب جديد على شاكلة العرب في كل مكان وزمان وقت المحن والمخاطر ودليل ذلك كله أنك إذا تأملت تلك الشجرة المفترضة لقبائل السعادي ستجد فيهم من ليس منهم بالفعل وهذا متفق عليه ويتمثل ذلك في تلك العناصر الغريبة التي دخلت ضمن تلك الشجرة زمن الحلف وعلى سبيل المثال لا الحصر (قبائل سنقر) في علي الأبيض حيث يعلم أفراد تلك القبائل بأنهم أندلسيون إلى اليوم كما ستجد عنصرًا آخر يبرز في قبائل الحرابي ألا وهو(البراعصة) وهذا العنصر الدخيل هومن قبائل زحفت من الغرب ينتمون إلى الجد المرابط بن مشيش القادم من الساقية الحمراء ببلاد المغرب .

كل هؤلاء انضموا إلى جموع تلك القبائل ببرقه والذين سُحب عليهم لقب السعادي في حين أنهم ليسوا من أبناء سُعدى المذكورة .

لذا أقول أن منطوق السعادي [1]غالبًا ما يكون لقب سُحب على كل من يستطيع أن يجابه أو يحمل سيف يقارع به خصومة ويتحصل على مكانة بين تلك القبائل التي أعطت لنفسها الحق الأول في امتلاك تلك البقاع من أراضي برقه فهم أصحاب السيادة وأن صح القول فإنهم أصحاب السعادة السعادي... السعادي أمراء برقه وقادتها والذين أخذوا على عاتقهم حماية الأرض وسكانها في تلك المناطق فهي القبائل الأقوى عُدة وعتاد والتي ضمت إلى كنفها كل تلك القبائل الصغيرة والتي تجاورها المنطقة والمسحوب عليهم لقب المرابطين والموزعة على قبائل السعادي اليوم .

(1) يشتق منها لفظ السعادة وهي تعني الرأي السديد ويقول البدوفلان مِسْعِدْ أي ذورأي سديد وقول راجح.

إلاّ أن هذا لا ينفي كون المرابطين ليسوا منهم بشكل عام حيث ثبت تاريخيًا أن الغالبية الساحقة من تلك الجموع المرابطة هي منهم بالفعل إلا أن حياة الترحال والتنقل والتي هي من صفة قبائل المرابطين البدوجعلتهم يألفون حياة عدم الاستقرار مما كانت عائقاً لهم في أن يتسيّدوا على مكان يفرضون فيه أنفسهم وذلك على عكس قبائل السعادي الذين آثروا على أنفسهم حياة الاستقرار للذود عن أماكنهم والدفاع عنها فكانت لهم الدولة .

فالبدو السعادي هم البدو المستقرون آبان تلك الفترة وكما هو معهود أن في حياة الاستقرار البقاء وحفظ الكيان وملاذ الآخرين من القبائل المرابطة الرحل.

أما البدو المرابطون هم البدو الرحل الذين ساقتهم حياتهم إلى أماكن متفرقة ومع الزمن صاروا شتاتًا موزعين على قبائل السعادي فكل قبيلة من هذه القبائل المرابطة المترحله يبدوأنها كانت عندما تحط برحالها في جوار قبيلة وتجد في الاستقرار ملاذها سرعان ما تُكاتب تلك القبيلة وتطلب عونها ومساعدتها في الاستقرار فترابط بمكانها ويكون لهم مالها وعليهم ما عليها وهذا شأن العرب ودأبهم وأحوالهم في كل زمان ومكان ولا ننسى من ذلك أن [الجوار والحلف والولاء] أنهم من وحدة بناء الكيان الاجتماعي في البادية ،بل وستجد أن من القبائل التي صُنفت مرابطين هي تلك القبائل الكبرى نذكر منها المنفه والقطعان والجمعيات والمسحوب عليها لفظ المرابط لا لأنها قبائل تنتمي لولي أو لضعف أو لإنتماء لقبيلة من قبائل السعادي وإنما هي تُعد من القبائل القوية في عددها وعدتها ويبرهن ذلك حيازتهم لمساحات شاسعة من أراضي برقه ولكني أرى في تسميتها ضمن المرابطين لأنها كانت بعيدة عن ساحة السعادي وحلفهم فلم تنتمي إلى ذلك الحلف وفي هذا فائدة تفسر لنا أن لقب المرابط لم يُسحب فقط على الضعفاء أو التابعين أو الذين خضعوا لغيرهم من القبائل القوية حيث ظلت هذه القبائل المرابطة محافظة على كيانها ووحدة أراضيها على مدار الزمن دون أن يمسّها مساس أو تفقد جزء منها شرقاً وغربًا.

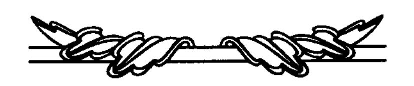
فالعلاقة بين السعادي والمرابطين هي علاقة أخوّة ورابطة دم من ناحية

وحلف وولاء من ناحية أخرى وليس ثمة من مناوشات أو خلاف دبّ بينهما على مدار التاريخ قد يصادفك اللّهم إلا خلاف الشهيبات المرابطين والعواقير السعادي والذي أنتهى بعودة الأطراف المتنازعة لمؤاخاتها بل أصبح اليوم الشهيبي يصنف ضمن عواقير فلا تكاد تميز بينهما.

ومن ذلك أيضًا تجد للحرابي مُلكًا يمتد من الاجزاء الكبرى في قطاع برقه خاصة الجبل وذلك جاء بعد استيلائهم على أراضي أخوتهم من أولاد علي بعد حروب طاحنة بالإضافة إلى تلك الأجزاء والمساحات التي تندفع من الجبل إلى ناحية الشرق حتى طبرق والتي أحيانا كثيرا ما تجد من المرابطين قبائلٍ تشاركهم المكان نفسه في أماكن متفاوتة أثبت التاريخ أنهم متواجدون أصلاً بها ثم تنقطع أملاكهم حيث لم يعد لهم أي نصيب من الأراضي التي يحتويها المرابطون حتى مصر وهذا دليل على أن الحرابي بشكل خاص أو السعادي بشكل عام لم تكن لهم سيادة على هؤلاء بقدر ما كانت سيادتهم تشمل مناطقهم ومناطقهم فقط.

وفي هذا دليلاً ينفي التبعية والخنوع أو الضعف لتلك القبائل من المرابطين الذين ظلت ملكيتهم لأراضيهم شرق الجبل أو فيه وذلك في أوج قمة حكم أولاد علي والحرابي ولم يتعد أحد من القبائل السعادي حتى بعد سقوط ونزوح أولاد علي ناحية الشرق واستئذانهم قبائل الجمعيات المرابطين في امتلاك أراضي ولم يتم لهم ذلك إلا مقابل تحالفهم ومناصرتهم ضد الهنادي .

هذا وإن دلّ إنما يدل على أحد أمرين إمّا القوة التي كان يتمتع بها حلف المرابطين أو الاحترام الذي كانت تحظى به هذه القبائل من جهة السعادي .



أولاً : قبائل السعادي في برقة

تنقسم شجرة السعادي في برقه إلى ثلاثة فروع وهم سلام وعقار وبرغوث تنتهي إلى جذم واحد هو ذؤيب بن كميل بن أحمد من بني جعفر من شماخ بن هيب بن سليم .

1 - **سلاّم** : هومن لبيد بن علي بن هبه بن لعته بن كلاب بن ربيعة بن عامر أخوة بني هلال بن عامر ومن سلام ثلاثة فروع (الهنادي ، البهجة ، العونة)

2 - **عقار** : ويشمل ثلاثة أحلاف وهم :

* (الحرابي): تنحدر من محارب بن حديد بن علي بن هبه بن لعته بن كلاب بن ربيعة بن عامر أخوة هلال بن عامر بالإضافة إلى عناصر حليفة تمثلت في البراعصة وصارت منهم بعامل الزمن وجملة الحرابي هم [العبيدات، الحاسة، الدرسة ، أولاد حمد ، البراعصة ، الفوايد] .

* (أولاد علي) من أبناء لبيد بن علي بن هبه بن لعته بن كلاب بن ربيعة ابن عامر أخوة هلال بن عامر بالإضافة إلى عناصر أندلسية حليفة.. وهم على قسمين : علي الأبيض ومنه[سنقر ، خروف] وعلي الأحمر ومنه [القناشات ، العشبيات ، الكميلات] .

* (بوسنينه) من أبناء لبيد بن علي بن هبه بن لعته بن كلاب بن ربيعة بن عامر وهم : [العراوة ، المحافيظ ، العجنه ، القطيفة ، الشوالحة] .

3 - **برغوث** : وينحدر من شماخ بن هيب بن سليم وهوعلى قسمين :

* (البراغيث الحمر) وهم العبيد ، العرفاء

* (البراغيث البيض) وهم العواقير، الجوازي ، المغاربة، الفوايد الرماح.

التوزيع الجغرافي القديم لقبائل السعادي في برقه [1]

1 - **قبائل أولاد علي** : في كل المناطق التي تشغلها اليوم قبائل الحرابي من البطنان إلى مرتفعات شغاب

2 - **الحرابي** : في المنطقة الواقعة شمالاً بين سوسه وأم الرمان .

3 - **الفوايد** : نحو الغرب من مرتفعات شغاب وتنبسط حتى جردس وقصر ساس وبوسماح وأم الجوابي حتى النقعه وغوط السلطان أي أنها كانت تشغل تلك الأراضي الوسطي والتي تسيطر عليها اليوم قبائل الحاسة والبراعصة والعبيد .

4 - **العرفاء**: بين وادي الرمان وتوكره مندفعة نحو الجنوب حتى سفح جبل العبيد.

5 - **العبيد** : على منحدرات جبل العبيد حتى تاكنس وساس .

6 - **العواقير** : بين توكره وبوكرار وبرسس وسلوق ودريانه والأبيار .

7 - **المغاربة** : في المنطقة الواقعة جنوب المناطق السابقة بين بنغازي وغوط السلطان والشليظيمه وسلوق وطليمون وقمينس .

وكما قال أوغسطيني : سلسلة معقدة من الأحداث والصراعات حددها التطور والنمو العددي وتصاعد النزعة الحربية لدى بعض القبائل أدت كلها إلى إجلاء القبائل التي كانت لها السيطرة وإزاحتها عن مواقعها حيث انتهت إلى التوزيع الحالي لمواقع القبائل في غرب وشرق برقه .

ومن هذه الصراعات نذكر:

1 - حروب أولاد علي والحرابي والتي أنتهت بنزوح الأول عن برقه من أشهر الأحداث الحربية التي شهدتها برقه في القرن السابع عشر 1640م : 1672م ، على التقريب وكانت على مراحل :

(1) هنريكو اغسطيني سكان ليبيا .

* العبيدات بالتحالف مع البراعصة والحاسة وعائلة فائد يدخلون في حرب ضد أولاد علي حتى استطاعوا بمساعدة الدرسة أخوتهم والتي كانت في البداية على الحياد أن يهزموا خصومهم في يوم مشهود وانسحبوا إلى الشرق من وادي درنة .

* محاولة من قِبل أولاد علي وهجوم جديد من جانب العبيدات بتدخل من القوات التركية لحكومة طرابلس هُزم على أثرها أولاد علي وانسحبوا إلى الشرق[1] .

* أزيلت تلك المشاعر القديمة تمامًا وساد السلم بين القبيلتين وحتى عهد قريب كانت تقوم شعب كلاً منهما بالتجول في أراضيهما لأسباب تتعلق بالمياه والبحث عن المراعي وأنقطع تلك التجول بفصل حدود برقه بتلك الأسلاك الشائكة والحدود التي جعلها الاستعمار الغربي الايطالي والانجليزي فاصلة بين مستعمرتيهما .

2 - حرب البراغيث : المغاربة والعواقير يدعمهم براعصة ضد الجوازى وفايد في نحوعام 1811م 1812- م وبعد أحداث متبادلة وبتدخل القوات التركية الموجهة من يوسف باشا القرمانلي انتهت بهزيمة الجوازي ونزوحهم نحوالشرق وهم حاليًا يقطنون المنيا، والفوايد في مغاغة والفيوم وأعيد توزيع أراضيهما في برقه على الجانب الآخر .

3 -حرب البراغيث: المغاربة والعواقير بالتعاون مع أخوتهم العرفاء والعبيد ضد عرب غرب [2] نتج عن ذلك انسحاب عرب غرب إلى أقصي الجنوب البنغازي وانتشار العواقير والمغاربة السعادي في الأراضي التي جلوا عنها.

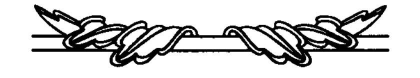
4 - حرب البراغيث يدعمهم البراعصة الحرابي ضد عرب غرب والمعركة الشهيرة (علم زغبه) بين القطيفة والبريقه في عام 1832 م نتج عنها الانسحاب النهائي لعرب غرب إلى مقطع الكبريت فزادت رقعة البراغيث جنوبًا .

(1) راجع باب السياسة والتاريخ الفترة 1600 : 1700 م التجريدة .

(2) قبائل من الجهة الغربية طرابلس وضواحيها اشتهرت بغزوبرقه تلك الزمن .

* وفي عام1845 م تم تعيين علي الأطيوش من شيوخ المغاربة السعادي على إدارة سرت والذي استطاع بسياسة بارعة كسب تأييد عرب غرب حيث جذب إليه المغاربة الرعيضات السعادي إلى مناطق سرت الغربية حتى وادي العقر وكانت هذه آخر قفزه للسعادي نحوالغرب .

5 - حرب الجمعيات يدعمهم أولاد علي ضد الهنادي في شرق برقه والبحيرة انتهت بهزيمة الهنادي وجلائهم إلى أقصى الدلتا وتوطين أولاد علي ومقاسمتهم المكان مع الجمعيات أدى ذلك إلى انتشار القبائل وتوزيع جغرافي جديد في المنطقة .



تفصيل لقبائل السعادي

انظر شكل الشجرة رقم (2)

أولاً : أولاد سلام ومنها ثلاثة فروع (الهنادي ، البهجة ، العونة) :

1 - **الهنادي** :أبناء هند بن سلام بن لبيد حيث تعتبر قبائل الهنادي هي الأشهر في بني سلام فقد نزحت هذه القبيلة من برقه في آواخر القرن السابع عشر حيث كان آخر ذكر لهم في تلك المناطق عام 1661 م تقريبا حيث شاهدهم الرحالة العياشي وذكر ما كان بينهم وبين قبائل الجهنه من نزاعات وحروب .

زحفت هذه القبيلة ناحية الشرق ودخلت في نزاع وحروب مع قبائل الجمعيات بنواحي الصحراء الغربية إلى البحيرة وكانت لهم الكفة الراجحة إلى أن قدمت قبائل أولاد علي بعد هزيمتهم وتقويض سلطتها في برقه علي يد التُرك والحرابي لا يشغلها شيء بقدر الحصول علي أرض بديلة لِما فقد غربًا فسنحت لها الفرصة لتحقيق ذلك فناصرت قبائل الجمعيات المرابَطين داعمة إياها في حربها ضد الهنادي فهُزمت الأخيرة والتي انتقلت ناحية الشرقية حيث استقرت هناك إلى يومهم هذا .

تنقسم قبائل الهنادي إلى فروع عديدة تنحدر من جابر بن عامر بن هند بن لبيد وأشهر أبنائها (عليوة ، منيصير ، الأفراد ، السلم)

أ- فرع (عليوات): نسبة إلى عليوة بن جابر بن عامر بن هند ويتفرع عليوة إلى ...(حويطات ، علاونه ، مطاردة ، يحيي ، أبوبكر) .

ومن يحيي الطرش ، المنفي .

ومن أبي بكر الشافعي والذي يتفرع إلى أبناء عدة منهم :

1 - يونس ومنه (المصري ، عليوة ، سعود ، بشارة ، قاسم).

2 -الطحاوي ومنه (الشرقاوي وأولاده خداشن ، إبراهيم ، نمر وغيرهم).

3 -سليمان ومنه (راغب ، غالب ، رسلان ، صميده ، مجلي) .

4 -عامر ومنه (مازن ، مفازع ، راجح ، بزيغ ، حنضل).

5 -كريم ومنه (عبد السلام ، علان ، جيلاني ، عدلان ، عبد الواحد) .

ب -فرع(المناصير):نسبة إلى هارون بن منيصير بن جابر بن عامر بن هند.

أنجب هارون كلا من سلطان ومنه (السلاطنه)وعلي ومنه (أولاد مساعد)

يتفرع المناصير إلى :

أولاً : السلاطنه ومنه أبناء يادم وهم (عامر ، بطور ، محجوب) ومن عامر (علي وسلطان) .

ومن علي (محمود، سلطان) ومن محمود (أولاد مقرب ، علي ، منيصير ،حمد)

ومن سلطان (بطور ومنه عبد النبي ، سلطان ، إبراهيم ، محمد) .

ثانيًا : أولاد مساعد هم أبناء علي بن هارون بن منيصير ومنهم أولاد مساعد (غيضان، إبراهيم ، عبد القادر، بريشه) ومن بريشه (موسى ، سليمان ، صالح).

2 - **البهجة :** هي الفرع الثاني والمنحدر من سلام بن لبيد

ذكر صاحب موسوعة القبائل العربية أن البهجة نزلوا مع العونة أخوتهم في زمن متقارب وسكنوا غرب الإسكندرية ببلدة (بهيج) والتي سُميت باسمهم غرب بحيرة مريوط علي الساحل قرب برج العرب وتم تصنيف هذه القبيلة ضمن قبائل العرب في مصر في عام 1883 م وقد تفرقت عشائرها في قرى البحيرة والغربية ودقهليه والمنوفية وفقدوا عصبيتهم وسكنوا القرى ومالوا للزراعة .

ولهذه القبيلة فروع ذكر منها صاحب أنساب قبائل العرب أ / عبد السلام حمد أنها :

(مطرود ، بدر ، خالد ، محفوظ)

فمن مطرود (محمود ، والهديل) يمثلا المحاميد والهديلات .

أ- المحاميد منهم (عائلة رحيم ، المقبع ، إبراهيم ، صقر ، سليمان).

ب- الهديلات منهم (مشايخ العرب أبوحسن وأخواته بالشرقية مركز بلبيس ، عائلة شعيب بالفيوم)

ومن بدر (عائلة الشريجي بالغربية وكنا منهم عمد قبيلة البهجة ، عائلة الشطبيات).

ومن خالد (بيت الخوالد ومنه ذرية سليمان وذرية أبي واعر بمديرية الغربية والشرقية والدقهلية وطنطا).

ومن محفوظ (عائلات منتشرة بالغربية والشرقية وكان منهم الحاج عبد المطلب وهو من كبار رجالات العرب المشهورين هناك) .

3 - **العونة :** تعتبر الفرع الثالث من سلام بن لبيد .

ذكر صاحب موسوعة القبائل العربية أن هذه القبيلة ذكرت في مخطوط درر الفرائد المنظمة من قبائل البحيرة في منتصف القرن العاشر الهجري مما يعطينا دليل أنها أولى قبائل السعـادي نزولاً إلى مصر .

كما ذكر أ / عبد السلام الحبوني في كتاب أنساب قبائل العرب أن بني عونه كانت لهم امرة العربان في الديار المصرية وقد صُنفت ضمن عربان مصر في عام 1883م.

كما يبدوأن هذه القبيلة قد جرى عليها مجرى إخوانهم البهجة حيث سكنوا القرى ومالوا إلى الزراعة وفقدوا عصبيتهم ومن أشهر أفراد هذه القبيلة المرحوم شيخ العرب محمد عبد الجليل أبو زامل .

وكما هوثابت لديهم أن من أصل أولاد همام عائله الزوامل بالشرقية والغربية وحوش عيسي وأبوحمص وعائله فواز بالصعيد .

وقد كانت بنوعونه من القوة والبأس على أشدها وكان منهم أول عربي

حصل على رتبه أمير لواء من الدولة العثمانية حيث كان أمير الحجاج المصريين سنة 936 هـ .

صدر فرمان إلى عرب البحيرة كُتب فيه إلى قدوة القواد نائب البحيرة زيد علمه إلى كامل المشايخ من عربان الهنادي والأفراد والجمعيات والبهجة وبني عونه عمومًا زيد في عشرتهم بعد وصول التوقيع الرفيع الهمايوني الحكمي نُحيطكم علمًا أنكم أنهيتم إلى ديواننا أنكم من قديم الزمان منازلكم أبًا عن جد في فيافي البحيرة وفدا فدها والتمستم من عواطف مراحم سلطتنا السنية وشعاركم في منازلكم القديمة كما كنتم في السنين الخوالي فحيث أنه جرت العادة أن قبائل العربان في الديار المصرية كل قبيلة لها

منزله مخصوصة بهم لا ينازعهم فيها غيرهم ومنزلة البحيرة من قديم الزمان منزلكم فبحسب التماسكم قد أقررناكم في منازلكم المذكورة كما كنتم قديمًا نازلين فيها من غير منازع لكم بالشروط التي تعاهدتم بها وقبلتموها في حضور صدرنا الأعظم وكتبتم بها سند عليكم ......

فاعملوا بمضمون أمرنا الشريف وتجنبوا خلاف ما هومذكور والحذر ثم الحذر من المخالفة وكتب مضمونة حجة وأمضى عليها قاضي العسكر وقيدت بالسجل ونص كما ورد والفرمانات الشريفة من حضرة مولانا الصدر الأعظم الوزير يوسف باشا خطاب إلى سائر الحكام والمشرعين والنوائب وسكان إقليم البحيرة من قبائل الأعراب واقطع حضرة مولانا الصدر الأعظم كل قبيلة منهم منازلهم المخصوصة بهم وعاهد رؤسائهم وهم مشايخ عربان البحيرة ولما تأمل فيه التمس منه الجماعة المذكورون كتابة حجة متضمنة لفحواه مؤكدة له مقوية لمعناه هذا المرسوم علي الوجه المشروح مرقوم وقيد ذلك بالسجل المحفوظ ليراجع عند الاحتياج إليه والاحتجاج به [1].

كما ذكر العمدة السيد أبوزامل عمدة بني عونه أن الأمير حمد أبوزامل بن

(1) الفرمان المذكور من مراسلة من الشيخ السيد أبوزامل عمدة قبيلة بني عونه إلى الشيخ عبد السلام الحبوني ، من كتاب أنساب قبائل العرب .

همام كان رئيس إقليم البحيرة سابقاً وكان له مرتبات قدرها عشرة آلاف وستة وستين ريالاً يقبضها بحسب التقرير والفرمانات السلطانية المبعوثة برزنامة مصر وبعد التراضي والتوافق على ذلك أعطوا الرياسة التامة لحمد أبوزامل شيخ المشايخ على سائر القبائل بإقليم البحيرة والصعيد ورث ذلك عن جده المشار إليه همام رئيس 62 قبيلة في زمنه ورتبوا له أطيان معاش قدرها 12000 فدان بجهة حراسة والكوم الأخضر وحوش عيسى بتاريخ الربط سنة 1131هـ كما هو ثابت بالرزنامه المصرية .

ثانيًا : أولاد عقار وهويمثل القسم الثاني في حلف السعادي ويتفرع إلى ثلاثة فروع : (الحرابي ، أولاد علي ، السننه)

1 - الفرع الأول الحرابي : وهم : (العبيدات ، الحاسة ، الدّرسه ، البراعصة، أولاد حمد ، فايد) :

* قبيلة العبيدات وهم أبناء عبيد بن محارب ومن عبيد (واعر، عوكل ، شاهين، بوشريعه).

- واعر ومنه عبد المولي ومزين ومن عبد المولى غيث ، رفاد ، أبناء مريم .

- عوكل ومنه بلجه ، ودادي ، لعج ومن بلجة موسى ، مريكب ومن لعج خمليش ، شعوه ، بشر .

- شاهين ومنه حبيب ، ذؤيب .

* قبيلة الحاسة وهم أبناء حواس بن محارب:(القلابطه ، الشبارقه ، البخايث).

- القلابطه : المحامده ، المواسي .

- الشبارقه : عبد الله ، مغاثه ، الشبارقه الحمر .

- البخايث : غرير ، التوازرة .

* قبيلة الدّرسة وهم أبناء إدريس بن محارب : (برغل ، محمد ، عبد الجواد)

- برغل : عيسى ، زقوبي ، منصور ، وداد ومن عيسى : الحجازات ، الدوال، عبد الدايم ، عبد المولى .

– محمد : حامد ، محمد ومن حامد : جويلي ، وكميل ومن محمد : الدغار ، عابد ، مسعود .

– عبد الجواد : بوعوينه ، السريريق ، الشلماني ، شعيب .

* قبيلة أولاد حمد وهم أبناء حمد بن محارب : (حمزة ، طالب ، بوفضيلة ، قندول ، بوزيد ، ظافر ، بليدان ، راجح ، نائل).

* قبيلة البراعصة وهم أبناء برعوص أو برعاص : (عبد ، حسين ، المساعيد) وكلهم أبناء مسعود .

– عبد : يونس، أولاد عبد ومن يونس: موسي ومنه عائلة طاميه (جليد، زايد ، الجويفي) ومن جليد: أولاد خضره بمصر، أولاد مغيربيه وهم جلغاف، حدوث ومن جليد أيضًا أولاد الدايخه.ومن أولاد عبد : حسين ، يحيي، محمد.

– حسين : شعوه ، محمد ومن محمد : عبد القادر ، عبد المولى ، عبد ، يونس، عمر .

– المساعيد : عريف ، خزاعل ، اليتامى.

* قبيلة فايد وهم أبناء فايد بن محارب : (بوعيشه ، القصيصيب ، الزقلمي، بوشغيلة ، عزيز) .

2 - **الفرع الثاني أولاد علي وهم على قسمين : (علي الأبيض ، علي الأحمر) أبناء علي بن عقار .**

القسم الأول: قبائل علي الأبيض وهم على فرعين :(سنقر ، أولاد خروف)

أولا : سنقر : (الأفراد ، السناقره) أبناء عامر بن حمد بن سنقر .

الأفراد وهم (جبريل ، منيصير ، نغماش)

ومن جبريل : ظنين ، الخودي ، بوإسماعيل.

– عائلة ظنين : عقيلة ، محمود ، عطيوة ، ختال ، تعويضه ، عبد المولى ،

الهرم ، فنوش ، سعيد.

- عائلة الخودي : الحرش ، موسى ، بريك ، تاعب ، بحيري ، هليل ، خشم أمه .

- عائلة بوإسماعيل : علواني ، رشوان ، محمد ، مصري ، عبد الغفار ، حمد، وحيده.

ومن منيصير : بوشليف ، مرزوق.

ومن نغماش : رحيله ، رحيم ، حمد ، عبيد ، عبد السيد ، عيسى ، بدري ، خطاب ، الصول.

السناقره وهم (محفرش ، طاهر ، عبد الرحمن ، عبد القادر).

محفرش ومن ذريته العجارمه وهم:(وكّال، الرونى ، القرطيني ، شليتيت)

- عائلة وكّال : فريقيط ، بغيض ، رحيل ، دخيل ، اللحاميه.

- عائلة الرونى : قطيش ، أعزيز ، كاسح ، الكواف ، الهميم.

- عائلة القرطيني : هارون ، عيسى ، جبالي ، طريف.

- عائلة شليتيت : جلغاف ، حِسين ، فايد.

طاهر ومن ذريته (أبومرقيق ، بومثيننه ، قنفود ، الضويلع ، نايل.

- عائلة أبومرقيق : بوشناف ، مجاور..

- عائلة بومثيننه : جليد ، موسى ، رقيعه ، الكويس ، هديله.

- عائلة قنفود : ذكري ، شامخ.

- عائلة الضويلع : مخطور ، مؤمن ، الكيوفي.

- عائلة نايل : يادم ، وصالح.

عبد الرحمن ومن ذريته (عزم ، مغوار ، هارون ، مؤمن)

عزم ومنه (العزايم) : عباس ، عمران ، الطلاخوة ، مالك ، قريرش ، الدجن ، الزغيبات .

- ومن عباس : بوقرقور ، مطيرد ، العبيدي
- ومن عائلة العبيدي زهويق ، الاشقر ، طليم ، شكم ، طريده .
- ومن عائلة عمران : بوغزاله ، الدرفانيه ، ضبون.
- ومن عائلة مالك : بووزيره ، بوثلاث.
- ومن عائلة قريرش : واعر ، هيبه ، خير الله.
- ومن عائلة الدجن : غفيله ، نايف ، مصطفى.
- ومن عائلة الزغيبات : علي ، عطيوة ، قطيفة.

مغوار ومنه (المغاوره) : المهدى ، فقيهات ، الحاج.

- ومن عائلة المهدي : لبيرش ، بوغزي ، جلحوب ، الطرش ، بوعره ،
- ومن عائلة الفقيهات : عزاق ، حرداني ، بوجبيرة ، امفيرض ، ربيع
- ومن عائلة الحاج : بوقرين ، سعيد ، حسين ، جلال ، غنيوة ، بومحروقه، بحيري ، بوحش

هارون ومنه (عائلة هارون) : بغيض ، امبيوه ، سالم ، إدريس ، شعول ، الحويلي ، كاسح ، سحليق ، بوقبيره

مؤمن ومنه (الموامنه) : قشبير ، طليويح ، بوقبول ، بوركبه

- ومن عائلة قشبير : بوبكر ، قاسم ، عبد ربه ، جويده ، هديوه
- ومن عائلة طليويح : عبيدة ، صالح ، يونس ، عامر ، العرج
- ومن عائلة بوقبول : حميده ، هارون ، معفن ، درمان
- ومن عائلة بوركبه : عبد القادر ، عبد الجليل ، علي.

- عبد القادر ومن ذريته : (جاب الله ، عليوه).

جاب الله ومنه : وداد ، العجوز ، دودين ، شرفاد ، جفيله ، عليوه .

عليوة ومنه : مرقيق ، الجاهل ، بوقليله ، زعير ، شعول .

- عائلة مرقيق : قاسم ، عيسي ، منصور ، حفالش ، شماطه ، عبد الكافي ، صابر ، رواق .

- عائلة الجاهل : صالح ، يونس ، عياد ، زقيم .

- عائلة بوقليلة : كريم ، سعداوي ، موسى ، رحيم .

- عائلة زعير (الزعيرات) : حويل ، خالد ، مصباح ، بوهيثه ، موسى .

ثانيا : الفرع الثاني في علي الأبيض (أولاد خروف)

وهم على ثلاثة فروع : (بوهندي ، بوضياء ، أولاد منصور)

بوهندي: جدهم الأكبر والذي كان زعيم أولاد علي ومنه : دوادي ، زيان، بوبهيه .

- ومن عائلة دوادي : دغار ، بوقفة ، المخبون.

- ومن عائلة زيان : بوكاشيك، إدريس ، مغيب ، حميده ، بوخشيم ، بوالجربه.

- ومن عائلة بوبهيه : بريك ، الجرميه ، بوحمد ، العجل ، العصملي.

بوضياء ومنه : الجريدات ، والبراهمه .

- ومن عائلة الجريدات : المقرحي ، التاعب ، جبير ، بوعرقوب ، بوختال، بوخليف ، شوشان ، رضوان ، مطراوي ، بوحدوث .

- ومن عائلة البراهمة : بوحسن ، مبارك ، عبيد .

أولاد منصور ومنه : مطير ، العقاري ، الحفيان ، الموسخ .

- ومن عائلة مطير : حفيظة ، بوشده ، رشوان ، مبارك ، احباره.

- ومن عائلة العقاري : حليص ، بخاطرة ، حمد ، عفش ، رشوان ، الزيات، عبد الحميد ، عويضة .

- ومن عائلة الحفيان : يحيي ، سليمان ، علي ، مريز ، حمد ، بوفرحات .

- ومن عائلة الموسخ : حتيته ، بوريشة ، العكر ، الهيش .

القسم الثاني: قبائل أولاد علي الأحمر وهم علي ثلاثة فروع (قناشات ، عشيبات ، كميلات)

أولاً : قبائل القناشات : وهم علي ثلاثة (الصمايل ، المجذوبة ، بيت جابر) أبناء قناش بن علي .

- الصمايل ومنها : بلال ، منيصير.

- ومن عائلة بلال : العاصي ، خليفة ، رشاش ، شلاط ، باسل .

- المجذوبة ومنها : ماضي ، عيون .

- بيت جابر ومنه : ضفوله ، الماوي ، سالم ، العرجي .

ثانيًا : قبائل العشيبات وهم : (ضاوى ، يحيي ، يوسف) أبناء عشيبه بن علي

- ضاوى ومنه : مصطفي ، بوقراصه ، الأزرق.

- يحيي ومنه : اللزومي ، الزغرات ، معفس ، محجوبة.

- يوسف ومنه : دولات ، سويطي ، نوري .

ثالثا : قبائل الكميلات وهم : (الخدايع ، المحارسة ، الهداهده ، البرقي ، المبروك) أبناء كميل بن علي .

الفرع الثالث من أولاد عقار قبائل السننه وهم علي قسمين : (محفوظ ، عروه) أبناء بوسنينه بن عقار :

أولاً : القسم الأول : محفوظ ومنه (دويس ، سلطان ، شوشان ، سعيد ، جعفر) قبائل المحافيظ والعجنه .

– دويس ومنه : (عائلة شمله وفيها : الحجل ، خالد ، محمد) .

– سلطان ومنه : (علي ، مليطان) .

– ومن علي : موسي ومنه نبيل ، حبيب .

– نبيل ومنه : عمر ومنه مريز ، هاشم .

– حبيب ومنه : (بيت عثمان) ومنه : شلامو، نوح ، يادم ، زريبة ، الشاردة، عويشه ، ذيب ، عنز .

– ومن مليطان : الرويمات ، الملا يطه ، العلوي .

– شوشان ومنه : (قبيلة العجنه) ومنها: بوجبران ، نويجي ، سيد روحه ، الأرقط ، المصري ، شعبان ، بوجود ، بوعقوره ، رمضان ، هجيش ، بورجيلة

– سعيد ومنه : (بيت الحنانه) ومنه : رسلان ، عبد المجيد ، مرعيط .

ثانيًا : القسم الثاني : عروه ومنه قبائل (أولاد زين ، الشوالحة) .

قبائل أولاد زين ومنهم :

– ذواب (العراوه) وهم عوائل الزراع ، الزريريع ، غلاب ، سلطان ، حنتوشي ، الشنفاز .

– (القطيفة) وهم بيت حسن ، الدفي ، يحيي ، نصر الله ، عمر .

– ومن حسن : دابيل ، بورجيعة ، عمر .

– ومن الدفي : بوقنعاره ، بوجليد .

- ومن يحيي : جاد الله ، مؤمن ، بوخنانه
- ومن نصر الله : بوبريق ، عبد الدايم ، الاسود
- ومن عمر : سوري ، طموش ، غويطات ، سحنون
- عائلة غزال : خدرة ، خطيطي ، خزيم .
- عائلة بووافية - قريوي ، قمير

قبيلة الشوالحة ومنها : نايل ، واعر ، مازق ، سالم ، العمى ، كريم ، خميس، لطيف .

ثالثاً : البراغيث والذي يمثل القسم الثالث في حلف السعادي ويتفرع إلى :

البراغيث الحمر (الفوايد - العبيد - العرفاء) .

البراغيث البيض (العواقير - المغاربة - الجوازي) الجبارنه .

إن هذه القبائل تنتمي إلى الجد برغوث والذي انحدر منه كل من :

فايد - عريف - العبد - جبرين .

- فمن فايد : عبد الكريم - رمح (الرماح) - البريقات .

- ومن عريف : سلطان - الأطرش ومن سلطان (بوزغبه - حرحير) ومن بوزغبه (سلام - فرشاح) ومن فرشاح (الحاج - شويرب - العمي) ومن سلام (العسيلي - عموش - حواز - جميل) .

ومن الأطرش : (عيسي بوشحمه - مومن) ومن عيسي (علي - بشر - جمعة - عمار الفضيلة) ومن مومن (الذرعاني - بوريشه - العفج) .

- ومن العبد : (منصور - جابر) ومن منصور (اليتامي - شعوه) ومن جابر (الدخاخنه - مسعود) ومن مسعود (شلوف - بوبكر الأقطع) ومن بوبكر الأقطع (حماد - السيفي) .

- ومن جبرين : (الجبارنه) وهم : العواقير - المغاربة - الجوازي.

ومن العواقير :

- ابراهيم ومنه : اللواطي - النمر - حلاق - الطبالقة - البدور - الجلالات - القطيطات .

- ومن مطاوع : فركاش - الخفيفات - السويري - العبادلة - الفسيات - كواديك - شبالة .

- ومن سديدي : سليمان - العبار - دينال - عمارنه - رابح - قطارنه .

ومن المغاربة :

(الشماخ) ومنهم أولاد علي - أولاد منصور - أولاد نصر - أولاد صبح .

(الرعيضات) ومنها شيبه - بهيج - نوفل - أبو القراقع - عليوة .

ومن الجوازي :

الأطرش - أبوغرارة - أبوخلفايه - عبد السلام - المنفي - سرير - الهارجي - الباسل - الأدهس - زيدان - الأبعج .

المجابره :

ومنهم الخلايف - النصرات - الحمدات - الهويدات - السعادات - البرانقة .



المبحث الثاني

ثانياً : قبائل المرابطين في برقه



تشمل كل القبائل التي لم تتضمنها شجرة السعادي :

تعريف بالمصطلح : كما بينّا في الصفحات السابقة أن المرابطين هي صفة تُطلق على تلك الجماعات والقبائل التابعة لقبائل السعادي الموالين كانت أو المتحالفة أو المتآخية أو المجاورة لها .

والقبائل في برقه يقصدون بقولهم المرابطين نوعين من القبائل هما :

1 - قبائل أو فروع منها تتبع السعادي وفي هذه الحالة تعني كلمة مُرابط (مُرتبط) وهوالأصل في الفعل إرتبط بمعني إلتصق أو التحم .

2 - قبائل من سلالة أولياء وفي هذه الحالة تعني كلمة مُرابط (الوليّ) فكلمة مرابطين جمع للمفرد مرابط من الفعل رابط (والرّباط) موقع عبادة ودفاع حربي (والمرابط) تعني العابد الزاهد والوليّ المعتكف .

لذلك صنفوا لدي سكان برقه بالمرابطين (الصدقان ، البركة ، العصا) فيستطيع البرقاوى أن يميز بين المرابطين الصدقان والبركة فيعرف أن الصدقان هم الذين يدفعون الصدقة ثمنًا لحمايتهم فهم المرتبطين وذلك خلاف مرابطين البركة وهوالمصطلح الذي يطلق علي من ينتمي إلى سلالة الولي الصالح وإن ما يميز هذه الفئة وظيفة الوساطة والمصالحة بين القبائل عندما تنشب الخلافات والحزازات بينهم .

ومن ثم فإن العلاقة التي كانت تجمع بين الطرفين سعادي ومرابطين في عمومها كانت قائمة على التكافل الإجتماعى وتبادل المنفعة دون القوة والضعف فإن الروابط كانت تتمثل في :

* حماية من جانب السعادى في وقت الحروب والإعانه وقت الجفاف.

* التزام المرابطين نحو السعادى بالضيافة وتزويدهم بالحبوب والحيوانات وقت المحن أو عند الحاجة

هذا مع عموم قبائل مرابطين ويبدوأن تبادل المنافع هذه مع قبائل المرابطين الكبيرة مثل القطعان وغيرها تمثل روابط قريبة من التحالف أكثر منها تبعية حقيقية حيث أن القوة العددية تضمن لها عمليًا سيادتها وحريتها أو علي حد قول (أوغسطينى) قد تنعكس الصورة فيصبح الحماة مشمولين بالحماية .

أصول قبائل المرابطين :

انظر الشكل رقم (1) .

أولاً : الكعوب : الجمعيات والقطعان :

أجمع غالبية البُحّاث في هذا المجال على أن الجمعيات والقطعان المرابطين هم سلالة كعب بن عوف بن سليم والذي أسفر بحثنا هذا عن تواجدها على هذه الأراضي من برقه يرجع إلى القرن الخامس عشر وذلك نحوعام 1418م على وجه التقريب حيث يبدو أنهم زحفوا من برقه كحلفاء للبيد بحثاً عن أراضي عوضًا عن تلك التي فقدوها بزوال إمارة أبي الليل الكعبي العوفي بقابس القرن الرابع عشر تقريبًا .

كما يؤكد أخوّة الجمعيات والقطعان تواجدهم مجاورين بعضهم بعض وأن معظم الروايات ذكرت أن جُمعه الجدّ الأعلى للجمعيات ورضوان الجد الأعلى للقطعان هما فرعان لأصل واحد هوكعب بن عوف بن سليم .

ثانيًا : الحويت (المقاعي) :

يعتبر بطن الحوته من أقدم البطون في برقه كما أكد المؤرخون في أكثر من موضع وقد ذكرنا في كتابنا هذا أنه ينتمي إلى لبيد بن لعته بن ربيعة بن عامر كما يعتبر بطن الحوته جامع لقبائل كثيرة اليوم في برقه ومن أشهرها المقاعي الذين أشار إليهم خبر الرواة من أهل الصحراء حيث ذكروا عوائل من أبناء عبد الله

المقعي حويت وهم (عائلة عميره ، عائلة سنيني ، عائلة الشرصات، عائلة الروقه، عائلة الحوتة) وتعتبر هذه العوائل هي اليوم قبائل من المرابطين الصدقان (المرتبطة) موزعه علي قبائل السعادي أولاد علي والحرابي والسننه.

فعائلة عميره : تجدها في أولاد خروف من علي أبيض وأمَّا **السنينات :** تجدها في قبائل السننه، **والشرصات :** في سنقر من علي أبيض ومنهم بيت (عتيق ، واعر) ضمن قبائل العواقير فرع إبراهيم .

أمَّا الحوته : فهم في سنقر من علي أبيض، **والروقه:** مع السناقره من علي أبيض أيضًا .

ثالثًا : قبائل أخرى :

وكما ذكرنا أن هذه القبائل في الأصل ترجع إلى نفس الأصول التي انحدرت منها معظم قبائل برقة ، بالإضافة إلى أصول أخرى مهاجرة نزحت إليها من الأندلس أو الغرب .

العوامة : في (سنقر) من علي أبيض وصدقان (البراعصه) فرع طاميه في الحرابي عدا عائلتين في الدرسه ، ترجع في أصولها إلى الأندلس .

السراحنه : في (سنقر) من علي أبيض وترجع أصول هذه القبيلة إلى الدرسه فرع السريريق ، كما يوجد منها عائلات ضمن العواقير فرع مطاوع من محارب بن حديد بن لبيد [1] .

سمالوس : في قبائل السننه ، قبائل قديمة تسكن الجبل في برقة أجمع الباحثون أنها ترجع إلى أصول شريفة .

المسامير : مرابطين ضمن العبيدات ومنهم عائلة ضمن الدرسه.

التراكي : مرابطين العبيدات في الحرابي ويرتبطوا تقليديًا بالعواكله .

الشهيبات : (صدقان) قبائل السننه والعواقير فرع السديدي ، وفي العبيدات

(1) أوغسطيني : سكان ليبيا .

فرع شاهين ورفاد وغيث وعواكله وكذلك في البراعصة فرع طاميه .

الحبون : مرابطين (سنقر) من علي أبيض وصدقان العبيدات فرع غيث وضمن البراعصة فرع طاميه وفي العبيد فرع شعوه وفي العواقير فرع إبراهيم وفي المغاربة فرع علي . وافد من الغرب ترجع إلى بن جبان .

الموالك : منهم عائله نويجي ضمن علي الأحمر وعائلة الشرقان ضمن علي الأبيض ويعتبرون صدقان للقبائل التي يتوقفون عندها مثل (العبيدات، البراعصة في فرع طاميه ، العبيد ، العواقير فرع مطاوع) كما توجد عائلة منضمة إلى بيت بومغاثه في العبيدات فرع غيث تسمي ميهوب . من بطون لبيد ، وتعتبر من أقدم قبائل برقة .

الشواعر : (سنقر) من علي أبيض ومنهم المجموعة المقيمة بدرنة تنتمي إلى فئة المرابطين الحمر وهم صدقان لقبائل العبيدات ومنهم المقيمون بالبطنان ينتمون إلى فئة المرابطين البيض وهم صدقان لكل القبائل التي تمر بها العبيدات براعصه مغاربة عواقير وأولاد علي . وافد من الأندلس .

المنفه: مرابطين صدقان علي أبيض وقبائل السعادي التي تمر بها مثل (العبيدات والبراعصة والعواقير والمغاربة)ومنها جزء بيت بريدان في السننه ، ترجع في أصولها إلى قرة بن مناف من هلال بن عامر .

القريضات : ضمن(سنقر) من علي أبيض .

الجبيهات : (سنقر) من علي أبيض.

الصريحات : ضمن أولاد خروف علي أبيض.

حداده : ضمن (سنقر) علي أبيض .

دهمان : ضمن (أولاد خروف) علي أبيض .

شرارمة : ضمن (سنقر) علي أبيض .

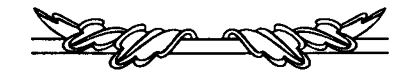
اللحاحمه : ضمن (أولاد خروف) علي أبيض .

الجوابيص : صدقان علي أبيض وسننه.

الجرارة : مرابطين قبائل السننه ضمن محافيظ .

الهوارة : مرابطين سننه ضمن العراوه .

سعيط : ضمن (سنقرٍ) من علي أبيض ومنهم في عواقير وعبيد ، ذكر أن هذه القبيلة تعد فرعًا قديمًا من أولاد سليمان هاجرت إلى برقة ، وكاتبت القبائل هناك .



تفصيل لقبائل المرابطين

أولاً : قبائل الجمعيات :

تنحدر من كعب بن عوف بن سليم [1] وتتألف قبائل الجمعيات من الآتي :

1 - (**القواسم ، الموسه ، الشتور ، البكاكره ، العوايسه ، الخلافات ، النوحه**)

* قبيلة القواسم ومنها عوائل : مريزيق ، السويطية ، بلال .

* عائلة مريزيق وفيها : الدر بالي ، واعر ، رحيل ، قاضي ، شيشة .

* عائلة السويطية : زعلوك ، هديوه ، إدريس ، العالم ، الجلاح ، بوصبيره، مجاور ، داود .

* عائلة بلال: شرمبا ، حماد ، حويه ، بوبعيرة ، بوعمود ، ريزه ، بخاطره .

2 - **قبيلة الموسه ومنها عوائل : رابح ، هامل ، عبد الجواد ، مساعد ، صليب .**

* عائلة رابح : بوغنيم ، بوحبظه ، هيبة .

* عائلة هامل : الطرب ، القمل ، النزال .

* عائلة عبد الجواد : بوشيحة ، الرقاص ، الحدب .

* عائلة مساعد : الصحفاق ، رجوع ، بريك ، دخيل ، النويعس .

* عائلة صليب .

3 -**قبيلة الشتور ومنها عوائل :الغشوه،عظيم،القريعي ، جليد ، شقيليف ، الصويعي :**

* عائلة الغشوه : المبروك ، حمودة ، حريمص ، بلوز ، العنفقي ، بوعنقا .

* عائلة عظيم : المخاض ، بوذراع ، بومعقل ، ماسخ ، بوسبيحه .

---

(1) لمعرفة تواجد هذه القبائل راجع باب السياسة والتاريخ من هذا الكتاب .

* عائلة القريعي : سليمان ، مسلم ، سالم ، قعيمز ، بوزر ، حريمص ، بركات ، صالح ، حفيظة .

* عائلة جليد : السلوى ، بوسكره ، دغار ، فرج الله .

* عائلة شقيليف: حصاد، حريمص، بوحليقة ، بوحمودة ، التهامي،السود.

* عائلة الصويعي : القمز ، بومطيره ، نهيد .

4 - قبيلة البكاكره ومنها :

* (عائلة هليل ، بوكف ، الذيب ، شعلان ، عقاب ، نوح ، عطية ، الكويس، دولات ، سلاب ، معتوق ، الرغاي) .

5 - قبيلة العوايسه ومنها :

* (عائلة غيضان ، سعيد ، خفير ، حليش ، بوشناف ، منصور ، رميله ، غراره ، عريان ، عيشة ، هاشم ، ضي ، الخشاب ، إسماعيل ، العتي ، القصير ، بونجيله ، مريفق ، عرفان ، الحيالي ، بومقص ، فلقه ، طربان ، شحريزه) .

6 - قبيلة الخلافات ومنها :

* (عائلة المصري ، حويل ، هنداوي ، عجاج ، جلال ، حجازي ، بوستة، هديمه، بوصفية ، بوطالب ، الشريني ، مردوع ، الفقيه ، عبد الله ، سكران ، بوجوده).

7 - قبيلة النوحه ومنها :

* (عائلة مخيون، جليل، رسلان، المشرشر ، طريدة ، مهاود ، النقاط، هيبة، الفقير ، بوعطية ، بوخطوة ، الطويل ، القنعاري ، النجار ، عمر ، عاصي، صقر، خليل ، ثعيلب ، كيشار ، مساعد ، كريم).

ثانيًا : قبائل القطعان :

تنحدر من كعب بن عوف بن سليم وتتألف قبائل القطعان من الآتي :

*(فزاره ، مريرات ، رحامنه ، سماعنه ، معابده).

* قبيلة الفزاره ومنها عوائل : (سليمان ، رحيل ، حسن ، عريبه ، حسين)
* قبيلة المريرات ومنها عوائل : (بريدان ، بوسعيدة ، الرخامي).
* قبيلة الرحامنه ومنها عوائل : (جويفه ، بلال ، يونس ، بوترحي ، الذيب، الغليظة ، السمين ، بوطيب ، النقطة ، بوصالح) .
* قبيلة السماعنه ومنها عوائل : (الهمال ، بوصرع ، شياطه ، توبال ، خريط، سفود ، بوخمس) .
* قبيلة المعابده ومنها عوائل : (بلل ، شعبان ، غالب ، عقيلة ، شعيله ، سليمان ، عطيشان ، يس ، بوجبيبه).

ثالثاً : قبائل أخرى :

1 - **قبيلة المنفه ومنها :** فرع مسيكه ، فرع العلوم :

- ومن مسيكه عوائل : بريدان ، المقوري ، مصموت ، الكحاشي ، سباق ، دبوس (الدبابسه) ، بوخديجه ، جحيش .

- ومن فرع العلوم : عائلة رتيو(رتيوات) ، الخائب ، عرابات ، رجب ، الجزار ، غزراف .

2 - **قبيلة السراحنه ومنها :**عائلة البيوض، بوطويقيه ، بوجرزه ، عبد اللطيف، الحريكيه .

- ومن البيوض : كزه ، إدريس ، مطرود ، كريم ، زياد ، قرين ، بوحليقه ، الاعيرج ، حيطون ، رجب ، دخيل ، البصير .

- ومن بوطويقيه : بوعيده ، كشر ، بوظهير ، بوحجاج ، بركوش ، بيد الله، حميد ، ديغوم ، الرحيميه ، بخاطره .

- ومن بوجرزه : محمد ، عقاب ، بوشناف .

- ومن عبد اللطيف: جاب الله، حسين، محمود، إبراهيم ، قذافي، بركات.

- ومن الحريكية : كعبار ، دعبس ، فهيد ، جبريل ، حامد ، عبد الرحمن .

وللسراحنة ثلاثة بيوت هم : قراقع ، بوشليف ، بوبعيده .

3 - **قبيلة الشرصات ومنها :** عائلة إبراهيم ، عزيز ، عطيه ، مجديه ، برعاص ، بوحريره ، بوشنشافه ، بوهارون .

- ومن إبراهيم : عبد الواحد ، الفقيه ، شحات ، عبد الونيس ، عبد القوي، عبد ربه ، حفيظ .

- ومن عزيز : رحيم ، مسعود ، جبريل ، حسن

- ومن عطيه : كويله ، رويفه ، بركات ، عبد الرحمن ، عيد .

- ومن مجديه : محجوب ، البغام ، إبراهيم ، عبد العليم ، حمد ، غنيوه ، عبد السميع ، محمود .

- ومن برعاص : بلل ، الجرو، شعيب .

- ومن بوحريره : حرباوي ، حميده ، إسماعيل ، خليل .

- ومن بوشنشافه : مغيب ، بوقير ، خير الله ، طاهر ، عقاب .

- ومن بوهارون : قاسم ، محجوب ، عقيلة ، عبد الله ، معفن ، سويل ، فرج .

4 - **قبيلة القريضات ومنها :** عائلة كيشار ، بريوه ، شده ، بالعيد ، بواهيشه ، القليب ، زويد ، العصاد .

5 - **قبيلة الحوته ومنها :** عائلة المقعي ، بوشناف ، المازقه ، يونس ، عطش ، قويدر .

6 - **قبيلة عميرة ومنها :** عائلة بورأس ، النقر ، البهاليل ، حنيش ، موسي .

- ومن بورأس : مديده ، صالح ، هاشم ، الحاج علي ، الطيب ، عزيه ، زيتون ، اللافي ، مختار .

- ومن النقر : العرج ، هاين ، موسي ، بساط ، حفيظ ، حسين ، يونس ، جبريل ، حمد ، دويده ، ناجي .

- ومن البهاليل : بوسعيده ، بوحليقة ، بومحيفظه ، بويدر .

- ومن حنيش : عبد المولي ، عبد ربه ، مؤمن ، محمد ، حمد ، كريم ، شوشان، شينيار ، عبد الرازق ، خليفة ، عبد الزين ، غفيلة .

- ومن موسي: زعاق ، محمد ، عبد الله، عبد المولى، طاهر ، يوسف ، حميد، رسلان ، عمر ، كيلاني، سالم ، عطيه ، عبد الزين ، عبد العاطي، الفقيه محمد.

7 - **قبيلة الحدادة ومنها:** عائلة إبراهيم ، مبروكة ، جاد الله ، حمد ، إدريس ، عطيشان ، خليل ، خلف الله .

- ومن إبراهيم : رحيل ، قاسم ، عمر ، جبريل .

- ومن مبروكة : مختار ، عبد الرحيم ، مهبول .

- ومن جاد الله : يوسف ، يونس ، براني ، عبد الكريم .

- ومن حمد : عبد الله ، عطيه ، سعيد ، مهدي .

- ومن إدريس : بكار ، حميده ، زايد ، رحيم .

- ومن عطيشان : عيد ، عقوب ، بوبكر ، يس ، مؤمن .

- ومن خليل : معلوم ، عميد ، مقبول ، سليمان .

- ومن خلف الله : حميدة ، حسين ، هاشم ، بدر .

8 - **قبيلة الروقه ومنها :** عائلة الزباكحي ، محمود ، فالح ، حفيظ ، كيلاني.

9 - **قبيلة السنينات:** هم ابناء زيدان السنينى بن عبد الله المقعي بن حويت وهم على قسمين : موسى وحسين :

- فمن موسى : (طاهر ، العرج).ومن طاهر : الشدقة ، ذحذوح . ومن

العرج : النود ، الجديد

– ومن حسين : (كريم ، عبد الله ، عبد الحفيظ بوهديمه) .

* فمن كريم : واعر ، شعيب ، عثمان ، بالحسن . اما واعر : فلا ذرية له ، ومن شعيب : بوقرين ، بومويخ . ومن عثمان : عائلة جربوع ، عائلة يونس

– ومن بالحسن : موسى دعموس وعلي ، معيوف . فمن موسى : سليمان، مسعود . ومن علي : خير الله ، منصور . ومن معيوف : حمدان ، بريك.

* ومن عبد الله : (حسين الأصغر) ومنه : حميده ، يحيى ، محمود ، حنحون، زموت .

– ومن حميده : الشريف ، بالقاسم ، قدور . ومن يحيى: خليل ، سحيل . ومن محمود : العبد . ومن حنحون : عطيه . ومن زموت : المرابط ، يوسف .

* ومن عبد الحفيظ ابوهديمه : خنفر ، عبد الواحد ، امحمد ، ترهوني ، بالقاسم ، شياط .

– فمن خنفر : بوبكر ، حامد ، عبد الله . ومن محمد : عبد الخالق ، حسين . ومن ترهوني : عثمان . ومن شياط : سليمان ،عمر ، بوبكر .

10 - **قبيلة الشهيبات ومنها**:عائلة منصور، عبد المولي، مرعي، النايض، بونعامه.

– ومن منصور : كويله ، الحجاج ، العمراز .

– ومن عبد المولى : بوهيبة ، بورأس ، الفيدي ، الجطله .

11 -**قبيلة الجرارة ومنها** : عوائل حمزة ، بوحليمه ، بطون ، الجقوق ، حسين، الغزي ، الرميميح ، عبد السميع ، بوبهرة ، الرقعي ، خريف ، بودحيوه ، الوصلي ، جاب الله ، عبد الرحيم .

12 - **قبيلة السمالوس** ينتمون الى جدهم الأكبر والولي الصالح نصر الملقب

بجبار الكسر . ذكر العياشي أن لهم مقام يسمى بسيدي عزيز بأرض برقه .

– ومن سمالوس: عائلة الفلاطي ، العقابي ، الحبوس ، الدمينات ، جليولي

– ومن الفلاطي : مهدي ، بريك ، كيشار ، عياض ، نويجع .

– ومن العقابي : الحاج ، دغير ، حامد ، بوجازية ، بوطالب ، بونجم .

– ومن الحبوس : عسول ، حبيب ، مرعي ، شيخ ، الهاين ، بوشحيمة .

– ومن الدمينات : حسين ، مسعود ، كيلاني ، قاسم ، خليفة ، مباركة ، سكيوي ، ادمين .

– ومن جليولي : حسين ، يونس ، عزيز ، ونيس ، سعيد ، فرج ، خنيفر .

13 - **قبيلة الموالك ومنها** :عائلة نويجي ، الشرقان .

– ومن نويجي : الوارث ، الحول ، صفافي ، بومفصعه ، البسيعي ، مليف ، بوغشوه ، الضحاك ، سليمان ، رويعي ، رويفع ، حوسين ، عبد الوهاب ، عبد الكريم ، شرشير .

– ومن الشرقان : بوخشيم ، كويله ، حريره ، عبد السيد ، سعيد ، مرعيط ، عيسي ، حليص ، المسالمة ، ميلاد ، غريبل ، زعتري ، مغيب ، هليل ، الحزقه .

14 - **قبيلة الصريحات ومنها** : عوائل عبيد الله، شويقي، شتيوي، رقاعه ، سعيد.

وفيها بيوت : فرحات ، بوزيد ، المخانق ، جعيوين ، عفون ، فرهود ، بوالعورة ، كرنفه .

– ومن عبيد الله : مصباح ، صالح ، محمد ، حمد ، قويدر .

– ومن شويقي : محمد ، جاب الله ، صابر ، شحيوه .

– ومن شتيوي : زكري ، يادم ، يدية .

– ومن رقاعة : سكران ، محمود ، مشغول ، إبراهيم ، يونس ، كريميد .

- ومن سعيد : الشافعي ، دايخة ، بلها ، العز ، فرج .

15 - **قبيلة الجبيهات ومنها :** عائلة رحيل ، الغربال ، المنطبش ، طوير .

وللجبيهات بيتان هما : سكران ، سنيس .

- ومن رحيل : فرج ، شعيب ، هارون ، إدريس ، مسعود .

- ومن غربال : حتوت ، صالح ، دومه ، عقوب .

- ومن المنطبش : حميدة ، سليمان ، شريف .

- ومن طوير : صابر ، جاب الله ، الصلعا ، مؤمن .

16 - **قبيلة العوامّه:**

وقد ذكر اوغسطيني أنهم في برقة الغرب ينقسمون إلى الآتي :

- أولاد مفتاح ، أولاد الأشلم .

- ومن أولاد مفتاح (عائلة حمد ، نبود ، حبالصه ، بدان).

- ومن حمد (بيت مطيريد ، عبد الرحيم ، سليمان الدواب ، صالح ، بوذيل، عقوب ، زينوبه) .

- ومن نبود (بيت علي - صالح - مرضي - حبارة - سليمان).

- ومن الحبالصة (بيت سعيد -المبروك - علي- قويدر -جحيش- منان)

- ومن بدان (بيت موسي - عبد الدايم - محمد - ابراهيم).

- ومن أولاد الأشلم (واعر - حمد - ابراهيم - عبد العاطي - شنازق - مقاوي - الرقيق - مرزوق - زغيب - خليل).

- ومن العوامّه عوائل اخرى وهم (عائلة ابي رفيعة - الخدود - السهيهيل - المداوي - صنعانه - بالضباع - ابي جراده - الضمران - الاجيرب - القري - عقاب).

ويتم تقسيم هذه القبيلة في برقه الشرق كالآتي :-

- قبيلة العوامة ومنها : عائلة صوان ، نافع ، القري ، حفيان .

- ومن صوان : عبد الجواد ، سليمان ، امبيوه ، جريد ، الحصان ، سويري ، عوض ، عبد المولى ، عتيق

- ومن نافع : بوحويطة ، بومزيمي ، بوقرين ، بوحنيفره ، نويفع .

- ومن القري : قويطين ، ميلاد ، العزمان .

- ومن حفيان : مورد ، الاجيرب ، الحمر .

17 - **قبيلة الفواخر وهم:** من سلالة يعقوب السخان أحد أبناء سليمان الفيتوري جد الفواتير وينقسمون إلى فرعين (عثمان - الاجيرب)، أولاد عاليه .

- فرع عثمان ومنه (بوعلي - بوزويده - العويدات - علي) ومن أبي علي (عيسى والخضيري والاعور وعائلة اسماعيل) .

- ومن زويده (مسعود - المبروك - عبد الحق - عباس).

- ومن العويدات (بوعين - عمر - محيقن).

- ومن علي (صالح - عمر - بوتوزر).

- فرع الأجيرب ومنه (بوحبسه - بورتمه - مسيعيد).

- ومن أبي حبسه (بيت حموده - الجاهل).

- ومن أبي رتمه (حامد - عبد الله).

- ومن ابي مسيعيد (بساط - الفقيه عبد الله - بيت السواحلي) .

* وأخيرًا فرع أولاد عاليه وهم (أولاد بوعوسه - المعيني - حبيب الله - المحابات ومنهم الحضيرات عائلة حسن - عائلة دخيل) .

18 - **قبيلة الشواعر :-**

تعد من القبائل التي ترجع إلى أصول اندلسية وفدت إلى برقة مع بداية الهجرة الأندلسية واستوطنت درنه وما يليها وهم على فرعين :

* الأول (زيد - عمر - حسير - موسى - لموش - عبد المالك) .

* الثاني (الشلاوية).

-ومن زيد عائلة عيسى ، عائلة الحاج محمد ومنه (بيت علي - بولطيعه - بيت صالح) .

وعائلة سالم (بيت الشهب - عجيلة - بوهيسه - فعيك).

- ومن عمر (اسماعيل - شمام - شويعري) .

-ومن حسير (جريدسي - بوشعيليل - ميلاد).

-ومن لموش (اللمامشه) (عبد القادر - الموالف - مهاب- الغضايني) .

-ومنه أيضًا (حمد - وداس - طوروس) أبناء الطريفيه .

-ومن عبد المالك (الغالب) (عائلة ابراهيم ومنه (عثمان - عبد الباري - عيسي - عبد الجواد - عبد الله - الاجهر - حسين).

عائلة حجز ومنه (بيت بالكويس - صالح - الدائخه - عبد الرحمن - يونس - بوصيبه).

* والثاني (الشلاويه) وهم (الشلوي - مساعد) .

-ومن الشلوي (عائلة بوزريقه - الخواجة) .

-ومن مساعد (اسرافيل - بركات - حميده - غفير - مطير).

19 - **قبيلة الحبون :**

يعرف جدهم بإسم بن حِبّان وهووافد من الغرب وابنائه هم :- (عمر -

خليفه الاعمى).

- ومن عمر (عبد السلام - صميده - رميله - حريكه - النقاش).

- ومن عبد السلام (عتيق - حمد).

- ومن صميدة (الحاج بوبكر - عبد الجيد).

- ومن ابي بكر (كريم - هارون - حسين - صميده).

- ومن عبد الجيد (بيت ابراهيم).

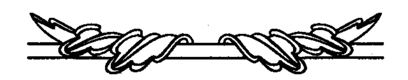
- ومن رميلة (بيت حسين) .

- ومن الاعمي (عائلة سالم كروش) ومنه (بيت فرج - المختار - زاوه - مرعيط - السلفوت - بوشديه - حتيته).

- عائلة عبد الله فرنش ومنه (بيت حسين - مبارك - سويكر - جبرين).

- عائلة أبي الحماء .

20 - **قبائل أولاد الشيخ** والفواتير ، الزويه ، العلاونه ، الجوابيص ، هواره وغيرهم .



الباب الثالث

المجتمع



الفصل الأول

البداوة والتكوين الاجتماعي

تنظيم وسلوك ، عادات وتقاليد ، مساكن ونجوع



البداوة :

عُرفت البداوة بأنها نمط اجتماعي قديم يقوم على تنقل الإنسان البدوي في طلب الرزق حول مراكز مؤقتة يتوقف مدى الاستقرار فيها على كمية الموارد المعيشية المتاحة وعلي مدى الأمن والاستقرار الاجتماعي والطبيعي الذي يمكن أن يتوافر فيها .

ومعروف أيضًا أنها ظاهرة سائدة في المجتمع العربي تعكس حياة الذين لا يستقرون في مكان واحد والإقامة بصفة دائمة بل التنقل من مكان لآخر سعيًا وراء مصادر العيش وهي ظاهرة تنفرد بها حياة البدو[1].

ويذكر بن خلدون أن البدوأقدم من الحضر وسابق عليه وأن البادية أصل العمران والأمصار مدد لها والدليل على ذلك أنك لوتتبعت أهل الأمصار لوجدت أكثرهم من أهل البدوولكنهم أيسروا فسكنوا المصر .

البيئة والبداوة :

ممالا شك فيه أن التأثير البيئي له علاقة بتفسير الظواهر الاجتماعية لأي مجتمع وقد أبرزت الدراسات الباحثة في هذا المجال أن هناك تفاعل واضح بين الإنسان وبيئته فأنماط الحياة تختلف باختلاف البيئة ، وعليه لا نستطيع تفسير حقيقة أي مجتمع إلا بالرجوع إلى العوامل الطبيعية .

فالبيئة هي التي تشكل الملامح الطبيعية من مناخ وغيره ، والملامح البشرية

(1) العرب الرحل في مصر د/ محمد أحمد غنيم .

من سلوك ونظم اجتماعيه فقد تسبق البداوة حياة مستقرة وقد تعقبها وذلك لأسباب طبيعية أو اجتماعية كالحروب أو الخلافات القبلية بأنواعها .

فالبدوي مضطر لتتبع مالا يستطيع إنتاجه في صورة ماء أو مرعى .

التكوين الاجتماعي :

أنماط البداوة : [1]

أ - **نمط الترحال الدائم :** وهوما يطلق عليه البداوة الخالصة ويمثل الانتقال طوال العام بحثاً عن المراعي وتتبع الكلأ .

ب- **نمط الترحال الموسمي** : وهوالتنقل في جزء من العام ويمثل أهل الزراعة والرعي فيقسمون عامهم ما بين نصف ينتقلون فيه للرعي ونصف يمكثون فيه للزراعة .

جـ - **نمط الاستقرار :** وهم البدوالمستقرون في مكان دائم لا يقطعون فيه صلتهم بالأصل والثقافة البدوية .

أقسام البداوة :

أ - **البدوالأنقياء الرحل :** وهم الذين يكونون متوغلين في الصحراء وتعيش كل قبيلة على مساحة من الأرض الخاصة بها وهم يملكون الجمال والأغنام ويعيشون في خيام مصنوعة من الشعر والوبر والتنظيم القبلي لديهم قوي .

ب- **أشباه البدو:** وهم يشغلون شريط الساحل للبحر ويقومون بزراعة التين والزيتون وتسبب لهم ندرة الأمطار وعدم دوامها مصادر كثيرة للمتاعب والقلق بالنسبة للزراعه .

جـ - **بدومستقرون:**وهم العاملون بالحرف والمهن المختلفة كالتجارة والصناعة وهم قوم استقروا ولم يعد التنقل اهتمامهم الأول بقدر الاستقرار ولم تتقطع صلتهم الثقافية بالآخرين . [2]

---

(1) العرب الرحل د / محمد أحمد غنيم .

(2) نفس المصدر.

هكذا أملَت الحياة في الصحراء علي البدو أن يعيشوا حياة غير مستقرة حيث أصبحوا رحلاً ينتقلون من مكان لآخر ينقسمون إلى وحدات صغيرة مستقرة تمامًا تعيش كل منها في حرية تامة يحكم تصرفاتها عرف وتقاليد ويجمع بين أفرادها رابطة دم .

وفرضت على آخرين طبيعة نشاطهم التجاري والاقتصادي البقاء والاستقرار ومن ثم خلقت التجمع والذي قد يكون ميلادًا لمجتمع ثابت جديد .

التنظيم الاجتماعي : (العائلة - البيت - القبيلة) :

تشتمل القبيلة على عدة وحدات تجمعها صلة القربى وأولها (العائلة) الأسرة ويليها مجموعة من الأسر (العائلات) ثم تكون فروعًا تعرف باسم البيوت ويضم هذه التجمعات من وحدة أو أسرة أو عائلة أوبيت وحدة كبيرة تسمي قبيلة .

والفرد البدوي هو نواة التنظيم القبلي والأسرة هي النواة التالية فعندما لا تكون الأسرة كبيرة العدد لحد تستطيع معه حماية نفسها فإنها تنضم لأخرى لتقوي شوكتها وهذا حال المجتمعات البدوية .

والجدير بالذكر أن جميع الروابط الاجتماعية تتركز في الأسرة وما يتفرع عنها من بيوت والقبيلة بعبارة أدق هي ذرية جد واحد وقد يكون داخل القبيلة من ليس منها ولكن دخلت في حلفها فصارت منها .

وللقبيلة شيخ أو عمدة أو عاقلة متعارف عليه عند كل القبائل قد أجمع أفراد قبيلته على اختياره لما رأوا فيه من الأهلية لذلك من حكمة وعقل راجح وهو الذي يقوم بكافة الشئون الداخلية والخارجية والمتعلقة بالقبيلة فهو على معرفة بالقواعد العرفية والتقاليد والعادات التي تحكم هذه المجتمعات والملم بأنسابها ويعتبر المرجع الأساسي في كافة الشئون القضائية والتنفذيه ، ولا تكاد تختلف حياته الخاصة عن بقية أفراد قبيلته اللّهم قدرته على إكرام ضيفه

وشموله بكافة الواجب وهذا ما يتطلب أن يكون رأس القوم على قدر معين من الثراء ورغد العيش .

السلوك القبلي : وعليه تعتمد القبيلة لأنّه هوالذي يجعل من القبيلة وحده واحده ومن أهم مظاهر السلوك (الحلف - الجوار - الولاء) .

وتعتبر هذه عصبيه جماعية تميزت بها المجتمعات البدوية عن غيرها فهي وحده واحده لا انقسام ولا تنافر بين أفراد العصبة الواحدة .

فالولاء : يعني تبعية الشخص لقبيلته وولاءه لها .

والتحالف: ولاء قبيلة لقبيلة أخرى بقيام عهود ومواثيق لحلف بينهما .

والجوار : وهوحق الجوار عندما تطلب قبيلة أو فرد حماية قبيلة أخرى لها والبدوي يحترم ذلك كله ويقدره ويضعه في ميزان الشرف وروي في ذلك القصص والأساطير والتي لا يتسع المجال لسردها ...

ونفرد من ذلك (حق القاصر) وهوإسباغ حق الحماية وحصول الفرد على كل ما يخوله له هذا الحق والتمتع به

(وحق الملح) فهولمجرد مشاركة البدوي طعامه يحصل بذلك على ضمانة اجتماعية فشرب قدح من القهوة كاف لتقديم يد المعونة متى تطلب ذلك[1] .

العادات والتقاليد :

ذكر ابن خلدون في المقدمة أن أهل البدوأقرب إلى الخير من أهل الحضر، فأهل الحضر لكثرة ما يعانون من فنون الملاذ وعوائد الترف والإقبال على الدنيا ، والعكوف على شهواتهم منها قد تلوثت أنفسهم بقدر ما حصل لهم من ذلك ، أما أهل البدوفإنهم إن كانوا مقبلين على الدنيا مثلهم يعني مثل أهل الحضر ، ففي المقدار الضروري لا في الترف ولا في شئ من أسباب الشهوات والملذات ودواعيها ، فعوائدهم في معاملاتهم على نسبتها وما يحصل فيهم من

---

(1) دور العربان د/ أيمان

مذاهب السوء ومذمومات الخلق بالنسبة إلى أهل الحضر أقل بكثير منهم ، فهم أقرب إلى الفطرة الأولى وأبعد عما ينطبع في النفس من سوء الملكان بكثرة العوائد المذمومة ومجها وقبحها .

كما أن للبدوعادات وتقاليد لا حصر لها اشتهروا بها وتميزوا بها عن سائر المجتمعات الأخرى ولا تكاد تغيب عن ذهن العربي وغير العربي فهم مضرب المثل وفخر المفاخر في أخلاقهم وطبائعهم وفضائلهم ومنها التالي :

1 - **إكرام الضيف وشموله :**

فالبدويتسابقون في ذلك ويتناوبون في خدمه ضيفهم ويبذلون في ذلك كل ما لديهم لإرضاء ضيفهم والبدويعتبرون ذلك واجبًا مقدسًا وقد يعطي هذا الواجب الحق في أن يأخذ البدوي من غنم جاره لإكرام ضيفه على سبيل السلف على أن يرد ذلك [1] .

وفي هذا يروي أحد الفرنسيين واقعه في كتاب وصف مصر أن عربانًا أسروا ذات مره ضابطاً فرنسيًا وبعد أن هاجمتهم إحدى الوحدات الفرنسية تفرقت القبيله وهام شيخها في الصحراء وبصحبته أسيره الفرنسي ولم يعد معه سوى قطعة من الخبز وهي كل طعامه فاقتسمها مع أسيره الفرنسي قائلاً: (ربما سأحتاج إليها غدًا لكنني لن أتحمل لوم نفسي لوتركتك تموت من الجوع لأضمن أنا حياتي) ويعلق دي أيميه على تلك الحادثة بقوله:

إن مثل هذه الأخلاق والطباع لتشرف الإنسانية بأسرها ولا ينبغي علينا بالمثل أن نُسيء القول في حق أمة تضم رجالاً بمثل هذا الكرم بين أبنائها لكن السوءات هي التي تلفت انتباهنا بشده بينما تهون الفضائل [2].

2 - **الشجاعة :**

وهى أهم صفه تميز بها العربان البدوويذكر بن خلدون السبب في ذلك

(1) دور العربان نقلا عن شريعة الصحراء مكي الجمل

(2) دى بوأ – ايمية نقلا عن دور العربان د/ إيمان .

بقوله: إن أهل الحضر ألقوا جنوبهم على مهاد الراحة والدعة ، وانغمسوا في النعيم والترف، ووكّلوا أمرهم في المدافعة عن أنفسهم إلى واليهم والحاكم الذي يرأسهم والحامية التي تولت حراستهم واستناموا إلى الأسوار التي تحيطهم .

فالبدوبطبيعتهم محبون لحريتهم واستقلالهم واستمدوا ذلك من حروبهم وإقدامهم على المنازلة والقتال وقرع السيوف وذلك يتطلب الشجاعة التي يتسم بها العربي والبدوي بشكل خاص .

فشجاعة المرء لديهم في موته وفخره وبطولته هي فروسيته وقدرته على القتال ومنازله الرجال ومقياس القوه غزواتهم وأوسمتهم جراحهم تزداد قيمه الفرد بازديادها وللشجاعة أمثله كثيرة عند البدووقد ذكرنا ذلك في باب الحرب والسياسة من هذا الكتاب .

3- **الفخر :**

لا تزال صفة الفخر ملازمه للبدوي أينما حل منذ القدم فهويملك أسباب ذلك من نسب عريق ودم شريف ومقام رفيع ما يؤهله للفخر بنفسه والاعتزاز بها.

كذلك عنده من المحاسن والقيم والأخلاق إلى ما يطول الحديث عنها والبحث فيها والفخر بها وأيضًا الإسلام والدين ومن حملوه من أسلافهم العرب إلى الدنيا وعروبتهم وكون الرسول (ﷺ) عربيًا وخلاف ذلك من الأمجاد والبطولات والمحافل على وجوهها المختلفة وحروبهم وثأراتهم .ألا يدعوهذا التراث الضخم أن يكون أميرًا للفخر ؟ .

4- **القناعة :**

صفة القناعة من صفات البدوي والتي نراها واضحة في تصرفات متميزة في الأعمال التي تصدر عنه ، وقد دفعته هذه القناعة إلى القيام بأعمال مشرّفة للغاية منها حماية الضيف ومشاركة الجماعة في أوقات الضيق والجفاف [1].

(1) نفس المصدر دور العربان

5 - صفات أخرى :

وللعربان صفات كثيرة امتازوا بها عن سائر الشعوب وهي الإجاره والإقدام والصبر والتضحية والإباء وعدم الخضوع للجبر والمهانة، والإخلاص والأمانة لقبيلتهم والاعتزاز بالنفس وحب السيطرة واحترام الصغير للكبير .

وبطون الكتب قد امتلأت بأخبارهم وأحوالهم التي ذكرت لهم إن هذه الخصال قد برزت في الحوادث الجسام وأوقات الخطر من شمولهم الضيف وحمايتهم للجار وإنفاق الغث والثمين للوفاء بالعهود والموت دون ذلك كله.

فهؤلاء قوم وجدوا لذتهم في ميادين القتال والحرب أكثر من إيجادهم اياها في اللهووالملذات فصليل السيوف كان أطرب لديهم من ضرب الدفوف وعزف القيان [1].

ولا نستثني من ذلك عاداتهم العسكرية وما تشمله من شرف ومروءة وإنسانية في معاملة الخصوم والأعداء وفي ذلك مدرسة كبرى لتعليم فنون وآداب المعارك والحروب .

وكل هذه الخصال قد توارثها بنوالعرب وأحفادهم ومازالت تسرى وتجرى في عروقهم مجري الدم . انتهى .

لهجة أهل برقة :

تُعرف اللهجة في الاصطلاح العلمي بأنها مجموعة من الصفات اللغوية تختص بها منطقة جغرافية أو مجموعة عرقية محدودة يميزها هذا الاختلاف عن اللغة الرسمية [2] .

وتعتبر اللهجة وسيلة الاتصال البشرى التي يستطيع الإنسان بواسطتها نقل أفكاره ومشاعره واللهجة نمط غير ثابت ينجذب تارة إلى الفصحى وتارة يبتعد عنها .

---

(1) عبد السلام الحبوني أنساب العرب.

(2) اللهجة الليبية بحث د/ محمد خليفة الأسود صـ 103 جـ 1 .

يقول الدكتور عبد السلام المدى وهو أحد الباحثين في هذا المجال أن اللهجات اللغوية هي جزء من كياننا الحي بها نعيش وعليها نتربى ومعها نسافر في رحلة الوجود نأكل بها ونلبس بها. وتعتبر اللهجة التي تنعت بالعامية هي من أقوى الطاقات الثقافية الحاملة لخصائص الإبداع في الغناء والشعر الشعبي والنص المسرحي وغيرة (ولكن ذلك لا يمنعنا أن نتبصر بلهجتنا الدارجة عودًا بها إلى اللغة الأم لغة القرآن الكريم والدين الحنيف التي ائتلفت بها مشاعرنا وقلوبنا وأفكارنا بناء حيًّا تأصل عبر الماضي الضاربة جذوره في أعماق التاريخ) .

ومن هذا عمد البحاث من أهل اللغة إلى الربط بين اللهجات واللغة الأم وترى ذلك في مؤلفات عده ، والمتأمل في لهجة أهل الصحراء وخاصة برقة وهم صدد كتابنا هذا يًجد أنهم أقرب إلى الفصحى الأم في جُلّ مفرداتها حيث يرى أنها احتفظت بكثير من السمات سواء نحويًا أو صرفيًا أو دلالة ومعجم.

مع نطق سريع لها يأتي على ترقيق أو إهمال وتخفيض لبعض الحروف والعلامات الإعرابيه .

وقد شهد بذلك بُحّاث ولغويون قدماء ومعاصرون ورحالة ومنهم العبدري الذي أشار إلى فصاحة أهل برقة ومحافظتهم على اللغة حيث زارهم واختلط بأهلها .

ولا يزال البدوفي برقه يحافظون على لهجتهم منذ ذلك الزمن إلى عهدهم هذا لم تتغير ولم يعتريها ما اعترى اللهجات العربية الأخرى وذلك لعدم ورود الناس عليهم حيث لم يختلط كلامهم بغيرة .

ويتبين لنا ذلك من خلال أشعارهم المتواترة والتي تتناولها ألسنتهم عبر مئات السنين بنفس النطق حال ألسنتهم اليوم .

وقد ورد عند بن خلدون ما يُثبت ويؤكد عدم تغير لهجة أهل برقه حيث ذكر بيتًا من الشعر قد أورده في كتابه العبر في ذكره لأنساب بني هلال من

الطبقة الرابعة على لسان أحد الهلاليين يدعى عامر كان أستشهد به لمعرفة نسبه في بني هلال حيث قال :

طلبنا القرب منهم وجزيل منهم ∴ بلا عيب من عرب سحاح جمودها

وبيت عرت أمره منّا وبينهـا ∴ طرودإنكـاداللـي يكودهـا

ماتت ثلاث آلاف مرة واربعـه ∴ بحرمه منّـا تـداوي كبودهـا

وقال آخر :

يارب جير الخلق من نائح البلاء ∴ إلا القليـل انجـار مـا لا يجيرهـا

وخص بها قرة مناف وعينهـا ∴ وديمـا لاريـاد البـوادي تشيرهـا

وابن خلدون كما نعرف قد توفي أوائل القرن الخامس عشر ميلادي أي منذ ما يقارب من ستمائة عام وبيت الشعر الذي ذكره عن المدعو عامر كان قبله بنحو قرنين من الزمن تقريبًا فلاحظ : أن الزمن الذي قيلت فيه تلك الأبيات تأخذنا إلى ما يقارب من ثمانمائة عام من زمننا هذا .

وإن دل ذلك صراحة إنما يدل علي تأصيل وقدم لهجة أهل برقه الذين ظلوا محافظين عليها كما وصلتهم دون أن تشبها شائبة أو يعتريها خلط.. وفي هذا دليلاً آخر يكمن في قوة هذه الشعوب والتي تنبع من غيرتهم واعتزازهم بلهجتهم .

كما أن ذلك كله يعطينا تبريرًا قوي لأن نشير إلى أن لهجة برقه تعتبر أقرب للفصحى أن لم تكن لغة خاصة بتلك الشعوب التي نزحت من الجزيرة العربية بنفس منطوقها أصلاً حيث نعلم أن عرب الجزيرة كان لديهم ألسنتهم السبع والتي انتقت منها قريش لغتها الفصحى حيث تميزوا بها عن سائر العرب هناك .

ولا أريد الإسهاب أو الإطالة في هذا فهناك من المراجع والبحوث العديدة التي خاضت فيه بالطرق العلمية ورصدت فيه موادًا عربية سواء بالأصالة أو التعريب في معاجم مختلفة أثبتت من خلالها مدى فصاحة أهل برقه منها علي سبيل المثال لا الحصر كتاب (اللهجة الليبية في فضائها العربي) وهوعلى جزئيين ولهجة البدوللدكتور / عبد العزيز مطر ، ونلي ذلك بعضا مما ذكر من الفصيح في تلك المباحث ونطقت بها العامية في برقه :

أ ي ش : في العامية نستفهم بالعبارة (إيش) الفصيحة بمعني أي شيء ؟

ل ي ش : في العامية نستفهم بالعبارة(ليش)الفصيحة بمعني لأي شيء؟

ب ي ش: في العامية نستفهم بالعبارة (بيش) الفصيحة بمعني بأي شيء ؟

ح س س : كلمة (حسّ) بمعني شعر بالألم وهي فصيحة ويقال فلان حس أي مرض .

ن ج ه: يستعمل الاسم (منجوه) وصفا للسب والقدح فيقال فلان منجوه، وجاء في لسان العرب (النجه) هو استقبالك الرجل بما يكره وردك إياه عن حاجته .

ب ت ت : لفظ (بتّيه) اسم لوعاء السوائل وردت عند عبد الله الترجمان الأندلسي في كتابة تحفة الأريب قائلاً :ويحمل منها أزيد من عشرين ألف (بتيات) ويعلق محقق الكتاب أن بتّيات وردت في نسخة أخري بالإفراد أي (بتّيه).

س ل م : (السلوم) تعني مطلاعًا أو سلمًا .

س وي : (يسوي) تعني يساوي .

ط ن ج ر : (طنجرة) تعني أناء الطبخ وكانت تنطق الطنجهاره في الاستعمال الأندلسي كما يقول (الودغيري) هي قدح يكون من النحاس وغيره .

ش وي : (شُويّ) تعني القليل وقد ورد عن الأندلسيين أنهم كانوا يستخدمون هذا الفظ .

ط ل ق : (مطلوق) من الفعل أطلق يقال الحصان مطلوق أي غير مقيد وردت عند الأندلسيين وقال بن قزمان : والسحر هي وشعرها مطلوق .

*حذف الألف الممدودة التي تلحق الاسم المؤنث فيقولون في حواء. حوّا

* إضافة كسره طويلة بعد حرف الجر الباء إذا تقدم الضمير مثل بيكم أي بكُم ، بيه أي به ، بيها أي بها ، قال أبوبكر بن عمير المغربي :

أنكرتْ شيبي من بُليتُ بيها .·. كلُ من عاش يشيبُ

* إلحاق واوالجماعة للفعل فيقال نفهموك أي نفهمُك ، نستنشقوك أي نتستنشقك .

* وجاء في مختار القاموس للشيخ طاهر الزاوي وهومختصر للقاموس المحيط رصد للمفردات التي تتقارب وتتطابق مع العامية في برقه منها :

ب ع ب ع : في العربية تعني تتابع الكلام في عجلة وتستخدمها العامية لسريع الكلام فيقال فلان (بَعْبَعْ) .

ك ت ت : الكَتيت في العربية هوصوت في صدر الرجل من شدة الغيظ وفي العامية يقال (إيكِتْ) إذا أنّ من التعب أو المرض .

هـ أ هـ أ : هَأهَأ للإبل إذا دعاها الرجل وفي العامية يُقال للإبل إذا دعاها (هِيءْ هِيءْ).

ا ب ى:يأباه بمعني كرهه وفي العامية يقال (ماباش ياخذ) أي عافه وكرهه

أ ر ر : وهي من دعاء الغنم وفي العامية يقال (أرر أرر ، إرّيه) إذا نادى الراعي غنمه .

ب د د : بمعني فرق (بدّد) أي فرق وفي العامية أعطى لكل واحد حصته

ن غ ر : نَغر بمعني (غلا جوفه وغضب) وفي العامية يقال فلان (نغّار) أي سريع الغضب .

دع س : (المُداعَسه) بمعني (المطاعنة) ورجل (دَعوس) أي مِقدام وفي العامية يقال (أدْعَس عليه) أي تقدم نحوه واجذبه في سرعه وجرأة .

ع ك ب ش : تَعَكْبَش فيه الغصن أي نشب فيه بشوكه. ويقال في العامية تعكبش فيه العود أي مسك فيه جيدًا .

ب ن ن : (البَنّه) تعني الرائحة الطيبة أو المنتنة والعامة تقول بنّتّا طيبة.

ب ر م : ومنها (المبارم) أي المغازل ، والبرمة تعني (القدر من الحجارة) وفي العامية يقال (تبرم في مغزلها) ويقال (حط البرمَه على النار) .

د ب ش : (الدَبَش) ويعني في الفصحي أثاث البيت والعامة تقول (دبش البيت ، دبش المربوعه) .

ب ش م : (بَشْم) وتعني في الفصحي التخمة من الطعام وتقول العامة لمن يؤلمه بطنه من كثرة الأكل (مبشوم) .

ب ط ل : في العربية فلان (بَطُلَ) في حديثه أي هزيل وفي العامية فلان (باطل أو بطل) أي ضعيف ومتعب .

دع دع : (التَدَعْدُع) في العربية مشية الشيخ الكبير ويقال في العامية فلان (يدّعْدَع) أي يتمايل في مشيته ولا يتحكم فيها .

غ وط : (الغوط) في العربية حفر كالغيط الواسع من الأرض وفي العامية يقال حرثنا غوط شعير .

ف ت ل : (فتَلَه) بمعني لواه وفي العامية يقال فلان (يَفتل في حباله)

ط م ر : (طمر) في العربية دفن وخبىء وفي العامية يقال (طمَرتها) أي أخفيتها

غ ر ر : (الغراره) في العربية الجوال وفي العامية يقال زرعنا شكارة وحصّلنا غراره .

هذه بعض المواد البسيطة جدًا وهي قطرة في بحر ما قرأناه وقد سقناها إليك عزيزي القارئ لكي يتبين لك أن هذه اللهجة هي لهجة سلالة عربية خالصة لا تزال تحتفظ بكثير من خصائصها رغم طول الزمن وبعد المسافات وكل التغيرات التي طرأت علي أهلها من البدو.



الأفراح والأعراس

تعتبر الأفراح والأعراس مظهرًا من المظاهر الشعبية والتي تُضفي علي المجتمع ألوان البهجة والسرور وروح المشاركة العامة بين أفراد القبيلة في المجتمع البدوي ويحاول البدوي فيها أن ينسي آلامه ومشاقة التي يعانيها ويلقي همومه على أعتابها بمشاطرة أقربائه وأحبابه ومؤانستهم ومسامرتهم ليال عديدة يتناولون فيها أطراف الحديث ويتجاذبون الحكايات فيما بينهم كل بما لديه فهذا شاعر ينشد مفاخرًا تارة ومادحًا تارة أخرى وذاك يقص الأقاصيص ويرسل الطرائف كلهم بين قاص ومستمع ومنشد وممتنع .

وللأفراح طقوسها وعرفها لدى بدو الصحراء :

1- **الزواج المبكر :**

ويتزوج أبناء القبيلة مبكرًا ويمكن أن نقول في العقد الثاني من عمره وذلك تطبيقا للشريعة الإسلامية التي تحث على الزواج عند الاستطاعة قال ﷺ : «**من استطاع منكم الباءة فليتزوج** » ، ففي ذلك حماية ودفع للنفس عن الوقوع فيما يكره الله ويبغض.

2- **الاختيار والمصاهرة :**

فعند مصاهره عائلة لأخرى غالبًا ما يقع الاختيار على العروس من قبل أم العريس وذلك لندرة رؤية النساء في المجتمعات القبلية من قبل الرجال اللّهم إلا أن رأى احدهم أحداهن قدرًا فقد يقع الاختيار من قبله عليها فيخبر الأهل أنه قد أختار .

3- **الاتفاق والمصاهرة :**

يذهب بعض من رجال القبيلة إلى العائلة التي وقع الاختيار عليها ويطلبون

المصاهرة بعد إكرام ضيافتهم وشمولهم بما يجب ويتفق الطرفان وبقراءة الفاتحة يعقد (فقيه النجع) القران بما نص الشرع في ذلك من أحكام ويتم الإعلان والإشهار عن ذلك بإبلاغ العائلات بالقبائل بناحتيها .

4- **المهور والكسوة :**

كانت المهور عند أهل البادية في ماضي ليس ببعيد الإبل من خمسة إلى عشرة من النوق وشيء من الحلي يتمثل في دملج أو سواره وكساء من الأقمشة والحرير.

5- **العرس والزفة :**

تبدأ قبيلة الرجل بما يسمى (التِبْتِيت) أي تجهيز أربع أو خمس جمال بتزيينها بالغطية والحوايه التي تعكس ألوان الفرحة إلى قلوب كل من يشاهدها وتحمل الكسوة وكل ما يلزم العروسين ويسيرون نحوأهل العروس يرددون الأغاني مطلقين الأعيرة النارية والعجيب في ذلك كانت لا ترافقهم امرأة علي وجه الإطلاق فلا تري إلا رجالاً شيوخًا وشبابًا وأطفالاً حتى يصلوا إلى أهل العروس هناك وتخرج العروس بصحبة نساء الحي المسنات وتحمل العروس على جمل خصص لها وسط ألوان من السعادة والتعبير عن الفرحة الغامرة والتهليل ومن هناك العودة إلى مضارب القبيلة حيث يطوفون بعروسهم حول خيمة العريس سبع مرات كعادة متبعة عند أهل البادية في أفراحهم وعند ذلك تخرج نساء الحي مزغردات يستقبلن عروسهن الجديدة ليدخلنها إلى خيمتها وعندها يعقدن حجابًا كبيرًا بينهن وبين الرجال في الخارج وهم بدورهم يقومون بالوقوف متصافين بجوار بعضهم البعض على شكل نصف دائرة يصفقون .

ويرددون أغانيهم وهو ما يسمي (الكشك) و الصابيه وعند ذلك تخرج إليهم امرأة أو امرأتان لا يتعرف عليهن أحد لما يرتدينه من رداء يكسوهن بشكل كامل وهي تسمى (اللعابة أو الحجا له) ويظل سامرًا مستمرًا إلى وقت متأخر من الليل .

6- إطعام الضيوف والمدعوين:

لم يكن البدوفي الماضي متكلفين في أفراحهم بتعدد صنوف الطعام والشراب فصنف واحد من الطعام كان بالإضافة إلى اللحوم حيث تذبح الذبائح ولم يكن ذلك يقع على عاتق الأسرة وحدها ولكن روح المشاركة كانت فاعلة في تلك المناسبات حيث يقوم أفراد القبيلة بجلب الذبائح والأطعمة ومعاونة إخوانهم في كل ما يلزم لتغطية الحفل وإتمامه على خير وجه وذلك بعكس ما نراه اليوم من إسراف في المهور والأعراس والكلفة عند البدو من أهل المدن والحضر.

7- زينة العروس:

لم تكن المرأة عند البدومتكلفة في زينتها بقدر هذا اليوم نعني يوم زفافها فكلفتها يوم عُرسِها لا تتخطي تمشيط شعرها بالحنة والقرنفل وكحل العينين.



مساكنهم ومنازل معيشتهم النجوع

يتخذ البدومن الأرض المنبسطة والسهلة مكانًا لضرب خيامهم فيها ويعتبر المكان الذي يقيم فيه البدوي هوالحصن المنيع وهوالقلعة التي تحكمها خصوصية شديدة وقوانين صارمة ليس لها مثيل في أي مكان آخر .

والخطأ هناك قد يكلف كثيرًا ....وللمكان هيبة عظيمة فعندما تراه للوهلة الأولى وتنظر إليه تأخذك ذكرى مهيبة ومحافل كبيرة تزفها إليك أحداث ضاربة في الماضي البعيد عاشها هؤلاء الذين يقطنون في تلك الخيام المتراصة بعضها إلى جانب بعض والمتلاصقة والمترابطة تماما كدمائهم وأنسابهم والثابتة بقوة ثبات أمجادهم على ارض قاسيه وعرة روضها البدوي وعرف أن لها حضنًا لا يجد الدفء إلا فيه

فصرف غايته إليها وضرب الخيام هناك. ويصل عدد الخيام إلى عشرين بيت (خيمة) متراص يُسمى نجع وخيام البدوي مصنوعة من الصوف والوبر والشعر يقوم بجزها الرجال من حيواناتهم وتصنعها النساء بحرفية خاصة ومقاييس معروفه .

وهي نوعان :

(خيام صيفيه) تُبني في الصيف ولا تكون من الصوف والوبر الخالص إنما مزيج من القديم والدارس منها مع بعض الرقع القماشيه والخيوش الخفيفة والتي تضفي شيء من البرودة وحجب الشمس والحرارة.

و(خيام ربيعيه) تبني في الربيع والشتاء وهي مصنوعة من الشعر والوبر الخالص لتتحمل برد الشتاء وقسوة الصحراء والأنواء في تلك الشهور والمواسم.

مكونات بيت العرب أو الخيمة البدوية :

يبدأ من 12 ذراع إلى 22 ذراع والذراع نصف متر وغالبًا يكون الطول

يزيد ذراعين أو ثلاث عن العرض ويبني باتجاه واحد من الغرب إلى الشرق ويرفع البيت أو الخيمة أعمدة متفاوتة في أطوالها ودرجة سمكها تبلغ عددها 12 عمود.

أعظمها ويطلق عليها (الجُبّرُ) عددها 2 يتوسطان الخيمة أوالبيت

ومن ثم أقل درجة وهو(الْكِم)عددها 2 عمود في شرق الخيمة والآخر في غربها.

ثم يأتي أقل سمكًا وهو (المِقْدِم) عددها 4 اثنان في المقدمة واثنان في المؤخره

وأخيرًا يلي ذلك عمد(الخُمّاسه) عددها 4وهي ترفع الأركان الأربعة للخيمة.

ويشد ذلك كله حبال قوية مثبته في الأرض ويطلق علي هذه الحبال (الرُمّه).

الرَمّة : وهي عبارة عن حبل يُثبتّ الخيمة ويشد بنيتها ولها أطراف تلتصق بها وهي :

العَميره : حبل صغير يصل الرُمّة بالخيمة له طرفان ينتهيان في الخيمه

الجازل : قطعه من الشجر على شكل قوس أو هلال صغير يربط في طرفيها طرفي العميره السابق ذكرها وفي الجزء المقوس من الجازل تخرج عَبْره الرُمّة المثبت في آخرها عند الأرض الْمَثبَت

المَثبَت : وعبارة عن مسمار حديدي قوي تربط فيه الرُمّة ويثبت في الأرض . وعدد كل من الأرمَام والعماير والجوازل والمثابت أربعة عشرة وحده من كل صنف .

ومن مكونات البيت أوالخيمة العربية أيضًا :

الطرائق : أو الطرايج جمع طريقة أو طريجه حسب المنطوق البدوي لها عددها خمس طرائق وهي عبارة عن حمايل للخيمة تربط الأعمدة بعضها ببعض تمامًا ودورها كدور الكمرة الخراسانية في البناية الحديثة . وتكون مصنوعة من الوبر أو الشعر أو الصوف .

الكرب : جمع أكْرُبَه بإهمال الهمزة وكسرها وتسكين الكاف وترقيق الراء وهي قطعة خشبية تثبت بالطريقة وتكون مجوفة من المنتصف تأخذ شكل الطربوش يحملها العمود المثبت فيها ، عددها أربعه ثنتان (لعمد الجُبّر)، وثنتان لــ (عمد الْكِمْ) .

الفراش من الداخل والأثاث :

عندما تدخل الخيمة البدوية من الداخل تأخذك روح البداوة بطرازها المنفرد وعبقها الجميل وتبهرك بألوانها المتناسقة الثابتة وتداعب خيالك أينما ذهبت به وأرسلته في أطراف المكان .

فالخيمة لها باب واحد يفتح حسب اتجاه الريح فالطبيعة لها أثر في تحديد مداخل الخيام فبدخولك تجد الجلسة العربية عن يمينك وهي الخاصة بالضيوف وهذه الجلسة العربية البدوية عبارة عن نوع من الكليم أو السجاد الخاص جدًا والذي لا تجده في مكان إلا هنا فقط فهومصنوع ومنتج بدوي من الأوبار والأصواف تصبغ وتنسج بفنية عاليه جدًا وتنسق فيها الألوان بدقة ذات جمال وذوق بديع تُلفت النظر لمجرد وصولك المكان ولها أنواع ومسميات منها :

* **غطيه :** أحد أنواع الكليمات وهي تكون مكلفة وباهظة الثمن وفخمة إلى حد ما .

* **حوايَه :** تأتي في الدرجة الثانية من حيث التكاليف .

* **غراير :** أنواع عادية ذات ألوان جميلة تستخدم أحيانًا كغطاء في الشتاء .

* **شْلِيف :** تستطيع أن تقول بأنة أرقي قليلاً من الغراير ويستخدم كغطاء أيضًا .

* **نْويري :** وهوغطاء ونوع من أنواع الزينة حيث يهدي غالبًا للعروس في ليالي عُرسها لما يتمتع به هذا النوع من الألوان الجميلة وطريقة صناعته التي تختلف تمامًا عن الأخريات من المفارش والأغطية .

ومن الأثاث الخشبي لا يوجد إلا صندوق أو اثنين يستخدمهما البدوي كخزانة له يضع فيها أشياءه الثمينة وما يخشي فقدانه ويكون هذا الصندوق موجود بصفة دائمة في أحد أطراف الخيمة ويتسم بألوانه العشوائية الجميلة وقفل كبير.

وليس كل البدويملكون هذا فهناك الميسور الحال الذي يملك وهناك الفقراء الذين لا يملكون إلا بيتًا واحدًا أو بعض الخياش الفقيرة .ويحوي من الأثاث أيضًا (الرَّحى) وهي لطحن الحبوب وأواني وقدور من الخشب.

الكساء والملابس البدوية :

لبدوالصحراء رجالاً ونساءً ملابسهم الخاصة والمشهورة والتي تميزهم عن المجتمعات الأخرى حيث الأصالة العربية والماضي العريق حتى أن حياكة الملابس البدوية تطورت وأخذت شكلاً إبداعيًا برع فيه الصُنّاع من أجل هذه الحرفة حيث أن الكساء البدوي يأخذ أشكالا من التطريز اليدوي الذي يعتمد على مهارة الأيدي في هذا المجال .

والزِّي الأساسي هوالجلابية (الثوب) وهومصنوع من القماش الرقيق وطاقم الملِف عبارة عن أربع قطع مطرزه بشكل لا تجده إلّا عند البدو.

والبدو فقط والمكون من سروال وصدرية وزَبُون وعباءة أو دفِّيه ويكون نوع القماش فيه ثقيل وجيد وهذا من النوع المكلف لا يرتديه إلّا الصفوة وميسوري الحال وأهل الرغد والنعمة .

أشكال الزى وملابس الشيوخ :

يرتدي الشيوخ من البدوجلبابًا غالبًا ما يكون لونه الأبيض وسروالاً فضفاضًا ويعلوالثوب صدرية مزركشة ذات لون واحد ويعلوذلك كله عباءة ثقيلة من الصوف الخالص تسمى الجَرْد ويغطي رأسه بطربوش أحمر أسماه الشنّه وذلك في حالة السِّلْم .

فالقتال والحرب له زيّه الذي يكون متوشحًا فيه سلاحه .فليس للبدوي زى عسكري وإنما هوزيه الذي وصفناه ولكن مع شد وسطه بحزام يسمي (الحلاط) يضع فيه مكان للطلقات ويتوشح سيفه أو غدريته ويتقلد بندقية ليس على جنب واحد وإنما يكون رأسها على الكتف الأيمن ويخرج سريرها أو ذيلها من خلف جانبه الأيسر وكانت تسمى (دِقرة) .

ملابس النساء :

وللنساء ملابسهن الخاصة بهن وغالبًا ما ترتدي المرأة البدوية الجلباب الفضفاض ذوأكمام واسعة تكسوه ألوان جميلة تشده بحزام أحمر من الصوف من الوسط وتضع من المحارم ما يكسورأسها ويغطيه فالثوب يسمي (بالجمْجمة) وهوالمصنوع من الحرير الخالص أو من القماش العادي فيسمى جلبابَ .

والحزام يسمي (محزم) تشده على وسطها .

(كريشه) شال تضعه على الجلباب يكسو غالب الجسم .

(العبروج) عصابة تربط على الرأس وتعقد من الخلف .

الحذاء عندهن على نوعين الأول يسمي (رقعه) : وعبارة عن بوت يصل حتى الركبة مطرز وهوصناعة يدوية له ألوان بديعة والثاني(بلْغة) : وهوالحذاء العادي ألوانه جميلة مزركشة محاكة بالحرير . وخيوطه من الحرير وتسمى (بلغة وصايا).

والحذاء عند الرجال هو(قِبَال أوإجْبَال) وهومصنوع من جلد الإبل .

الحلي والزيّنة :

نساء البدوتماما مثل النساء في أي مكان آخر فهن لهن اهتماماتهن بالشكل والزى. ويأخذ الحلي دورًا هامًا لدى العنصر النسائي حيث يعتبر من أهم وسائل الزينة للمرأة البدوية والحلي المستخدم يكون غالبًا فضيات وله مسميات كالتالي :

الدِّمْلِج :- وهونوع عريض مفتوح يُلبس في اليد .

السِّوار :- من الحلي الذي يُلبس في اليد .

مِقاس :- وهذا أيضًا يكون مزركشًا برسوم مختلفة .

الخِرص والمُجَلجل :- مثل تاج تصنعه المرأة على رأسها ويتدلى حتى يشمل غالب مقدمة المرأة .

التِكْلِيلة :- وهي حِلقان للأذن عددها ست حلقان يوضع منها في كل أذن ثلاث .

كما كانت تقوم المرأة البدوية بوضع ما يسمى بالشناف في انفها وتقوم أيضًا برسم الأوشمه على ذقنها وجبينها وتهتم بصبغ قدميها وأيديها بالحناء وتزينها بنفسها .

وتراعي المرأة البدوية عدم التكلف والمبالغة في زينتها في الحياة العادية سوى في الأفراح والاعراس والمناسبات فهي في ذلك تبالغ في وضع الزينة من حلي وألوان ونقش وغالبا ما كان يحدث ذلك في الماضي أما اليوم فانتقلت إلى طور آخر مارست فيه أشكال جديدة للزينة تحاكي فيه بنات الحضر وذلك تبعًا للتأثير البيئي والثقافي لحال المرأة في العصر الحديث .



النشاط اليومي للبدو

تتسم حياة البدوبالبساطة إلى حد بعيد والاستقلال ونظرًا لمحدودية ما يمتلكه من أرض صالحة للزراعة أو إبل أو غنم تجعل حياته اليومية تدور في إطار محدد دون تعقيد أو تشعب. فعامه مقسم إلى مواسم زراعية تارة ورعوية تارة أخرى وهويجري ذلك في إطار انسيابي منظم ومحكم وتقسم الأدوار على أفراد القبيلة أو الأسرة الواحدة كل يعرف دوره فمنهم من يقوم بالرعي وآخر بالزراعة وآخر يتابع حركة البيع والشراء وآخر يجلب المتاع والمؤن وآخر يقوم بالحراسة والحماية .

* فالرجل منهم يصحو من نومه في الصباح الباكر مع ظهور أول خيط للشمس يؤدي فرضه ويطلب من الله عز وجل الستر وسعه الرزق. ولا ينشغل بشي سوي القيام بدورة الذي طلب منه فالراعي يعرف طريقة إلى أغنامه يخرج بها إلى مروج السهول وسفوح الجبال تلتقط من عشيبات الأرض أرزاقها التي قدرها الله لها وقد يعود بها من ليلته مع مغيب شمس ذلك اليوم وقد يمكث الراعي أيامًا أو شهورًا بالصحراء يتتبع مصادر الكلأ والماء .

* أما شيخ القبيلة وهو سيد المكان وزعيمه يظل مقيماً للحفاظ على النظام وفض النزاعات التي قد تنشب بين أفراد القبيلة أو جيرانها كما أنه يستقبل وفودًا قد تفد إليه ويكرم أضيافة ويعين علي كلمة الحق .

* وترى المرأة تعرف دورها أيضًا فيقع عليها عبء كبير وقدر من المسئولية تقوم من يومها في رعاية أطفالها وزوجها الذي تحمل له قدسية وتقدير خاص. فتصنع الخبز وتعد الطعام وترعى حيواناتها من خراف أو دجاج وتغزل الصوف وتصنع الخيام وتجمع الأحطاب وترى أنها تفعل ذلك كله وهي تحمل وليدها في لفافة تدليه على ظهرها وتعصبها برأسها حتى لا يشغلها عن واجبها .

* وكل ذلك إن دلّ أنما يدل على دأب ونشاط البدوي فهولا يميل إلى الراحة والكسل ولا يعرف التواني أنما يتفاني في عملة إلى نهاية يومه فهومحب لحياته ولحريته واستقلاله ، وهذه هي طبيعه الحياة الرعوية التي تجد في تنقلها وحركتها من مكان لآخرما يؤمِّن لها التخلص مما يقيد حركتها ويفرض عليها قيود تمنعها من ممارسة الحياة بحرية، فهي لا تخضع لدولة أو قانون والخروج عن ذلك كان لا يُعد خرقاً أخلاقيًا في نظرهم .



الفصل الثاني

مناشط البدو (تجارة ، صناعة ، زراعة ، رعي ، حرف مختلفة)

حركة التجارة والنشاط والاقتصادي



ذكر ابن خلدون أن البدوينتحلون للمعاش الطبيعي من الفلح والقيام على الأنعام وأنهم مقتصرون على الضروري من الأقوات والملابس والمساكن وسائر الأحوال والعوائد ومقصرون عما فوق ذلك من حاجي أو كمالي .

والبدوي من صفاته القناعة حيث تراها واضحة في تصرفاته وهذه القناعة نفسها قتلت طموحة وقيدت عقليته وحدت من قوته الوثابة وجعلت من جميع البدونماذج متشابهة لا تغير فيها ولا إبداع لزمن طويل فلا نستطيع أن ننكر تأثير الطموح في النفس الإنسانية وتأثير ذلك على المجتمع بأسره [1] .

وهذا مما فرضته بساطة عيشة ورقة مصادر دخله وثروته التي كانت مقصورة على خراف أو زراعة بسيطة للقمح أو الشعير .

فالأنشطة التجارية والاقتصادية تعتمد في المقام الأول على غني عناصر الثروة في المجتمع وحركة الرواج والاستقرار ونظرًا لأن ذلك كله لم يكن متوفرًا إلا عند بعض محدود من تلك المجتمع البدوي المتنقل جعل من حركة النشاط التجاري تمر في رتابة وخمول وان يكن فهويكون مقصورًا على عدد محدود من الأفراد يعرفون بينهم كتجار .

كان التاجر يتمثل في بائع متجول يركب دابته ويحمل معه صندوقين يدليهما على ظهر دابته يحويان متاعًا بسيطاً يتمثل في أقمشة أو حلوى أو أدوات للتزين.... وقد يبيعها وقد يستبدلها بجلود الأنعام أو أصواف وما شابه ذلك. ولم يكن أهل النجوع متشوقين لذلك بقدر تشوق الأطفال لرؤية ذلك التاجر البسيط على حماره والاستمتاع بما يحمل إليهم من حلوى .

---

(1) مكي الجميل .

ومن جانب آخر لم يقتصر بعض البدومن الذين امتهنوا هذه الحرفة على النجوع والتجول بين مناكبها ولكنهم سعوا إلى ابعد من ذلك وهؤلاء هم من شذوا عن تلك القاعدة ودفعهم طموحهم إلى تحقيق الثروات من خلال التجارة الحقيقية.وانتقلوا ليتصلوا بأقطار أخرى وأمصار يجدوا فيها مناشط أكثر ورواج يبعث إلى تحقيق ما سعوا إليه .

فكانت حركة التجارة بين مصر وبرقة عبر طريق القوافل والحجيج فحدث التبادل التجاري لعديد من السلع والأقمشة.

فكانت تجارة الجلود والحبوب والتمور والعطور والزيوت قد أخذت مأخذاً كبيرًا ولواحة سيوه في مصر والواحات الأخرى في جنوب ليبيا والتي كانت بدورها المصدر الرئيسي لتجارة التمور والزيتون حيث تعتبر سيوه وهي واحة من واحات مصر منبع كبير لهذه المنتجات العزيزة .

ومع استقرار البدوعلى الشريط الساحلي بدأت حركة الأسواق التجارية المحدودة تخلق فرص متنوعة للتجارة تمثلت في وجود أسواق للأغنام والإبل ومن أشهرها أسواق القرى والمدن الممتدة على الساحل منها (النجيله) وذلك في يوم الجمعة حيث يتبدى لك فيها سوق كبير للأغنام وتبادل السلع من بقول وزيوت وتمور وأواني وخضروات ولحوم ودجاج .... و(براني) في يوم الثلاثاء من كل أسبوع (ومطروح والحمام والعامرية) وقد بدأت هذه الأسواق صغيرة مقتصرة على تجارة الأنعام وتطورت بتطور الزمن وحققت هذه الأسواق رواجًا أكبر وفرص عمل لأبناء الصحراء من شتى القبائل .

ومن ثم حدثت نقلة أكبر وطورًا آخر للبدوي في هذا المجال والذي بدأت تتكشف له أسواق ومراكز للتجارة أكبر فانتقل إلى الأسواق العالمية وانطلق أيضًا من خلال تصدير الأغنام إلى دول الخليج ولهم في ذلك باع طويل حيث فتح لهم هذا العمل الخارجي أبوابًا أخرى للتجارة كجلب الحبوب والسلع والمعادن من تلك البلاد .

واليوم أصبح البدوي تاجرًا يتعامل في إطار النظم واللوائح والقانون والتي تهيئي له العمل بحرية في ظل قانون يحكم تلك التجارة.

وامتدت بذلك تجارتهم حتى الصين وغيرها ... فاستحق البدوي بذلك أن يكون مواطنًا نافعًا لقبيلته ووطنه في هذا العصر واختلفت حياته التجارية عن ذي قبل وانعكس ذلك على حياته الاجتماعية التي ارتفعت وأصبح ينعم فيها إلى حد ما بالرفاهية والرغد .

فطبيعة البدوي سقته نشاطاً ودأبًا وراء مساعي العيش وجلب الرزق ولم توقفه مصادر دخله الفقيرة تلك عن طموح لطالما خالج عقلة وساور ذهنه ، ومازال طموحة متدفقاً ولم يوقفه دأبه عند ذلك التويجر الذي يحمل دكانه على حماره الهزيل .

الصناعة ومجالاتها المختلفة في المجتمع البدوي :

والصناعة ركن أساسي في حياة أي مجتمع ويستمد الصناع إبداعاتهم من الطبيعة التي يعيشونها لا يسعي الصانع البدوي في صناعة إلا إلى ما يحتاجه من ضروريات تعينه علي حياته اليومية فهويعيش في مجتمع بدائي بسيط لا يندفع فيه إلا للضروري ولا يفكر إلا فيما ينقصه .

وحاجات هذا المجتمع البدائي بسيطة ومصادرها سهله فمصادرها حيوانية أو طبيعية .

وحاجاته تكمن في وبريات وأصواف يتدثر بها أو جلود ينتعلها ويحفظ فيها ماءه باردًا أو فخاريات يصنع فيها طعامه أو أدوات زراعية تعينه علي حصاد أو حرث أو معادن يستخلص منها دروعه وسيوفه ليحمي بها نفسه .

ولكي نوضح أكثر أفردنا في هذا بابًا نذكر فيه صناعات البدوالمختلفة حسب مصادرها وأنواعها وأسمائها من جلود وأواني ، ومعادن ، ألبان ، خيام، فرش، سلاح ، قدور ، أطعمه ، وخبيز .

أولا : صناعة المنتجات الحيوانية :

وتنقسم إلى ثلاثة أقسام :

(1) مصنوعات جلدية. (2) أصواف وأوبار. (3) الألبان ومشتقاتها .

1 - **المصنوعات الجلدية :**

وهي كثيرة ومتنوعة نذكر منها :

* الأحذية : ومنها (القِبَال) للرجال (والبلْغه ، الرقعة) للمرأة .

* الدّلَوّ : وتصنع من جلد القاعود صغير الإبل أو جلد الماعز يخيطها البدوي بضفائر قوية من الحبل وتسمي هذه الدلوبـ (الفِرَاز) .

وهنا يقول الراجز * الدلوفراز الراعي عاز *

* النّطع : وهومن جلد الضأن أو الماعز يُغسل ويُملح ثم يُنظف ويُمشط .

* القِراب : من جلد الشاه الماعز أو الغزال تُملح وتُدبغ ويُصنع لها ضفائر وحمالاتَ يُحفظ فيها الماء .

* الشّكْوَه : من جلد الماعز تُملأ برماد الحطب (العوين) وتُترك ثلاثة أيام ثم تُدبغ بعد تنظيفها من الشعر وتُسمي (التَمْنين) وتُملح وتظل لمدة شهر تُنظف فيه يوميا ثم تُدبغ للمرة الثانية وتُستخدم بعد فترة في مخض اللّبن وحفظة .

* الصّوفه: تُستخدم في حفظ السّمْن أو الرُبّ وهي من شاه الضأن أو الماعز تُغسل وتُنظف وتُملح ثم يُصنع لها رُبّ تُغمس فيه وبعد تنظيفها منه توضع فيها حلبه وزبده لإزالة الروائح ثم تبيت في الرُبّ لإزالة ما تبقي من الملح والروائح .

2 - **الأصواف والأوبار والشعر :**

ومن هذه الأشياء صناعة الغزل والنسيج(صناعة الغزل وإنتاج الخيوط):

بطريقة بسيطة تُصنع خيوط الغزل وتكون خاصة في المجتمع البدوي بالمرأة وتعمل في ذلك علي تنظيف الصوف وعزل الشوائب منه .

ثم تقوم بغسله وتجفيفه ثم يتم خبطة مختلطا (بالعوين أو الرماد) أو التراب الحُر.

وهذا (الخبيط) يكون بعصا طويلة تسمي(مَطْرَق) مصنوعة من حطب (المثنَان) . ثم يجزء الصوف أو الشعر إلى قطع صغيرة استعدادا لغزلها تسمي (العَميتَه) والتي تغزل بمغزل خشبي بسيط وتبدأ من ذلك في صناعة وإنتاج خيوطَ في لفائف كبيرة بألوان مختلفة تسمي (الكلُوفَه) وبهذه الخيوط تصنع المرأة البدوية خيمتها .

صناعة النسيج :

المَسْدَا :وهي الشكل الذي تتخذه الخيوط المراد نسجها بعد تنسيقها وترتيب ألوانها يتم تثبيتها وشدها بشكل نهائي في مصفوفة منتظمة تسمي بالمسدا ولها أدوات وتتكون من :

* المَيشَع : عصا قصيرة يلف عليها خيط يسمي لحمه وهوالذي يلحم به بعد كل مرحلة من النسج .

*المِنشَاز:عصا لها رأس مدببا من الأمام تدخلها الناسجة لتثبت بها الخيط.

* النّاير : عصا تقع في منتصف المسدا وتقوم بمسك الخيوط وفصلها حتى لا تتشابك .

* الردّايف : أحجار صغيرة أو حوامل يحمل عليها الناير لا يبلغ ارتفاعها نصف المتر عن الأرض .

* المِذرا: آله صغيرة من المعدن أو قرن الغزال لسد الفجوات والفتحات أثناء النَسج .

* الملْقطه : وهي عصا صغيرة تأتي عند الحثوه وهي نهاية العمل وتستخدم مكان المنشاز لعدم تمكنه من أداء مهمته

* الرأس والذيل : أول وآخر المسدا .

صناعه الخيمة البدوية :

تقوم المرأة البدوية بكل تلك الخطوات المشار إليها من تنظيف الصوف أو الوبر والشعر وخبطه وصباغته وإعطاؤه الألوان المطلوبة وتجفيفه ثم القيام بغزله خيوطا وتبدأ بعد ذلك بوضع هذه الخيوط بالمسده لصناعة خيمتها

وللخيمة أجزاء تصنعها المرأة وتنسجها كل على حده لان كل جزء تخصه بلون ومقاس فالمقدمة تأخذ الوان المؤخره والحواف تكون صغيره وذات لون واحد واذرعة الخيمة نسجها قوى وخاص، ومناصف الخيمة ألوانها ساده ينتصفها لون اسود يسمى بالمكاحل، وفى النهاية تقوم المرأة بجمع هذه الأجزاء ثم تقوم بلحمها وإلصاقها يبعضها البعض وذلك بالمخيط. وللخيمة أربعة أروقة تصنع من الرقاع والأقمشة وليس الصوف . أما الأروقة فهي جوانب الخيمة الأربعة .

أسماء أجزاء الخيمة التي تنسجها المرأة:- (خاص بخيمة الربيع)

* بدْن: وهى الحواف للخيمة يكون لونها اسود.

* مَلْطه: وهى الأجزاء الكبيرة وغالب الخيمة من المنتصف وتأخذ اللون البيج السادة .

* خياطة: مزيج من الوبر والصوف وتكون الجزء الأوسط من الخيمة لونه أسود.

* الأكْحَال: لونها اسود تكون بطول الخيمة جزء في النصف والخلف وجزء في النصف الأمامي.

* رجِل: لونها ساده بيج وبها سواد واحد في الامام والآخر في الخلف .

*الْكِم: لونها أسود وهما ذراعى الخيمة واحد في شرقها والآخر في غربها.

* الرِّواق: جوانب الخيمة الأربعة .

* الدّبو: حياكه وخياطه الخيمة الصيفية بالمخيط .

صناعة الفرش والسجاد والكليمات البدوية :

نشير هنا إلى أسمائها وتصنع جميعها غزلاً ونسجًا من الصوف والوبر والشعر.

ومنها :

* بوكَتف - الحُسيني - المَلْقوط - النويّرى - مقطّع روحه - الشليف- الغطيه - الحوايه .

* وقد اشرنا إلى تفصيلها في باب الفراش والكليمات البدوية .

منسوجات وبرية وصوفية أخرى : ومنها :

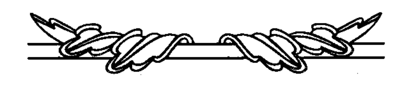
* الغراير:- جمع غراره وهى عبارة عن جوال كبير لحمل الأمتعة وما شابه وقد أشرنا إليها في باب الفراش .

* الخِرْج :- وهوعبارة عن حقيبة يحملها الراعي أو المسافر ويضع فيها ما يلزم لخروجه من متاع بسيط كطعام بسيط أو أدوات .

* الحمّاديّه :- جوال كبير يستخدمه البدوي لنقل محصوله من الشعير أو القمح أثناء موسم الحصاد .

الجَرد أوالعباءة البدوية : وهى رداء غليظ من الصوف والوبر الخالص .

* الشوارى :- وهو منسوج وبري مزدوج يضعه البدوي على حماره يحمل فيه ما يلزمه من متاع . ويكون مفتوح من المنتصف .



صناعه الألبان ومشتقاتها

تعد الألبان من العناصر الغذائية الهامة والتي تشكل خمسين بالمائة من طعام البدوي لذا يحاول أن يعدد أصنافها ويصنع منها مشتقات متعددة يتناولها ويستمتع بمذاقها وليستفيد من قيمتها الغذائية العالية وهى على النحو التالي :

* اللّبن الرّايب :- وهو الزائد من اللّبن يترك فترة حتى يروب ثم يمخض في الشكوه ويُشرب باردًا.

* الزُّبد:- المستخلص من عملية المخض لألبان الضأن والماعز .

* السَّمن :- وهوالسمن الشيحى المستخلص من ألبان الضان .

* الكشْك (الزّقزوق) :- الفائض من اللّبن يسوى على نار هادئة حتى يطفوعلِى وجه الإناء ثم يوضع داخل جوال وتضع المرأة فوقه حجر ويترك حتى يجف ويستخدم كطعام لذيذ.

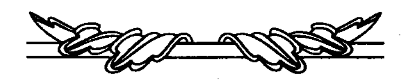
* المالح:- خلاصه اللّبن المصفى المحفوظ في قوالب صغيرة يتناولها البدوي كأجبان وقد يضيفها إلى طعام أخر

* مالح الدشيشه :- يستخدم في الطبيخ والغموس المتنوع .

* البسيسه:- مستخلص من الألبان ويقارب الكشك الزقزوق .

* السَّمن المُحَلَّى:- المخلوط بالرُبّ [عصير التمر] .

* لبن الإبل الرَّايب :- له قيمة غذائية عاليه وهولا يروب إلا تحت درجه حراره عالية وصناعته مجهده ولا يقدم عليها الكثير حيث إن مذاقه لاذع .



الأطعمة والمأكولات صناعتها وأسماؤها

يتميز البدوي عن غيره في طبيعة مأكولاته والتي في الغالب ما تكون من قلب الطبيعة ويعتبر طعامه من أطيب وأصح الأطعمة فائدة للجسم على الإطلاق بكونها طبيعية مائة بالمائة وهي بسيطة وأصنافها معدودة وتتم تسويتها وصناعتها علي نار الحطب التي اشتهر بها البدو ولا يكاد يخلومنها مكان في الصحراء فهي أنيس البدوي أينما حل ومن هذه الأطعمة نذكر :

* الكسكسو: من الشعير النقي المدشوش يوضع عليه الماء ويفتل حبيبات صغيرة ويقدم ساخنًا وباردًا .

* العيش المقطّع : عجين من الدقيق (الطحين) يقطع رقائق طولية ويصنع باللبن أو بالطماطم يقدم ساخنًا .

* الأرز والسَّمن : أكله شعبية لذيذة يعرفها البدوي ويعشقها تقدم ساخنة مع لحم الضأن .

* العَصِيدة : ماء يفور لدرجة الغليان يوضع بها كمية من الدقيق يفرك بعصا حتى يلين يقدم مع الرُبّ والسمن .

* المَفرُوكَه : تصنع من خبز خاص وهو(مجردق الطاوه) ويخلط بسمن وتمر ويفرك باليد وتقدم ساخنة .

* الحسَاء : عبارة عن دقيق وزعتر يخلط في ماء وقدّيد يؤكل ساخنًا .

* البقّينه (الزمّيته): شعير أو قمح مطبوخ ثم يُجفف ويُطحن ويُخلط بزيت الزيتون والسكر .

صناعة الخبيز : وللخبيز أنواع عديدة عند البدوومنها :

خبز التّنّور – القرص يدفن في النار وهوسميك لا يؤكل إلا ساخنًا.

*خبز المجردق ويصنع علي قطعة من الصاج وتأخذ شكل دائري حجمه كبير.

* خبز الطـّاجين الطفلة .

صناعة الحلويات : وهي محدودة للغاية تتمثل في عمل ما يسمي بـ(الشِفِنْذ) وهو عجين إسفنجي مُحلي بالسكر يُقلي في الزيت يحبه الصغار والكبار .

* (حلوي التمر) معجون البلح .

ومن اللحوم :

صناعه (القدّيد) وهولحم مُجفف يُوضع عليه من الكركم الأصفر ويُدق بمطرقة خشبية وتحفظ بالصّوفه.

ومن التمور:

صناعه (الرُب) وهوعصير التمر المطبوخ وهوكالعسل الأسمر .

(معجون التمر) وهومخلوط التمر المخلي من النّواه، ويُعجن بالسمن والكشك وهومن الحلويات .

ثانيا صناعه الأدوات الزراعية :

من الأشياء التي لا يستغني عنها البدوي في حياة الباديه هي تلك الأدوات التي تساعده في حرثه وحصاده وجمعه لزروعة ودرسها ولهذه الأدوات صانع متخصص يمتلك قدرات مهاريه تميزه عن غيره في هذا المجال فهويعرف أطوالها واعراضها وإثقالها ومقاييسها ويعلم تماما ما يحتاجه الزرّاع من البدومن هذا الأدوات وهي علي النحوالتالي :-

* المحراث : وهوآله الحرث التي يضع بها المزارع خطوطه التي يبذر فيها حبوبه وتجرها احدى دوابّه .

* الرونج (النورج) : وهوآله الدراس والتي يستخدمها البدوي لفصل الحبوب والغله .

* المنجل : آله حادة صغيرة تستخدم في حش وحصد الشعير والقمح .

* المذرَا : عبارة عن عصا طويلة عالقة بها شوكة لها ثلاث سنون مدببه يرسلها الذراي في محصوده تارة وفي الهواء تارة ينقي بها غلته من الشوائب الخفيفه .ويقال في ذلك (بلا عونك ما تذريش) والمقصود أي بلا ريح لا تحصل التنقيه .

كما أنه يوجد صناعات معدنية أخري متنوعة يقوم بها أهل الحدادة من البدووهي :

صناعة الأسلحة ومنها :

(الدروع والحراب والسيوف والخناجر والحدوه والركايب للخيل وعدد الخيول والسروج وما إلى ذلك من الصناعات المتعددة).

صناعات فخارية وخشبية :

وهي تلك التي يستخدمها البدوي في حياته اليومية وفيها علي سبيل المثال :

من الفخار :

وهي التي تصنع من أحجار الطفلة وفتات الحلزون (قواقع صحراويه) وتخلط بالماء حتى تتماسك ثم يشكل منها التصميمات اللازمة وتحرق وتترك حتى تبرد وتنظف من الشوائب العالقة وتغسل ثم تستخدم في صناعة الطعام والشراب ومنها التنّور لصناعة الخبز - البرمه لصناعة الطعام - الباجوش .

الخشبية :

ومنها ما يقدم فيه للشراب والطعام وهي (زَلْفَه) .

(زويلي) لشرب الماء واللبن .

(القصّعَة) الخشبية للطعام .

الصباغة واستخدام الألوان :

من الأشياء الملفتة للنظر عند البدواستخدامهم للألوان بشكل جذاب وملفت وعندما تنظر إلى ألوانهم تجد أن هناك طابع موحد لديهم فالألوان لا تكاد تختلف من خيمة لأخرى أو من فراش لآخر ويغلب اللون الأحمر والأسمر والأخضر عليها ، وكذلك عنصر التنسيق والاختيار للألوان تجده يأخذ نفس الترتيب من ذوق لأخر . فمحدودية البدو وبساطتهم لا تختصر فقط على طبائعهم وإنما تراها في كل ما يحيط بهم حتى في ألوانهم وأصباغهم .

الألوان الغالب استخدامها :

الأصفر (الصفرة) . الأخضر (الخضرة) .

الأزرق (النيلة) . الأسمر (الغامّ) .

الأحمر (اللّك – الدويده) .

التنسيق الغالب في الألوان لشكل الخيمة والفراش :

الفراش: تبدأ بالدويده (الأحمر) ثم الأصفر ثم الأخضر ثم النيلة وأخيرًا الغام.

الخيمة : تكون حوافها سمراء والغالب للقلب بيج ساده ويناصفها ثلاثة خطوط طويلة من اللون الأسود أما الأذرع سوداء .

طريقة الصباغة :

لا تختلف كثيرًا عن الصباغة المعروفة لدينا في أي مكان تأتي المرأة البدوية بالخيوط المصنوعة علي شكل أكوار جمع كور وهومجموعه من الخيوط وتضعها في إناء كبير تقوم بغليه ووضع الأصباغ والشبه ثم تخرجه ويجفف بعد ذلك ويستخدم .

وقد قيل : (الملح يا دبّاغه، الشبّ يا صبّاغه) .

الفصل الثالث

الضبط الاجتماعي والقانون العرفي (الدّربَه) (1)

العلاقة بين القانون والمجتمع علاقة وثيقة لأنه المنظم الرئيسي والمقنن لأنماط السلوك التي تُعبّر عن العلاقات بين الأعضاء أو المجموعات التي تربط بينهما علاقات معقدة .

والقانون في عمومة يعرف بأنه مجموع المعايير التي يستعان بها في ممارسة السلطة والسيادة ، وهذا معناه أنه لابد من وجود هيئه تشرف على تنفيذ الأحكام واتخاذ القرارات التي يصدرها المتخصصون، كما أن هذه الهيئة التنفيذية يمكنها أن تلجأ إلى القوة حتى تجبر الأطراف المتنازعة على قبول الأحكام إذا لزم الأمر .

والقانون على وجه أخص هوالمتعارف عليه لدي عربان الصحراء والذي قام بوضعه كبار القبائل واستعانوا في ذلك بالفقهاء من أهل الشريعة الإسلامية السمحاء. وهو مزيج من الأحكام الشرعية والعرفية في القتل والضرب والسرقة وشهادة الزور والتخريب وقتل الحيوان .... نتج عنه ما يعرف (بالدربة).

تعريف خاص للدّربَة :

هي مجموعه من الأحكام الشرعية والعرفية متعلقة بأفعال البدو(السعادى والمرابطين) سكان الصحراء الغربية .

مكان إصدار الأحكام العرفية :

يتم الفصل في القضايا والنزاع وإصدار هذه الأحكام في مجلس عرفي لا يجوز التخلف عنه أو مخالفته ويسمى (الميعاد) مجلس العرب . ويتكونْ من طرفي النزاع و(المرضى / الوقّام / النظّار) .

(1) للتزود في هذا الباب راجع الدربة وبحث بعنوان حق عرب الوارد في مهرجان طيبة الثقافي الدولي المنعقد في الأقصر ٢٠٠٨ للأستاذ حمد خالد شعيب

الهيئة التي تصدر الأحكام :

وهي مجموعه الثقاة من الأشخاص الذين يتم اختيارهم بدقة ولهم خبرة وباع في ذلك وهم على النحوالتالي :

1 - **المرضي :** وهو من يصدر الحكم وهوشخص يرتضيه أطراف النزاع وقد يكون أكثر من شخص كلاً منهما يمثل طرف نزاع .

2 - **النظار :**وهو له خبرة الطبيب في تقدير قيمة الجروح والكسور والتعويض المادي.

3 -**الوقام:**وهوله خبرة في تقدير قيمة ما أتلف من الزورعات والآبار والسدود.

أحكام وعادات عرفية :

(الدّيه - النَّزاله – الصنيعه – البراوه – الفرد (صندوق العائله)

1 - **الدّية:** عبارة عن غرامة مادية تصرف علي سيبل التعويض للمتضرر إما أن تكون مقدره سلفاً أو قيمه يتم تقديرها حسب حالة النزاع القائم وهذا ما يقرره المجلس العرفي .

2 - **النّزالة :** في حالة القتل تقوم قبيلة القاتل بالإجلاء والتحرك من أماكنها لتنزل في حماية قبيلة أخري (المنزول عليها) وذلك بعد موافقة وقبول القبيلة التي ستتولى الحماية وذلك كعملية فصل بين الأطراف المتنازعة لتفادي حدوث أية عواقب قد تجعل الأمر أكثر تعقيدًا وذلك حتى تتم إجراءات المصالحة ودفع الدية وهذا يتم بسعي من القبائل المتخصصة في مثل هذه القضايا .

ومدة النزاله حولاً كاملاً (عام) يكون فيه النازل في حماية المنزول عليه وحرمة ولا يجوز مطلقاً من أهل القتيل التعدي بأي حال من الأحوال على النزيل أو المنزول عليه ولا يجوز للنازل أن يسافر أو يقصد أي جهة إلا بعد أخذ مشورة المنزول عليه .إذا تعدى أحد من أهل المقتول على النازل أو المنزول عليه يلزم بدفع (كبارة) للمنزول عليهم .

وفي حالة القتل أخذًا بالثأر فتكون النزاله ثلاثة أشهر فقط تتم بعدها إجراءات الصلح بنفس الأسس السابق إيضاحها مع رد الدية مضافة إليها الرُبع كعقاب على مخالفة العهد والصلح .

3 - **الصنيعة :** في حالة تعذر أهل القاتل عن دفع الدية يقوم أهل القتيل بأخذ القاتل صنيعة عندهم حتى الوفاء بالدية ومعناها أن يكون خادمًا لأهل القتيل متى يطلبونه (والمصنوع لا يُقتل).

4 - **البراوه:** وهي فصل الفرد أو العائلة أو القبيلة ليكون مستقلاً عن الجزء الأم وقائمًا بنفسه في كافة أحواله العموميه.

5 - **الفرد (صندوق العائلة) :** وهو صندوق تجمع فيه العائلة المبالغ والغرامات والدية والدفع وهي عبارة عن سهم مفروض علي كل فرد بالغ في القبيلة يحدده مشايخ وعوا قل القبيلة .

أمثلة لأشكال القضايا وأحكامها :

1 - **قضايا القتل ومنها : قتل الخطأ وقتل العمد .**

* القتل في الدفاع عن الشرف : حُكمه لا يعف من المسئولية وتجب القتل علية دية القتل الخطأ .

* قتل السارق: حُكمه إذا قُتل السارق هاربًا بما سرق فعلى القاتل نصف دية القتل الخطأ أما إذا قُتل تاركًا ما سرق كانت الدّية كاملة.

* قتل القريب : إذا كان القريب من أحد أقرباء القاتل يلتزم له بنصف الدية هوشخصيًا يؤديها إلى أحد المقربين له في العصب ولا تجب دية في حالة قتل الوالد لولده .

* قتل الخطأ مع الإنكار : عند إثباته والتحقق منه يعتبر قتل عمد .

* قتل من حاول فض معركة : تُدفع الدّية كاملة وإذا لم يُتعرف على قاتلة يلتزم طرفي النزاع في المعركة بدفع ديته مناصفة .

* قتل بفعل حيوان : إذا كان القاتل هنا بفعل حيوان حصان جامح أو جمل هائج أو كلب عقور يلتزم صاحب الحيوان بدفع دية القتل الخطأ إذا ثبت أن هذا الحيوان جموح أو هائج أو مسعور .

* القاتل المُرشد (الحطـّاط) :يلتزم بدفع رُبع دية كاملة مثل التي قـُدرت لقبيلة المقتول .

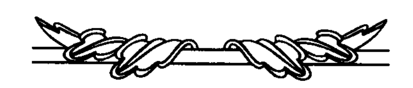
* قتل الحيوان : الذي يتعدي علي حيوان مملوك للغير يلزم بدفع ثمنها مضاعف .

* قتل الزاني : تجب فيه دية قتل الخطأ بعد خصم مهر الزوجة وكافة المصروفات ويقوم بدفع كبارة مقدرة لتعدي المقتول علي حرمه .

2 - **شهادة الزور والكذب** : لا يقوم بالشهادة إلا الفرد المشهود له بالسمعة الطيبة والسلوك الحسن ويُلزم بأداء اليمين قبل الإدلاء بشهادته ثم تقبل وتكون نهائية إلا إذا ظهر ما يثبت عكس ذلك فتُلغى ويصدر الحكم ضد شاهد الزور وما ترتبت عليه شهادته من أضرار .

3 - **إتلاف المزروعات وتخريب أملاك الغير** : إذا ثبت على أي شخص إتلاف لأبار أو ديار أو بعالي (زروع وجناين) أو سدود يُلزم فاعلها بدفع ثمنها مع وجوب كبارة يقدرها الميعاد (المجلس العرفي)

4 - **السرقة والنهب** : متروك تقديرها وغرامتها للمجلس العرفي حسب ظروفها وملابستها .



الأيمان والحَلف

لا يتهم البدوبعضهم بالسرقة أو التخريب أو أشياء منافية للعوائد ويتعين علي ذلك اثباتة بالدليل فإن عجز عن الإثبات يكون المدّعي والمتهم ملزمين بالقَسَم (اليمين) فالمتهم ليبرئ نفسه والمدعي ليثبت حقه .

* البينية على من ادعى واليمين على من أنكر.

والأيمان في درْبة وعرف أولادعلي حسب ظروف كل حادثه وقد اتفق أولاد علي على ما يأتي ليكون عُرْف ثابت بينهم كما كان :

* يمين الروح المقتولة خمس وخمسون رجلاً وهو يمين الدية الكاملة .

* يمين نصف الدّية سبعة وعشرون رجلاً .

* يمين ثُلث الدّية ثمانية عشر رجلاً .

* يمين رُبع الدّية ثلاثة عشر رجلاً .

* المبلغ الذي يزيد عن ثمن الجمل يكون الحلاّفة والزكّايه علي حسب دية ومقدار الدّية العمومية

* المبلغ الذي يكون أقل من ثمن الجمل يكون الحلاّفة فيه ثلاثة أو أربعة والمتهم الذي يُبرئ نفسه من تهمه الصقت به يحلف في وجود أربعة يزكونه في ذلك من أهله .

* يمين التخريب والهدم يكون حلاّفته خمسة وعشرون رجلاً .

وفي هذا كله يتم اختيار الرجال الذين يؤدون اليمين من قِبَل المُدّعي وفي حالة تخلف أحد الرجال المعنيين لأداء اليمين في المكان والزمان المحددين بدون عُذر شرعي أصبح هذا دليل علي ثبوت التهمة ويُلزم عليهم طاعة المجلس العرفي بما يقرره .

حقوق الزوج والزوجة

* للزوج حق الطلاق شرط دفع مؤخر المهر والنفقة بأنواعها .

* للزوجة أيضًا حق الطلاق شرط ثبوت الكراهية اوالمرض مع رد ما تحمّله الزوج من كلفة .

* نفقة العدة إذا ثبُت أن الزوجة المطلقة حامل وجبت علي المُطلِق النفقة لحين انتهاء الحمل .

* حضانة المولود أو زواجها .

* عدة الأرملة المتوفَى عنها زوجها أربعة أشهر والمطلق ثلاثة أشهر .

* في حالة تعذر إثبات الخصومة من الزوجين يقيمان بجوار رجُل عدول وتحت ملاحظته . ليحكم بينهما وحكمة مقبول ويسمي (بيت العدل).

الإدارة ونظام المجالس العرفية :

نظام الإدارة عند قبائل أولاد علي ينقسم إلى عدة مجالس .

* مجلس العائلة : يرأسه العاقلة (شيخ العائلة)

* مجلس القبيلة : يرأسه العمدة أو الشيخ ويتكون هذا المجلس من رؤساء عائلات القبيلة وهم العواقل وهو مجلس منظم تحكمه لائحة وبنود لا تجوز مخالفته .

* مجلس القبائل : ويتكون من عمد ومشايخ القبائل الرئيسية .

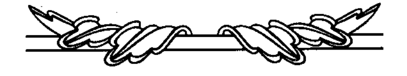
وهي قبائل علي الأبيض ، قبائل علي الأحمر ، قبائل السننة.

ينظر كل مجلس من هذه المجالس لحل المشاكل الكبرى وترشيحات أعضاء المجالس المحلية .

* مجلس أولاد علي :- وهوالمجلس الأعلى ويتكون من جميع عمد ومشايخ وعوا قل قبائل أولاد علي والمرابطين وهوينظر في مشاكل الإقليم الضخمة والمسائل السياسية وترشيحات القبائل .

والقبائل المتخصصة في تطبيق الدّربة تبعًا للخبرة والممارسة في حلولها هي :

* قبيلة المحافيظ / بيت بوالعرويه : الجنايات
* قبيلة العراوه / بيت الزريريع : الإبل
* قبيلة الشر صات / بيت بادي : الأغنام
* قبيلة العشبيات / بيت الزغرات : الزراعة
* قبيلة القناشات / التجارة
* أولاد منصور بيت صالح مطير : السرقة والحرام .





الفصل الرابع

الحيوان والبيئة



الحيوان :

إن توحد البدو وعناصر الطبيعة جعلهم ينظرون للحيوان والطير نظرة احترام وتقدير ولما لا ؟، وقد وجدوا فيها عونًا وأنسًا في صحرائهم الموحشة ورأوا فيها مصدر الخير وجلب المنافع والفخر. فالبدوي لا تكتمل حياته ولا تصح إلا بوجود أغنامه أو إبله فمن أو بارها صنع ردائه ومن لحومها وشحومها مأكله وفي بقائها فخره وامتنانه .

ولذا قد خصصنا كتابًا في هذا نعرض فيه مدي التفاعل بين البدوي وحيوانه الذي يجوب معه الفيافي ودروب الصحراء ويقاسمه حياته ، ونذكر أسمائها وخصالها ومراتبها وأمراضها وأعمارها .

كالصقور - الأغنام - الإبل - الخيل .

1 - **الصقور :**

يسمي في اللهجة الشعبية الحُر وذلك من حبه للحرية ورغبته في الانطلاق. له قيمًا خلقيه جديرة أن يتصف بها الإنسان المثالي كالقوة والعفة والكبرياء والذكاء والشجاعة وما يتميز به من مقاييس للجمال من رشاقة وخفة ومرونة وسرعه وانقضاض ونظره حادة مُخيفة .

الصقور أنواع ومراتب من حيث الأهمية وهي كالتالي :

الصقر : أعلى أنواع الطير مرتبة وهو نوعان كلٌ ينتمي إلى بيئة مختلفة عن الأخر وهما نداوي وحصاوي .

أما النداوي فهوالوافد من أوربا مهاجرًا إلى شواطئ إفريقيا الدافئة .

والحصاوي فهوالصقر المحلي الذي يأتي من الصحراء .

وبين هذين النوعين يتولد نوع ثالث يمتاز بالقوة وكبر الحجم وهو (سقاوه) وهوالصقر الذي ينتج عن بيضة وحيدة احتضنتها الأم وأعطتها كل عناية فجاءت بهذه الصفات الفريدة . ويقع في المرتبة الثانية الكوهيه وهوقريب للصقر لا يميزه إلا خبير .

ويقع في المرتبة الثالثة البحاري (الشيهان)(شاهين) والبرني .

ويقع في المرتبة الأخيرة القرناص والطيور التي تُربي للصيد وتُدرب له غالبًا ما تكون من الإناث نظرًا لقدرتها العالية علي الصبر والإصرار والتحدي ويسمي ذكر الصقر (زغزغي) أما ذكر البحاري فيسمي (طرشون) .

وهناك أسماء عامة تطلق علي مثل هذه الطيور وهي :

(الحر-بوكمبيل-بوجلجل - دامي- حايم-خارم - جامر-جارح- فليت).

2 - الإبل في المجتمع البدوي :

لهذا الحيوان أهمية للبدوي لا تقل عن أي حيوان آخر يعيش في بيئته بل قد تتعدي أهمية ومكانة هذا الحيوان لدي البدوأي شيء آخر .فمنذ القدم عرف العرب الإبل واستعملوها في شتي محافلهم الحربية والتجارية وترحالهم فكانت خير رفيق ومعين لهم في حياتهم القاسية وطبيعتهم الصعبة . ونجد أهميتها في أشعارهم ومفاخرهم وحكاياتهم المختلفة .ولا يمل صاحبها أو راعيها من إتباعها شهورًا طوالاً في أعماق الصحراء حيث مواطن الإبل ومراعيها التي لا توجد إلا في جوف الصحراء والمناطق البعيدة وهي ما يطلق عليها البدو(الدفّة) أي العمق المتوغل في الجنوب القاصي من بواديهم. وفي كتابنا هذا خصصنا مجالاً للحديث عنها والتعريف بأسمائها وصفاتها وأعدادها وأمراضها ومناطق مراتعها وما تتغذي علية من أعشاب متنوعة في تلك الفيافي البعيدة كالتالي :

أسماء الإبل وفقا لأعمارها :

أ - الأنثى : بَكْرَه (حواره) : منذ الميلاد إلى الحول أي السنة الأولى .

* بنت حِشَار : من السنة الأولى حتى بلوغها الثانية .

* بنت لبون : من الثانية حتى بلوغها الثالثة .

* حِقّه : من الثالثة حتى الرابعة .

* ناقة : من الرابعة فيما يزيد .

ب - الذكر :

* قعود (حوار) منذ الميلاد إلى السنة الأولى .

* بن حشار من الأولى إلى الثانية .

* بن لبون من الثانية إلى الثالثة .

* حِقّ من الثالثة إلى الرابعة .

* علول (جدع) من الرابعة إلى الخامسة .

* جمل من الخامسة فيما يزيد .

الأسماء وفقاً للألوان :

* الصَفْره : لونها بني فاتح يميل إلى البياض .

* البيض : بيضاء ناصعة نقية .

* الخضرة : ذات اللون الرمادي .

* الزّرق : ذات اللون الأسود .

* الحَمْره : لونها بني داكن غامق .

* الحَجْلة : ما يكون في أرجلها الأمامية بياض .

الأسماء وفقا للصفات :

* فارزه : ما تم تلقيحها .
* مِتْلي : على وشك ولادة .
* لقحة : ولَدت أو هى على قرب .
* شايله : وهى من بلغ وليدها ستة أشهر فما يزيد .
* خِلْفه : من يتبعها وليدها وتم لقاحها .
* خَلُوج : من فقدت وليدها موتاً .

الأسماء وفقاً للعدد :

* نياق – نوق : من واحده إلى عشرة .
* ذود : من عشرين إلى خمسين .
* إمراح : من خمسين إلى مائة .
* إبل : من مائة .
* إركيب:من مائة إلى ما يزيد وتطلق علي جمع الإبل المتواجدة في مكان ما .

الأمراض التي تصيب الإبل:

1 - **الجرب :**

وهومرض مُعدي تظهر أعراضه علي هيئة قشور لونها اسود متفرقة في الجسم وغالبًا في أسفل البطن أو الإبط والرقبة / وعلاجه . دواء كبريت أو طلاء بالمازوت النفطى .

2 - **القرع :**

مرض مُعدي أسفل السنام (الذروة) وأعلى الذيل ./ علاجه . زيت طعام دافئ وملح يوضع بعد حك وتنظيف المكان .

3 - **الجُذام :**

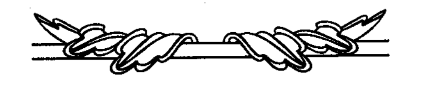
أعراضه تشققات تظهر في الوجه والشفاه والرِّجْل وهومن الأمراض الخطيرة التي تصيب الإبل ويندر علاجه .

4 - **بودفداف :**

وهوالأنيميا الحادة وفقر الدم وأسبابه الجفاف وقلة المراتع .

5 - **الجفار :**

يصيب الإبل التي تجاور مراعيها أراضي زراعية يكثر فيها الناموس والحشرات الطائرة كالبعوض .



المراعي والأعشاب التي تتغذى عليها الإبل

الجل – العراد – العجرم – البلبال – قطيفة – لسلس – كميشه – الجرط – العود – الصّر – الطلح .

السّقاية وموارد المياه :

الإبل حيوان يتحمل العطش إلى أقصي درجه ويخبرنا أهل البداوة إنها (تجزي) أي تمتنع عن الشرب فترة تصل إلى أربعة أشهر من السنة وقد ترد الآبار أيام شربها كل 12 يوم .

فائدة صحية :

أثبت العلم الحديث أن لحليب الإبل فائدة عظيمة تقي من أمراض كثيرة منها الوباء الكبدي والسرطان وأمراض المعدة والبطن وكذلك بولها له أهمية تعين بإذن الله على الشفاء من أمراض كثيرة .

3 - **الغنم (الضأن) :**

يأتي رعي الأغنام كنشاط أساسي لأهل البادية ويرتبطون به ارتباطاً وثيقاً والغنم البرقي نسبة لإقليم برقة في ليبيا حتى إقليم كنج مريوط لما تتمتع به هذه المنطقة من صفات طبيعة ومناخية وجغرافية واحده يأتي في مقدمه الأنواع وأفضلها علي الإطلاق فأصوافها متينة وكثيفة ولحومها جيدة حازت على سمعه عالية في الجودة نظرًا لما يتميز به هذا الإقليم من طبيعة مناخية ساعدت على تشكيل مرعى طبيعيًا لهذه الأغنام وفي هذا تصنيف أهل البادية من الرعاة لها .

* **الضأن البرقي :** وهو الضأن الصحراوي له أذن كبيرة ولِيّة صغيرة ، عظيم الوجه والصوف يتحمل درجة الحرارة وبرودة الشتاء ويُرَبي علي الأعشاب الطبيعية بالصحراء والأعلاف النظيفة كالقمح والشعير.

وإليك أسماء الضأن وفقا لأعمارها وألوانها وعددها وصفاتها :

أسماء الضأن وفقاً لأعمارها :

النوع الأنثي وتسمي (حولِيّه) منذ الميلاد إلى الحول أى العام .

* (رباعي) عند بلوغ العام حتى بلوغها العامين

* (رباعي بجشاطة) والجشاطة كمية من الصوف يتركها الجلام [1] على ظهر الشاه .

* (السدسه) حتى بلوغها العام الثالث لتدخل الانثي مرحلة أخيرة تسمى فيها (نعجة) .

الذكر ويسمي (الحولي) منذ الميلاد إلى الحول ثم يسمي (رباع) من تلك السنة حتى بلوغه السنة الثانية فيِسمي (ثنّـِي) وهذه التسمية تصحبه حتى يبلغ الثلاث سنوات فيسمي (الكَبْش) وهى المرحلة الأخيرة

وموضح الأعمار في الذكر حجم القرون والجسم والأسنان .

أسماء الضأن وفقاً لألوانها :

* الدّعَمه / ذات الوجه الأسود.

* البرشَه / متعددة الألوان وجهًا وجسماً .

* النّقطـَة / ذات الوجه الأحمر.

* الغـَشّوه / ذات الوجه الأبيض بإحمرار.

* الطـّوقـَه / ذات الوجه الأبيض بسواد.

* الغـَرّة / ذات الوجه الأبيض الناصع.

---

(1) الجلام : من يقوم بجز الصوف

أسماء الضأن وفقا لأعدادها .

* نعجات : يبدأ من خمس رؤوس.

* شواهي : اشويهات من خمس رؤوس حتى خمسة عشر رأس.

* غلم [1]: من خمسة عشر إلى مائة رأس.

* الشلاج: من مائه رأس إلى ثلاثمائة رأس غنم .

* السعي : من ثلاثمائة رأس إلى ما يزيد.

أسماء الضأن وفقاً للصفات :

* رغث : وهي النعاج التي أنجبت صغارًا .

* جلد : وهي الأغنام التي لم تُلقح بعد ويتم عزلها بغرض التلقيح

* مُوالَه وكَسْب : وهي المجموعة التي يتم عزلها بقصد التربية .

أهم مراعي الغنم والأعشاب التي تتغذى عليها :

* اللسْلس : عُشبه خضراء لها رائحة زكيه .

* الشّجَاره :عُشبه ذات ساق محمله بالأزهار البرتقاليه .

* البَلْبال:حطبه عبارة عن شُجيرة ذات عناقيد زاحفة علي سطح الأرض.

* الاقحوان : عُشبه ذات ورود صفراء.

* الذبَّاح : وهي عُشبه تنموزاحفة علي سطح الأرض .

* الْجِل والعراد :أعشاب صحراويه تتغذى عليها الغنم والإبل في الشتاء.

* الشَفـْشَاف : شُجيرة ذات أوراق كثيفة ملتويه خضراء.

(1) منطوقة عند البدوبـ للام بدلا من النون ينطقونها غلم لا غنم

أمراض الضأن :

الغاشَّة : مرض يُصيب الأغنام في فترة زمنيه من فصل الربيع عندما تكون منفصلة عن الشرب (جازيه) لمدة أربعين يوم فيصيبها هذا المرض لو قامت بشرب المياه بتلك الفترة أو أكلت عُشب سقط عليه الندى

الشلبان : أعراضه حبوب في اللسان أو أسفل البطن يجعل الشاه في حالة عزوف عن الطعام والشراب ويصيبها الإسهال علاجه الكي في الفم أو البطن.

الدوشان : حالة هيجان وتأخذ في الدوران حول نفسها ويُقال أن سببه دوده تنشط في الرأس ولا علاج لها إلا الذبح .

الكور : مرض معوي حيث نتج عن أكل الأغنام أكياس القمامة البلاستيكية تأخذ في الالتفاف حول أمعاء الشاه ويقوم البدوي بذبحها عند أصابتها .

بولحيرش : مرض يصيبها في فترة مبكرة من السن أعراضه حبوب تظهر في الفم وعلاجه الكي تحت الإذن أو أسفل الفم .

المبشومه : تصاب به نتيجة إفراطها في الأكل والشرب وأعراضه انتفاخ في البطن يصحبه تورم وعلاجه منعها من الشرب والأكل .

سقاية الأغنام وورودها البئر :

للغنم طريقة في الشرب ونظام يعرفه البدوي فيوم الشرب والسقاية يُسمي (الضمْي) وفيه تُساق الأغنام نحوالبئر لشرب المياه ويشرف علي ذلك أحد الرعَاة ويسمي (الرسَّال) وفيه تتوفر الخبرة والقوة والدراية لما يحتاجه أمر (الرسَّال) فهو يقف بين البئر والأغنام وحتى لا تتزاحم الأغنام علي البئر وتتدافع يقوم بإرسالها في مجموعات بسيطة واحدة تلوالأخرى لتنعم بشرب سهل ويسير ويقوم راعي آخر بدور السقـّاى وهوالذي يقوم بالسقاية عن طريق النشل أو سحب المياه من البئر إلى الحوض مستخدمًا في ذلك الدّلو وهي عبارة عن قِربه واسعة الفم مصنوعة من الجلد .

وعادة الأغنام تشرب يوم وتترك يوم في الأيام الحارة ويسمي (غـُب).
أو الأيام العادية تشرب كل أربعة أيام ويسمونها (رِبْع).
أقوال وأراجيز يحدوبها الرعاة أثناء السقاية.
اعطاش يسرْدَن في قيظ .... سقـّايهن نسيٍّ يوم ضميهن . ويقال
كواين بلا رسَّال .... العين شاربه نين راويه . وأيضًا
تمشي تسرب واتجي تسرب .... كيف الحجاج مع لدرب .

تم بحمد الله ...



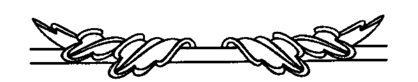
الخاتمة

الحمدُ لله الذي هدانا لهذا وما كُنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

الحمدُ للهِ فاطر السموات والأرض خالق الخلق المحي المُميت وباعث الناس وجامعهم لميقات يوم عظيم.

الحمدُ للهِ الواحد الأحد الفرد الصمد القديم الذي لا يُبلى والباقي الذي لا يفنى المُعز المُذل بيده الخير سبحانه أنه على كل شيء قدير .

سُبحانك اللهم وبحمدِك ، أشهدُ أن لا اله إلا أنت ، أستغفرُك وأتوبُ إليك.



فهرست المراجع ومصادر البحث



1 - العبر وديوان المبتدأ والخبر ، عبد الرحمن بن خلدون.

2 - البيان والإعراب ، المقريزي.

3 - السلوك ، المقريزي.

4 - قلائد الجمان في معرفة عرب الزمان ، أبو العباس أحمد القلقشندى.

5 - مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ،أبو الفضل شهاب الدين .

6 - سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب،أبو الفوز البغدادي السويدي .

7 -عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، الجبرتي .

8 - المنهل العذب ، أحمد بك النائب الأنصاري.

9 - نهاية الأرب ، القلقشندى .

10 - سكان ليبيا جزء 1 ، 2 هنريكو أوغسطينى .

11 - تاريخ ليبيا منذ الفتح حتى 1911م ، أنوري روسي .

12 - الحوليات الليبية ، شارل فيرو.

13 - التذكار في تاريخ طرابلس ، أبو عبد الله بن غلبون .

14 وصف مصر (العرب في ريف مصر والصحراء)،ترجمة زهير الشايب

15 - تاريخ الحركة القومية في مصر ، عبد الرحمن الرافعي .

16 - محمد علي ، عبد الرحمن الرافعي .

17 - الثورة العرابية ، عبد الرحمن الرافعي .

18 - صفحات من التاريخ الإسلامي، د / علي الصلابي.

19 – الثمار الزكية للحركة السنوسية ، د / علي الصلابي .

20 – قبائل العرب في مصر ، د / أحمد لطفي السيد .

21 – القبائل العربية في مصر نهاية القرن العشرين ، أ / علاء الدين أحمد عبد المجيد .

22 – القبائل العربية في مصر القرون الثلاثة الأولى د / عبد الله خورشيد.

23 – أبطال الكفاح الإسلامي المعاصر، د / محمود دياب.

24 – العربان ودورهم في المجتمع المصري ، د / أيمان محمد عبد المنعم .

25 – صبح الأعشي ، القلقشندى .

26 – ليبيا في كتب الرحاله ، د / يوسف فرج نجم .

27 – أنساب العرب ، أ / عبد السلام الحبوني.

28 – رحلة الألف عام ، أ / خير الله فضل .

29 – دربة أولاد علي ، أ / حمد خالد شعيب .

30 – السيرة النبويه ، ابن هشام.

31 – التاريخ الإسلامي ،د / عبد الشافي غنيم ، د / محمد عبد المجيد .

32 – البداية والنهايه، ابن كثير.

33 – شخصية مصر ،د / جمال حمدان .

34 – بنغازي عبر التاريخ ، أ / مصطفي بازامه .

35 – برقه المهدئه ، جنرال / ردولفوجراتسياني .

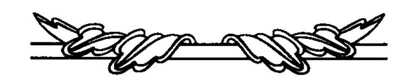
36 – موسوعة القبائل العربيه، أ/ محمد سليمان الطيب .

37 –تجريدة حبيب ، أ / جبريل صلاح الدين محمد .

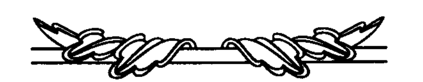
38 – اللهجة الليبية في فضائها العربي ، مجمع اللغة العربية ليبيا.

39 – دور القوي الاجتماعية في الثورة العرابيه، د/ علي شلبي .

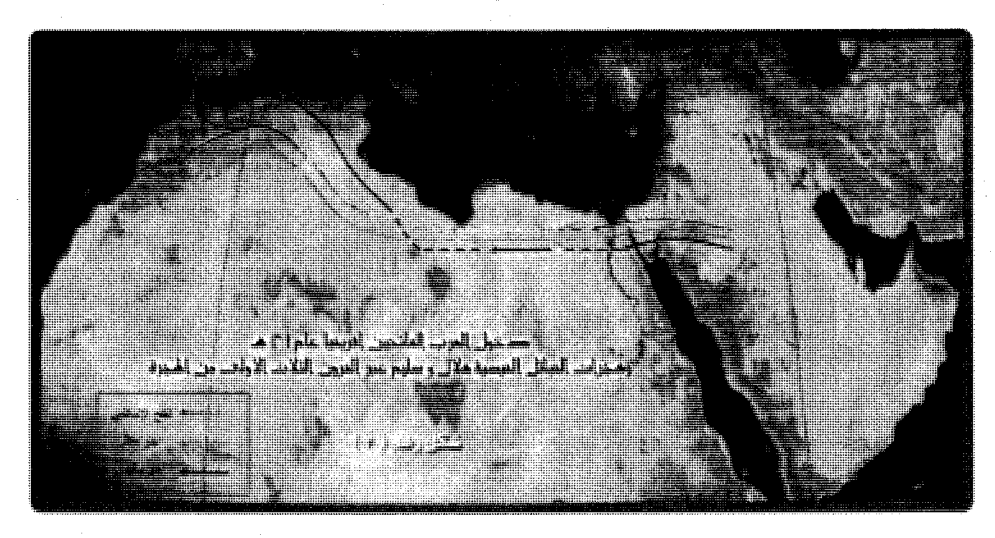
40 – لهجة البدو، د / عبد العزيز مطر .



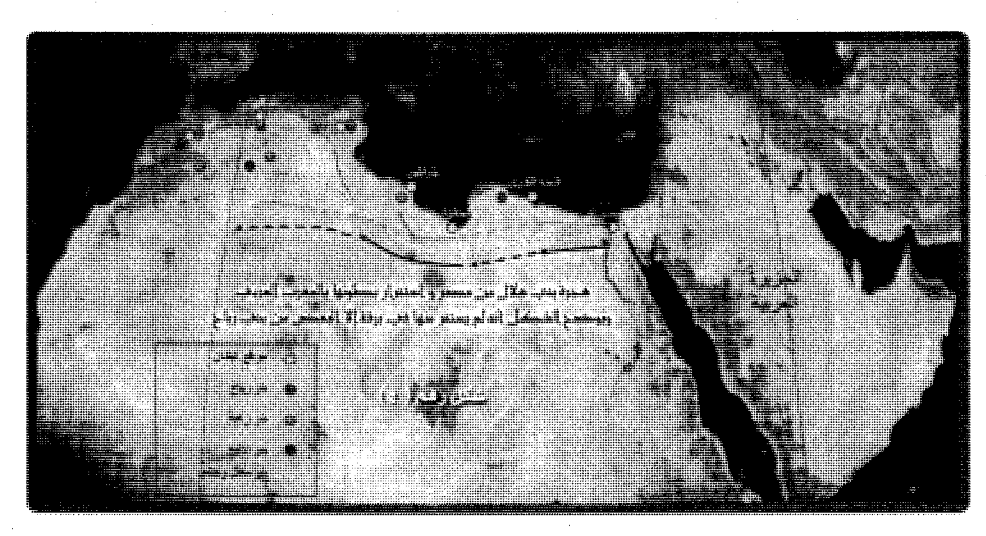
الفهرس



ملحق مصور



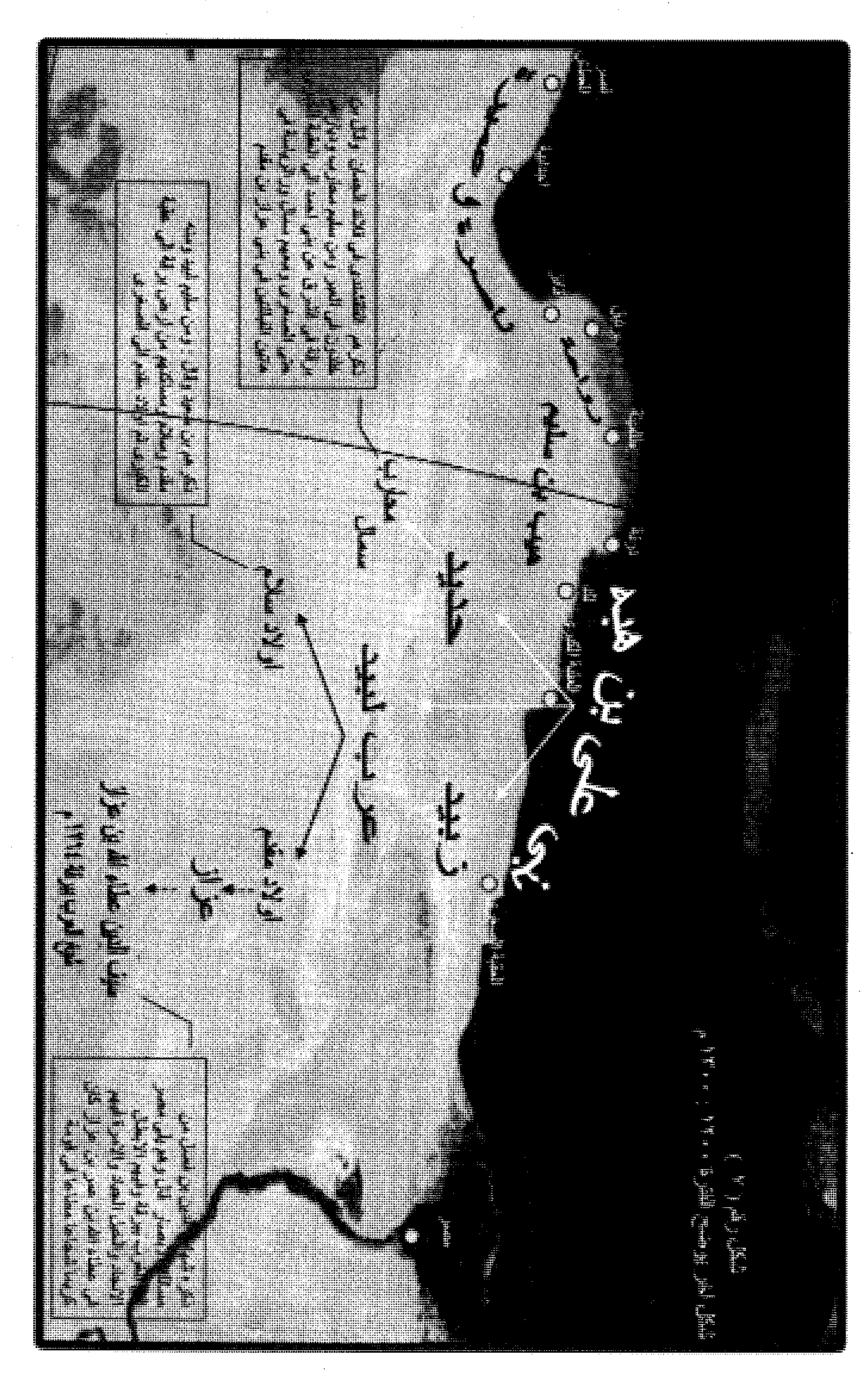
شكل رقم (٣) بعد صفحة (٢٨)



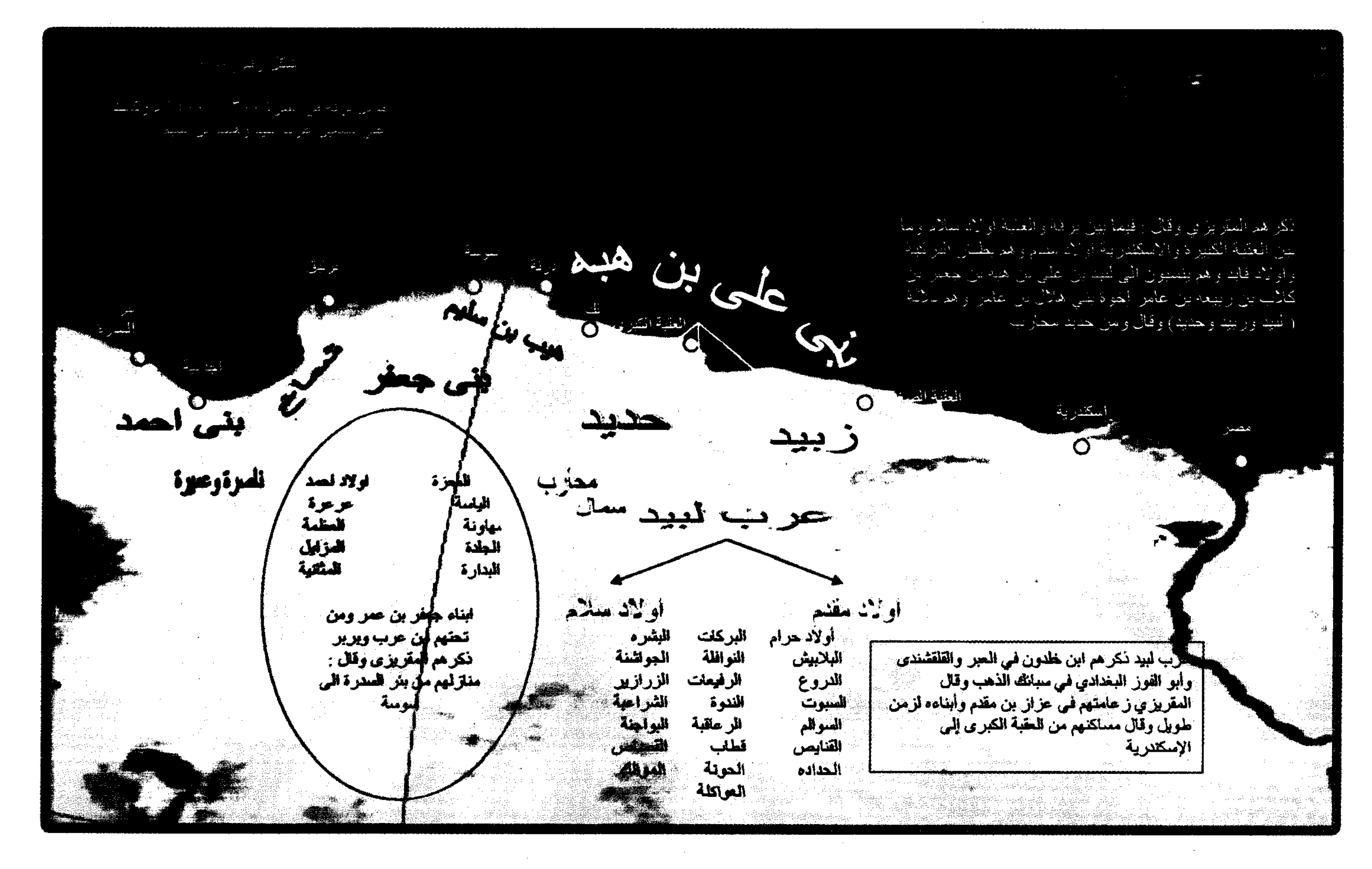
شكل رقم (٤) بعد صفحة (٣٤)



شكل رقم (٥) بعد صفحة (٣٦)



شكل رقم (٧) بعد صفحة (٤٠)



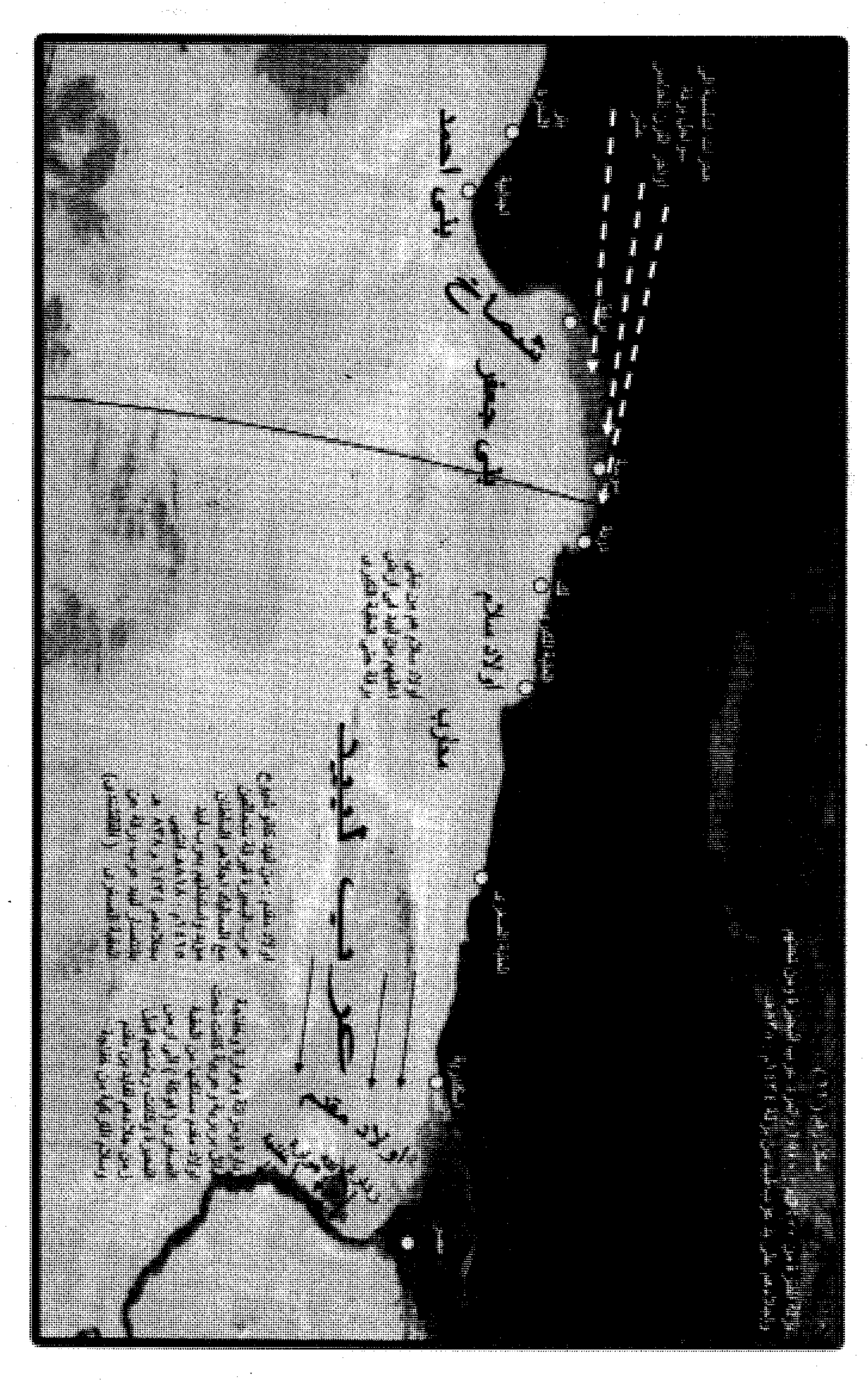
شكل رقم (٨) بعد صفحة (٤٢)



شكل رقم (٩) بعد صفحة (٤٣)



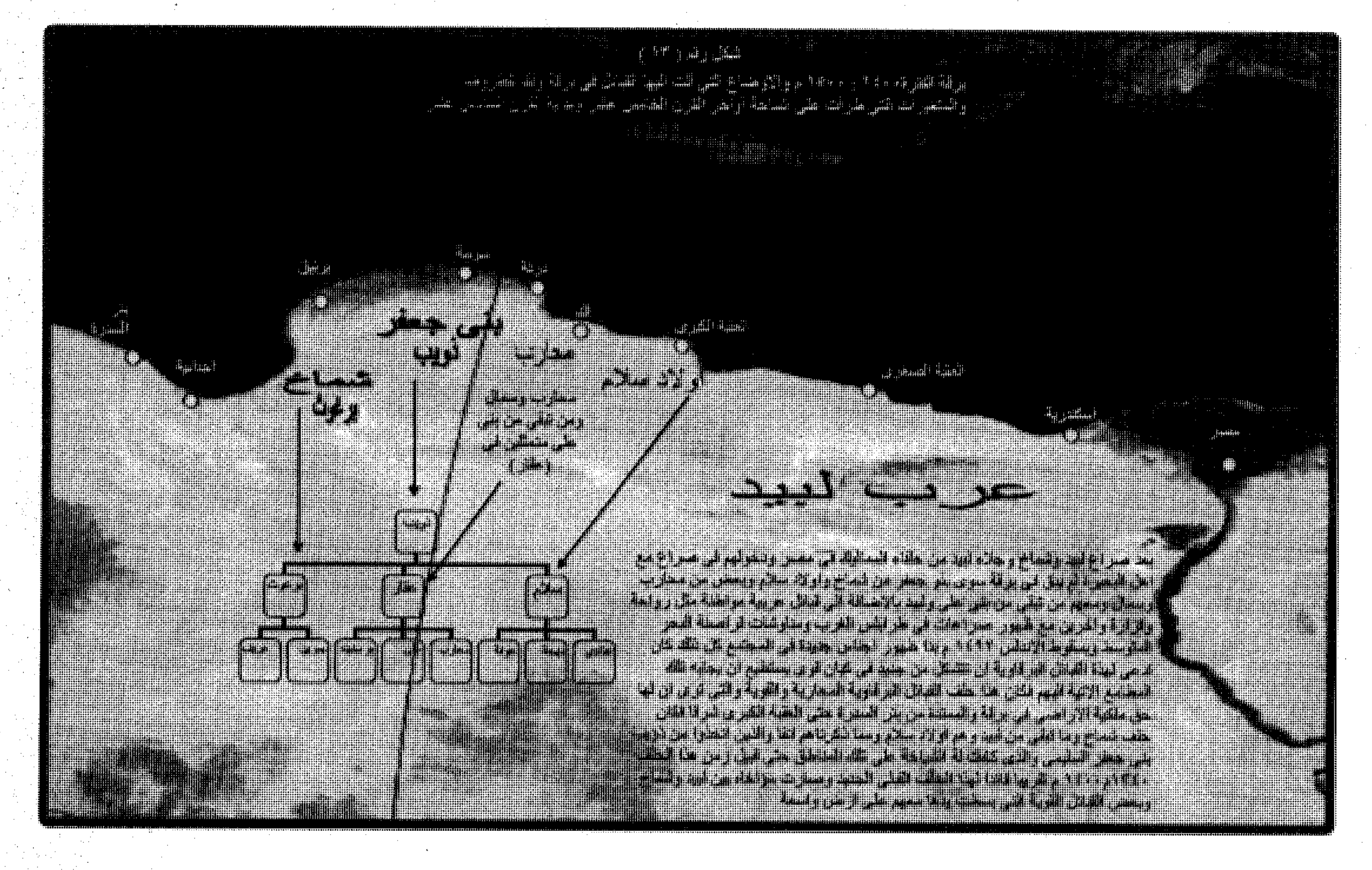
شكل رقم (١٠) بعد صفحة (٤٧)



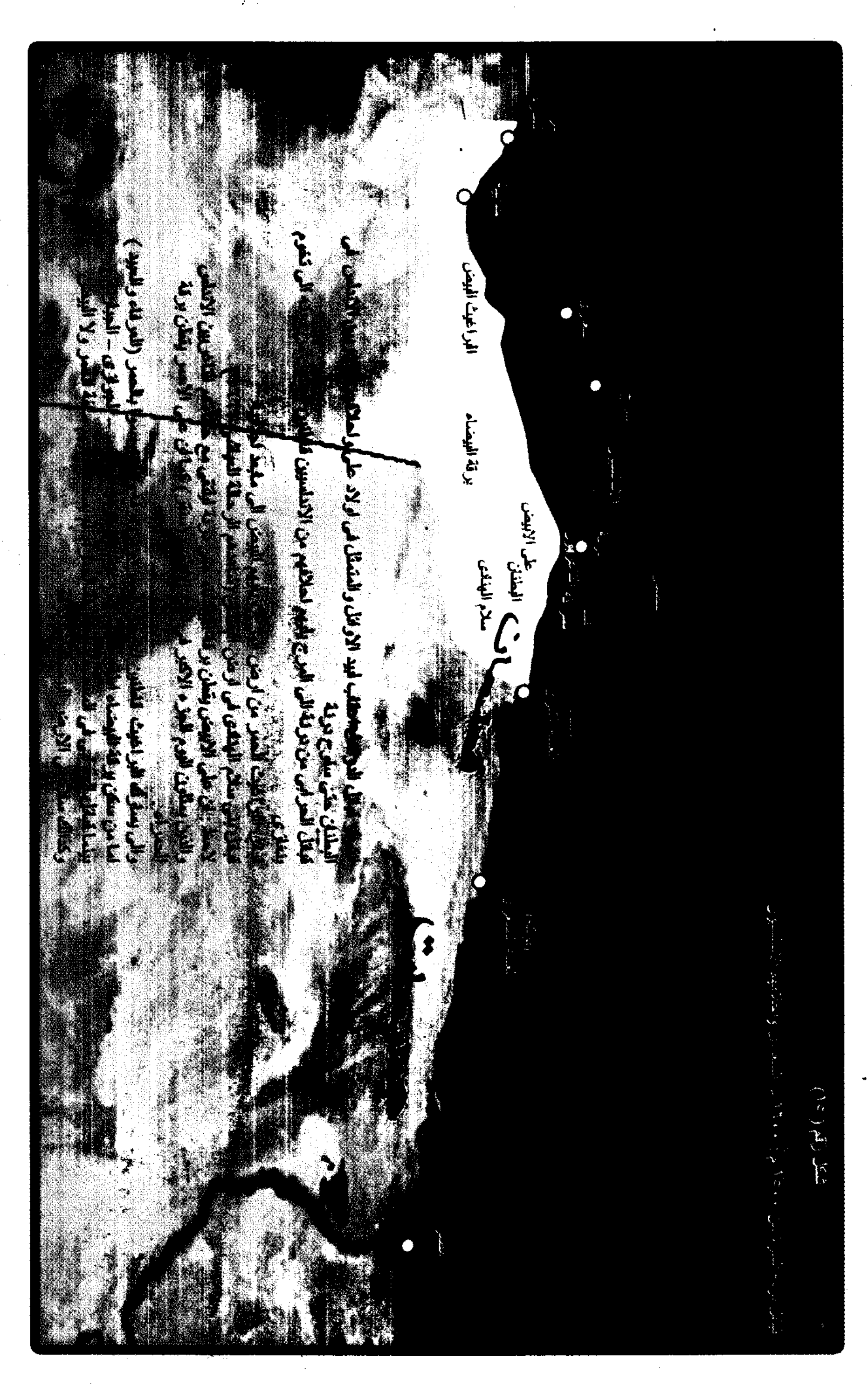
شكل رقم (١١) بعد صفحة (٥١)



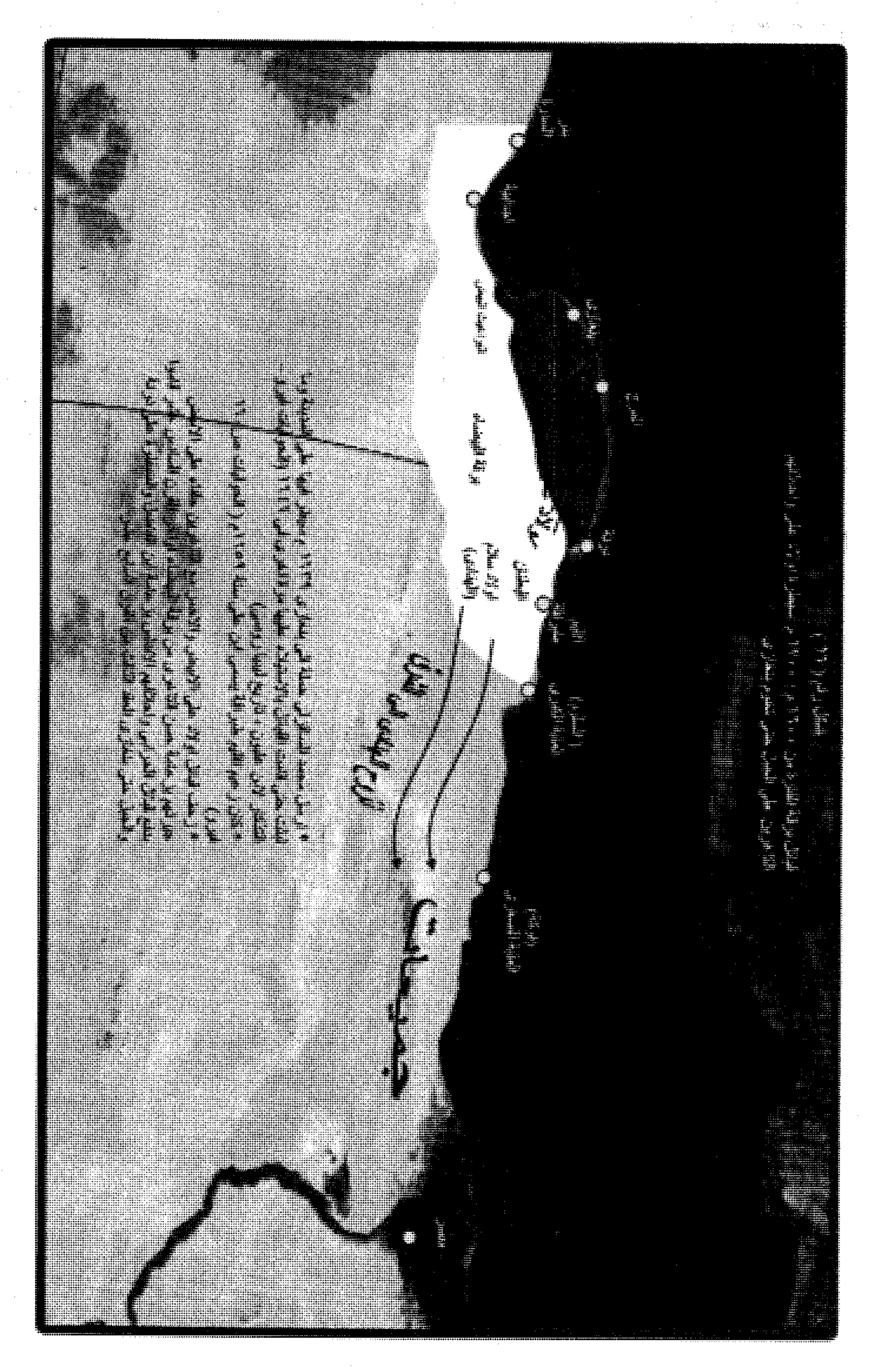
شكل رقم (١٢) بعد صفحة (٥٣)



شكل رقم (١٣) بعد صفحة (٥٦)



شكل رقم (١٥) بعد صفحة (٥٩)



شكل رقم (١٦) بعد صفحة (٦٢)



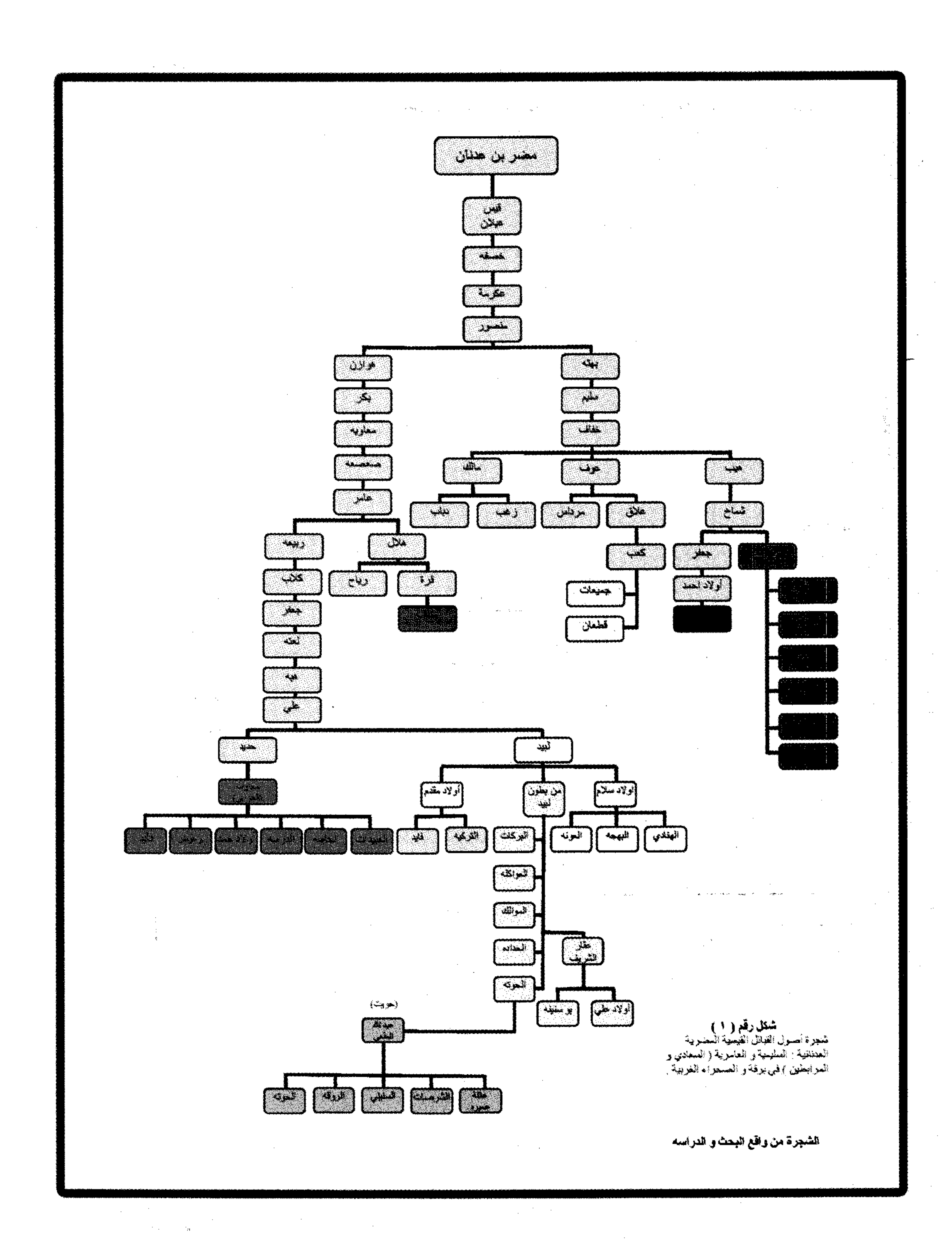
شكل رقم (١٧) بعد صفحة (٧٠)



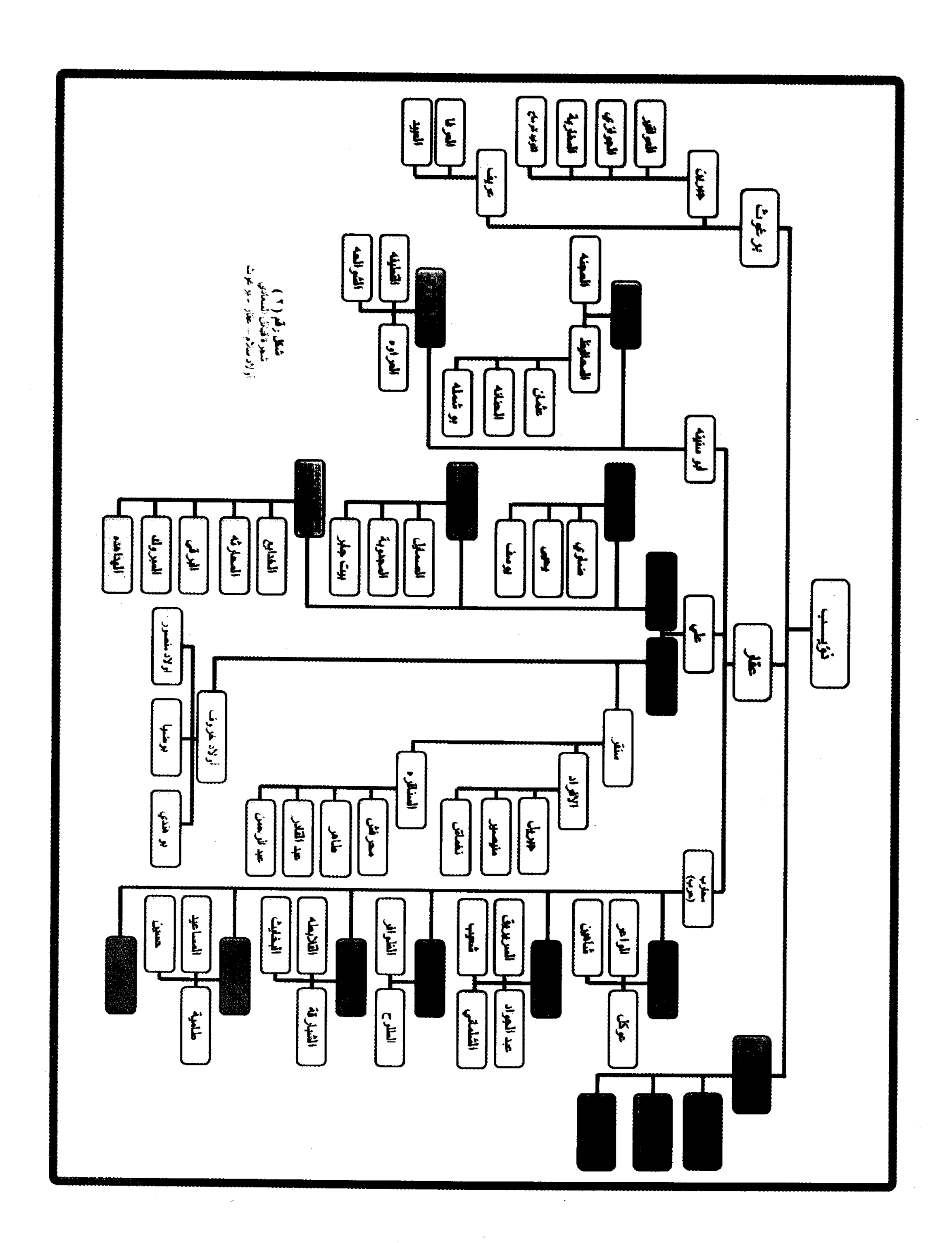
شكل رقم (١٨) بعد صفحة (٧٤)



شكل رقم (١٩) بعد صفحة (٣٦)



شكل رقم (١) بعد صفحة (١٧٣)



شكل رقم (٢) بعد صفحة (١٨٢)